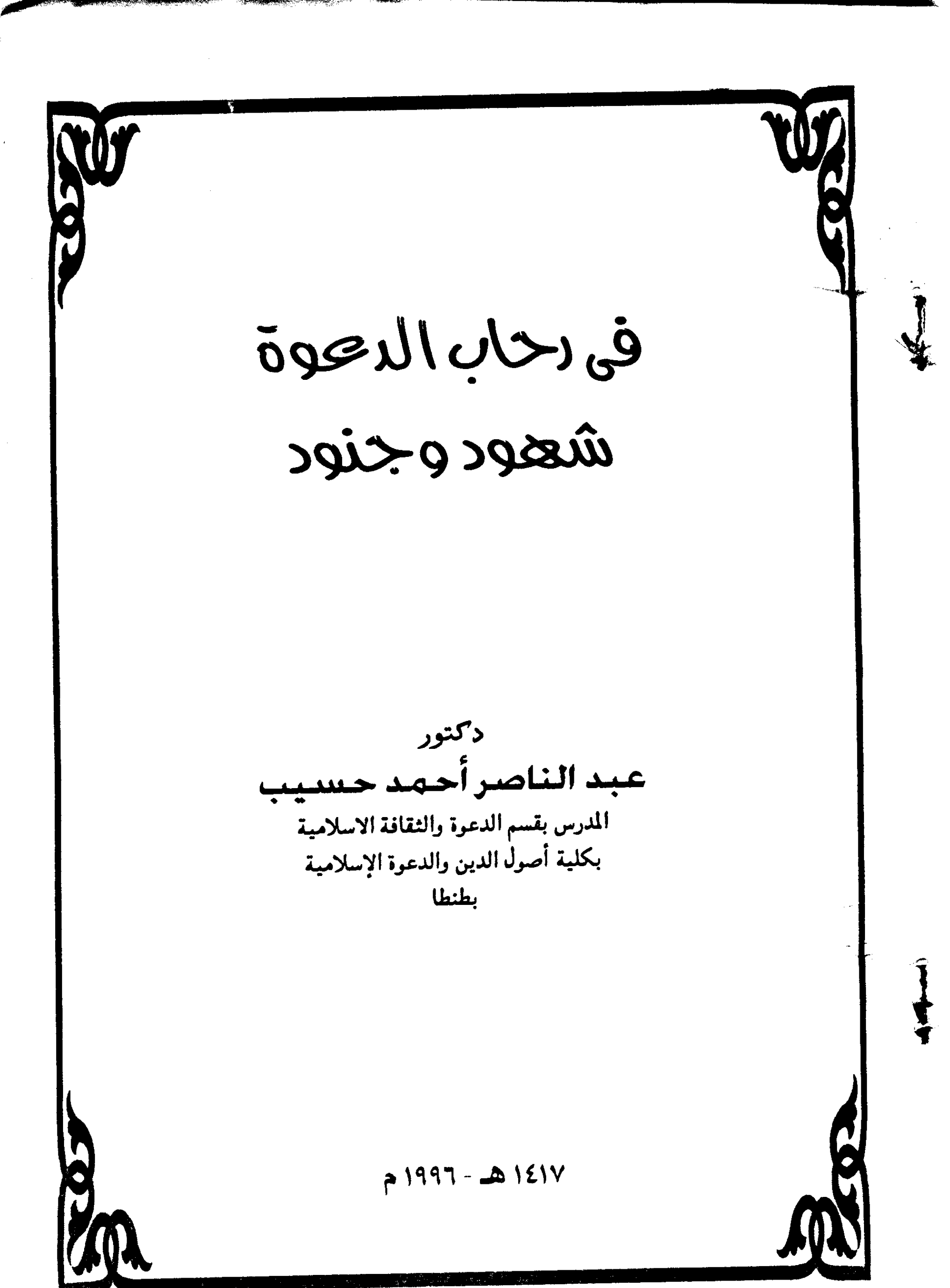


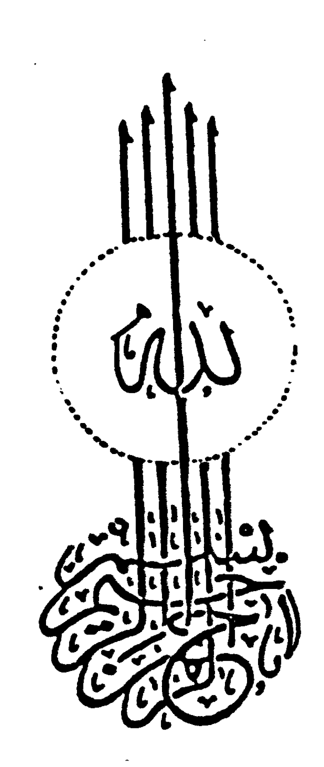
في رحاب الدعوة
شهود وجنود

دكتور

عبد الناصر أحمد حسيب

المدرس بقسم الدعوة والثقافة الاسلامية
بكلية أصول الدين والدعوة الإسلامية
بطنطا

١٤١٧ هـ - ١٩٩٦ م



مقدمة

بسم الله خير الأسماء بسم الله رب الأرض والسماء بسم الله الذى لا يضر مع اسمه داء ، بسم الله والحمد لله ولا إله إلا الله ، والله أكبر ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم .

وأصلى وأسلم على إمام الهداة ، وقائد الدعاة ، خير خلق الله محمد - صلى الله عليه وسلم - وعلى آله وأصحابه أجمعين .

وبعــد :

فهذه دراسة فى الدعوة إلى الله عز وجل أقدمها بين يدى الله عزوجل.زلفى وقربى لديه أتقم بها إلى خاصة طلاب العلم فى سائر فروعه وتخصصاته عساى أن أجد فيهم ضالتى التى أنشدها خصوصا وإننا بحاجة إلى مكون ذى صبغة خاصة فى كل جانب من جوانب حياته .

ومن ثم فقد عملت فى هذه الدراسة جاهدا على إيقاظ الروح الشبابية التى - ربما قد تلاشت عند كثيرين منهم - والعناية الكاملة والتامة بشباب الدعوة لأنهم أمل الدعوة فى حاضرها ومستقبلها انطلاقا من قول الله عز وجل (بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه فإذا هو زاهق) (١)

وقد تناولت هذه الدراسة على هذا النحو التالى بدءا بتعريف الدعوة وحكمها ، وبيان موجباتها ،مؤكدا بيان فضل الدعوة ودعاتها ، مبرزا فى ذلك قيمتها العملية من ناحية ،ودورها فى تحقيق إنسانية الإنسان والتمكين لدين الله عز وجل وسيادة شريعته فى الأرض ، وأنها أحسن الأقوال وأطيب الأفعال ، وأنها السبيل الأوحد لتغيير واقع الناس وتحويل

---

(١) سورة الأنبياء آيه رقم ١٨

مسيرهم إلى العدل والخير.

ثم تحدثت عن خصائص الدعوة وكذا الدعاة ، وقسمتها إلى خصائص تكوينية اكتسابية، ونبهت من خلالها على مصادر الداعية العلمية والمعرفية وكيفية تعامل الداعية مع المعارف والعلوم الر بانية وغيرها، ثم تحدثت عن الخاصية الثانية وهى ذاتية نفسية وقصدت بها الحديث عن "التكوين النفسى للداعية " مركزا على إستظهار مسئولية الداعية وضرورة إحساسه بها ، وكذا آداب الحوار ، ووضع نفسية أشبال الدعوة تحت المجهر القرآنى ثم الخاصية الثالثة وهى تربوية سلوكية (التكوين التاريخى والسلوكى للداعية) ثم الخاصية الرابعة وهى ضرورة تحقيق أخلاقيات الإسلام فى الداعية (التكوين الأخلاقى للداعية) من تعود الصبر والثبات على الحق والطموح فى مستقبل الدعوة والتخطيط لها والبذل والتضحية ، وكذا الاستمرار والتواصل ، ثم الخاصية الخامسة وهى العناية باختيار شخصية الداعية ثم انتهيت من الخواص إلى مناهج تقديم الدعوة وقسمتها إلى قسمين للمسلمين ولغير المسلمين ، وبينت أهمية استمرار الدعوة فى المسلمين وكيفية تقديمها إلى الطفل المسلم فى البيت وفى الحضانة وفى المدرسة وعند الشباب، وكذا منهج تقديمها لعموم الناس من المسلمين ، ثم بينت منهج تقديم الدعوة بحسب المكان المراد بثها فيه ثم إختتمت الدراسة ببيان منهج تقديمها لغير المسلمين وذكر الأسباب التى تعين على ذلك . ؛

وبعد فليتقبل منا الله عز وجل هذا العمل خالصا لوجهه الكريم ابتغاء مرضاته تعالى ونسأله العفو عن الخطأ والقصور إن كان، فهو غير مقصود فهذه بضاعة المقل وجهد العاجز وحيلة العائز وليقبلها أبناؤنا الطلاب

سائلا الله عز وجل أن يجدوا فيها مأربهم ، وأن تروى ظمأهم وأن تشفى سقمهم وأن ينفعنى وإياهم بها فى الدنيا ويوم الدين والله من وراء القصد هو نعم المولى ونعم النصير .

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

٢٨ جمادى الآخرة ١٤١٦ هـ

٢١ نوفمبر ١٩٩٥م

دكتـور

عبد الناصر أحمد حسيب صالح

التعريف بالدعوة

تمهيـــد

بادئ ذى بدء ينبغى أن ندرك أن الدعوة إلى الله عز وجل ليست مهنة أو وظيفة بيروقراطية لا تؤدى إلا بمقابل مادى ، وإنما هى رسالة ذات بواعث تقوم على مناهج تربوية إيمانية سلوكية ليست المادة فيها غاية ولا هدفا وإن سمح بها كوسيلة للتقوى على العمل والأداء.

وإذا كان التخطيط (النظرة المستقبلية) لسائر الأمور التى تهم الجنس البشرى للتغلب على العقبات والمشكلات التى تواجه الإنسان - أو قد تواجهه - فى آجله وعاجله على المدى القريب والبعيد على السواء أمرا لابد منه للإنسان فى حياته العامة فإنه مما لاشك فيه أن لاصلاح لحياته العامة (علاقته بالناس والكون) إلا إذا صلحت حياته الخاصة وإستقامت (علاقته بالله عز وجل) ليتحقق فيه صلاحية الذات ،وهو مالا يكون البتة ولن يكون أبدا إلا إذا وجد الداعية النابه الحصيف، المدرب تدريبا دقيقا على وسائل الدعوة مع مايلائمها من مناهج ، ولا يجدى التدريب نفعا مالم يكن المدرب (بالكسر) والمدرب (بالفتح) على درجة عالية من الكفاءة العلمية والقدرة الذاتية والاستعدادات الروحية ، وهو مايؤكد بدوره أن التخطيط للدعوة الإسلامية فى حاضرها ومستقبلها ضرورة لا غنى للدعوة عنه، إن أردنا للبشرية صلاحا ، ولسوف يتأتى بإذن الله تعالى لهذا مزيد بيان حسب موضعه من هذه الدراسة ، والآن نتساءل ماهى الدعوة ؟

مادة الدعوة فى اللغة :

ذكر صاحب القاموس المحيط [٢] أن كلمة (دعوة) مشتقة من دعا

---

(٢) القاموس المحيط -الفيروزأبادى جـ ٤ صـ ٣٢٩

يدعو أى من الدعاء وهو الرغبة فى نيل مقصود وحصول مأمول من الله عز وجل ، ويقال دعا دعاء ودعوى ، وتداعوا عليه أى تجمعوا ، ودعاه "ساقه " والنبى داع الله عز وجل، ويطلق على المؤذن ، ودعوته : سميته وهو من قوله تعالى (أياما تدعوا فله الأسماء الحسنى)[٣]

وذكر صاحب لسان العرب : إن الدعوة معناها النداء والاستدعاء أقول دعا الرجل دعوا ودعاء أى ناداه ، ودعوت فلانا دعوة أى صحت به واستدعيته ،وتداعى القوم أى دعا بعضهم بعضا حتى يجتمعوا ، والدعاة هم من يدعون إلى هدى أو ضلالة والداعية هو من يدعو الناس إلى دين والنبى داعى الله تعالى . وكذا المؤذن . [٤]

وأرباب اللغة جلهم على مثال ما ذكرنا وما ذاك إلا لأن (ألفاظ العربية عائلات وسلالات ، وبطون وأفخاذ أو جذع وفروع وسقيان وكما أن أفْراد القبيلة يرجعون إلى أب واحد ،فمعان الكلمات مهما تنوعت تعود إلى أصل واحد وترد إلى معنى أصل أو تدور من حوله ، وعائلات اللغة كعائلات البشر بعضها تضيق أفراده وبعضها الآخر يتسع ، ومن الشجر ماهو خميلة ، ومنها ماهو جدب متساقط الفروع والأغصان ، وكذلك ألفاظ اللغة واستعمالها منها ماهو جواهر المفردات ، ومنها ماهو هيئات جزئية تابعة لتلك الجواهر الكلية)[٥].

وأرباب اللغة وإن كانوا قد أتوا على أصول الكلمة من حيث معانيها

---

(٣) سوره الإسراء - جزء الأيه رقم ١١٠

(٤) لسان العرب - جمال الدين بن منظور حـ ١ صـ ٩٨٦ - ٩٨٧ ويراجع ايضا المعجم الوسيط - مجمع اللغة العربية جـ ١ صـ ٢٨٦ ومابعدها ط ١٤٠٠هـ ١٩٨٠ م

(٥) الدعوه والإنسان أ.د عبد الله يوسف الشاذلى صـ ٢٥ .

جملة وما قاربها من مفردات تتعلق بها فى اللغة إلا أن القرآن الكريم قد أثرى هذه المادة اللغوية وأضفى عليها من المعانى مالم تتسع له كتب اللغة.

مادة الدعوة وصيغ استعمالها فى القرآن الكريم :

ذكر بعض الباحثين أن مادة الدعوة وردت فى القرآن الكريم مائتان وثنتا عشرة مرة (٢١٢) (٦) تعددت صيغها وعبارتها وأساليبها، كما تعددت معانيها ،حسب وقوعها من الجملة ودارت مادتها على ست وسبعين صيغة(٧)

فقد جاءت على صيغة المضارع كما فى قوله تعالى (يدعون ربهم خوفا وطمعا ومما رزقناهم ينفقون)(٨)

وقوله تعالى (وأن المساجد لله فلا تدعوا مع الله أحدا) (٩)

وقوله تعالى (قل هذه سبيلى أدعوا إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعنى)(١٠)

وجاءت على صيغة الماضى كما فى قوله تعالى (قال رب إنى دعوت قومى ليلا ونهارا)(١١)

وقوله تعالى (وإنى كلما دعوتهم لتغفر لهم جعلوا أصابعهم فى آذانهم واستغشوا ثيابهم وأصروا واستكبروا استكبارا)(١٢)

(٦) يراجع : الفلسفة الحديثه فى الميزان - للعلامة الشيخ د/ محمد بن فتح الله بدران صـ ٤١٢
(٧) معجم الفاظ القرآن الكريم - مجمع اللغة العربيه صـ ٣٩١ - ٣٩٩
(٨) سورة السجده : أيه رقم ١٦
(٩) سورة الجن : آيه رقم ١٨
(١٠) سورة يوسف : ايه رقم ١٠٨
(١١) سورة نوح : آيه رقم ٥
(١٢) سوره نوج : آيه رقم ٧
(١٣) سورة مريم : آيه رقم ٩١

وقوله تعالى (أن دعوا للرحمن ولدا) (١٣)

وجاءت على صيغة الأمر كما فى قوله تعالى (وقال ربكم ادعونى أستجب لكم)(١٤)

وقوله تعالى (ادعوا ربكم تضرعا وخفية)(١٥)

وقوله تعالى (ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتى هى أحسن)(١٦)

وكذلك جاءت على صيغة إسم الفاعل كما فى قوله تعالى حكاية عن لسان الجن (ياقومنا أجيبوا داعى الله وآمنوا به)(١٧)

وجاءت أيضا على صيغة المصدر فى قوله - تعالى (له دعوة الحق)(١٨)

وكذلك على صيغة الإستفهام التقريعى كما فى قوله تعالى (أتدعون بعلا وتذرون أحسن الخالق الله ربكم ورب آبائكم الأولين)(١٩)

وعلى صيغة الاستفهام الإنكارى كما فى قوله تعالى (قل أندعوا من دون الله مالا ينفعنا ولا يضرنا)(٢٠)

وعلى صيغة الإستخفاف والسخرية كما فى قوله تعالى حكاية عن لسان الطاغية فرعون (وقال فرعون ذرونى أقتل موسى وليدع ربه)(٢١)

(١٤) سورة غافر : آيه رقم ٦٠

(١٥) سورة الأعراف : آيه رقم ٥٥

(١٦) سورة النحل : آيه رقم ١٢٥ .

(١٧) سورة الأحقاب : آيه رقم ٣١

(١٨) سورة الرعد : أيه رقم ١٤ .

(١٩) سورة الصافات : آيه رقم ١٢٥ ، ١٢٦

(٢٠) سوره الأعراف : آيه رقم ٧١ .

(٢١) سوره غافر : آيه رقم ٢٦

وكذلك كما فى قوله تعالى سخرية من الكافرين يوم القيامة (فليدع ناديه سندع الزبانية)[٢٢]

وعلى صيغة البناء للمجهول كما فى قوله تعالى (ومن أظلم ممن افترى على الله الكذب وهو يدعى الى الإسلام)[٢٣]

وقوله تعالى (يوم يكشف عن ساق ويدعون إلى السجود فلا يستطيعون خاضعة أبصارهم ترهقهم ذلة وقد كانوا يعدون إلى السجود وهم سالمون)[٢٤]

وهناك من الصيغ الكثير والكثير آثرت السكوت عليها تفاديا للتطويل المل وتخفيفا على أبنائنا طلاب العلم .

غير أنه من الضرورى إتماما للفائدة أن أوضح المعانى التى وردت عليها مادة " دعا " فى القرآن الكريم ويمكن إجمالها فى المعانى الآتية :

١- النداء والطلب . ٢ - السؤال . ٣- العبادة ٤- الاستغاثة

٥- الحث واستنفار الهمة . ٦- التمنى والاشتهاء ٧- النسب

٨ - الإدعاء ٩- التسمية .

وإليك ماذكره الأصفهانى [٢٥] فى مفرداته عن معانى هذه الكلمة فى القرآن الكريم حيث يقول :

(دعا : الدعاء كالنداء إلا أن النداء قد يقال بيا أو "أيا " ونحو

---

(٢٢) سورة العلق : آيه رقم ١٨،١٧

(٢٣) سورة الصف : آيه رقم ٧

(٢٤) سورة القلم : آية رقم ٤٣،٤٢

(٢٥) يراجع المفردات فى غريب القرآن - ابى القاسم الحسين بن محمد الراغب الأصفهانى - تحقيق محمد سيد الكيلانى دار المعرفه - بيروت صـ ١٦٩ - ١٧٠

ذلك من غير أن يضم إليه الاسم، والدعاء لا يكاد يقال إلا إذا كان معه الاسم نحو "يا فلان " وقد يستعمل كل واحد منهما موضع الآخر ، وقال تعالى (كمثل الذى ينعق بما لا يسمع إلا دعاء ونداء) ويستعمل استعمال التسمية نحو دعوت إبنى زيدا) أى سميته زيدا ومنه قوله تعالى (لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضا) (٢٦) حثا على تعظيمه وذلك مخاطبة من كان يقول يامحمد ، ودعوته إلى سألته وإذا استغثته قال تعالى (قالوا ادع لنا دبك) (٢٧) أى سله ، وقال تعالى (قل أرأيتم إن أتاكم عذاب الله أو أتتكم الساعة أغير الله تدعون إن كنتم صادقين ، بل إياه تدعون)(٢٨) تنبيها أنكم إذا أصابتكم شدة لم تفزعوا إلا إليه، وقوله (وادعوه خوفا وطمعا)(٢٩) وقوله (وادعوا شهداءكم من دون الله إن كنتم صادقين)(٣٠)

ثم قال :

والدعاء إلى الشئ الحث على قصده (قال رب السجن أحب إلى مما يدعوننى إليه) (٣١) وقال (والله يدعوا إلى دار السلام)(٣٢) وقال (ياقوم مالى أدعوكم إلى النجاة وتدعوننى إلى النار)(٣٣)

---

(٢٦) سورة النور : آيه رقم ٦٣

(٢٧) سوره البقره : آيه رقم ٧٠،٦٩،٦٨

(٢٨) سورة الأنعام : آيه رقم ٤١،٤٠

(٢٩) سورة الأعراف : آيه رقم ٥٦

(٣٠) سورة البقرة : آيه رقم ٢٣

(٣١) سوره يوسف : آيه رقم ٣٣

(٣٢) سوره يونس :آنس رقم ٢٥

(٣٣) سوره غافر : آيه رقم ٤١

وقوله (لاجرم أن ما تدعوننى إليه ليس له دعوة)[٣٤] أى رفعة وتنويها وشأنا) .

والدعوة مختصة بإدعاء النسبة وأصلها للحالة التى عليها الإنسان نحو القعدة والجلسة ، وقولهم دع داعى اللين أى غيره تجلب منها اللين والإدعاء أن يدعى شيئا أنه له والإدعاء فى الحرب : الإعتزاء ، قال تعالى (ولكم فيها ماتدعون)[٣٥] كأى ماتطلبون والدعوى الإدعاء . قال تعالى (فما كان دعواهم إذ جاءهم بأسنا)[٣٦] والدعوى : الدعاء ، قال تعالى (وآخر دعواهم أن الحمد لله رب العالمين)"ا هـ.

وخلاصة القول : أنه بالنظر فى آيات القرآن الكريم تلاحظ أن كلمة "دعوة" تفيد عدة معان كما ذكرنا عليك من قبل وإن من أخص هذه المعانى التى تفيدها أنها تطلق ويراد بها ترغيب الناس فى مقصود بعينه يتعين على الخلق جميعا التوجه إليه بالطاعة المطلقة والولاء الكامل ، وذلك لا يتأتى للعبد إلا بالمعرفة المبنية على العلم بدين الله تعالى ، والتى بدورها لا تتم إلا بوجود داعية - معلم - معرف - مبلغ - مبصر .

الدعوة فى إصطلاح علمائها :

للدعوة إلى الله عز وجل فى اصطلاح علماء الإسلام العديد من التعريفات تقاربت وتباعدت حسب نظرة كل منهم إلى مضمونها أحيانا وإلى مقصودها أخرى وإلى مادتها ثالثة وإلى ماينبغى أن يكون لها رابعة وإلى ماتحدثه خامسة ... الخ .

---

(٣٤) سورة غافر : آيه رقم ٤٣

(٣٥) سوره فصلت : آيه رقم ٣١

(٣٦) سورة الأعراف : آيه رقم ٥

وفيما يلى أسوق لك بعضا من هذه التعريفات :

ا - أنها : نداء الحق للخلق ليوحدوا المعبود ويعبدوا الواحد حنفاء لله غير مشركين به ، متبعين غير مبتدعين . (٣٧)

٢ - أنها : قبس من نور الله المبين ، وضياء من هدى إمام المرسلين (٣٨)

٣ - أنها : حث الناس على الخير والهدى ، والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر للفوز بسعادة العاجل والآجل . (٣٩)

٤ - أنها : نقل الأمة من محيط إلى محيط بتبصيرها بأمور الدنيا والدين على قدر الطاقة الإنسانية . (٤٠)

٥ - أنها : قيام العلماء المستنيرين من الدين بتعليم الجمهور من العامة وتبصيرهم بأمور دينهم ودنياهم على قدر الطاقة . (٤١)

٦ - أنها : الحركة الإسلامية فى جانبها النظرى والتطبيقى من حيث كونها حركة بناء للدولة الإسلامية ودفاع عن إستمرار وجودها . (٤٢)

٧ - أنها : برنامج كامل يضم فى أطوائه جميع المعارف التى يحتاج إليها الناس ليبصروا الغاية من محياهم وليستكشفوا معالم الطريق التى تجمعهم. (٤٣)

---

(٣٧) التخطيط للدعوه الاسلاميه وأهميته - عبدرب النبى ابوالمسعود صـ ١٩ نشر مكتبه وهبه

(٣٨) المرجع السابق نفس الصفحة

(٣٩) هدايه المرشدين - الشيخ على محفوط صـ ١٧

(٤٠) تذكره الدعاه : الشيخ البهى الخولى صـ ٢٩ طـ د الطباعة والنشر الاسلاميه سنه ١٩٤٥

(٤١) الدعوة إلى الاسلام - أبو بكرذكرى - صـ ٨ دار العروبه

(٤٢) يراجع : مشكلات الدعوه والداعيه - فتحى يكن صـ١٣ نشر مؤسسه الرساله

ويراجع أيضا : الدعوه الإسلامية فى عهدها المكى أ.د رؤف شلبى صـ ٣٦ طـ مجمع البحوث الإسلاميه سنة ١٩٧٤

(٤٣) مع الله : دراسات فى الدعوه والدعاه - الشيخ محمد الغزالى صـ ١٢ دار الكتب الإسلامية بالقاهره طـ ٦ سنه ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥ م

٨ - أنها : إسم جامع لرسالة الإسلام وتعاليمه من عقيدة وعبادات ومعاملات وشرائع وأحكام ، وسائر وسائل حمل الناس على هذه الرسالة وكذا أساليب التبليغ عن الله ورسوله على إختلاف مراحلها . وهى بذلك تشمل الوسيلة والغاية معا.

٩- أنها : نشر الدين ، وفضائل الدين ، وإظهار كلمة الله وجلاء محاسن الإسلام وتحبيب الإيمان إلى النفوس ، وتزيينه فى القلوب وتكريه الكفر والفسوق والعصيان .

١٠- أنها : أمر بمعروف ونهى عن منكر وتعاون على البر والتقوى وتواص بالحق والصبر والمرحمة .

١١ - أنها : النصيحة بلا فضيحة ، والتصحيح بلا تجريح .

١٢ - أنها : بلاغ الرسل ، وأمانة العلماء ورثة الأنبياء .

١٣ - أنها : جهاد السلم ، وبديل الحرب وإعداد المسلمين للإنتصار على نفوسهم وأعدائهم .

١٤ - أنها : دحض الأباطيل ومحاربة الأكاذيب وموا جهة الإنحرافات والتصدى للإلحاد فى شتى صوره ومسمياته.

١٥ - أنها : راية التضامن الإسلامى وعنوان المسئولية الجماعية فى الإسلام وميدان الجهاد المقدس للإئتمار بالمعروف والتناهى عن المنكر والتناصح فى الله خاصه ويخوضه الذين صدقوا ماعاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر.

١٦ - أنها : كل كلمة طيبة فى قول رشيد ورأى سديد ، وقلم نظيف ومقالة هادفة ، ومحاضرة بناءة وموعظة حسنة وتوجيه صالح وعلم نافع وكتاب

مفيد وإذاعة طيبة وسلوك على صراط الله المستقيم .(٤٤)

١٧ - أنها : فن يبحث فى الكيفيات المناسبة التى تجذ ب بها الآخرين إلى الإسلام أو يحافظ على دينهم بواسطتها. (٤٥)

١٨ - أنها : قيام من عنده أهلية الدعوة إلى الله بترغيب الناس إلى فعل الخير وتحذيرهم من الوقوع فى الشر وإنقاذهم مما وقعوا فيه وبيان محاسن الإسلام لغير المسلمون ليدخلوا فيه . (٤٦)

والتعريفات السابقة كلها جيدة لا بأس بها إلا أن أكثرها . يشوبه القصور أحيانا والإطناب الزائد عن الحد أحيانا أخرى وليس من بينها ماهو جامع مانع إذ أن جميعها تقريبا قد روعى فيه الوصف لا الحد ومراعاة بعض جوانب الدعوة لا جميعها وما هو عليه واقعها فعلا لا ما ينبغى أن تكون عليه .

ولعل أقرب هذه التعريفات إلى مانصبوا إليه هو التعريف الأخير مع إدخال بعض التعديلات عليه : بأن نقول :

الدعوة : هى قيام القاد ر المكلف بشرف توصيل كلمة الله تعالى ممن حملوا أمانة البلاغ عنه إلى كل من هو بحاجة إليها مهما تكن المشاق والمصاعب دون التعلق بالنتائج أو التعلل بها .

تعقيب وبيان :

ومن ثم فالتعريف يقصر الدعوة إلى الله عز وجل والتى هى برنامج

(٤٤) يراجع : الدعوة والدعاة فى منهج القرآن الكريم - محمد أبو طالب شاهين مجلد (١) بحث (٧) من ٤،٣ من بحوث المؤتمر العالى لتوجيه الدعوة والدعاه ١٣٩٧ هـ - ١٩٧٧ م - الجامعه الاسلاميه بالمدينه المنوره

(٤٥) الدعوه والانسان أ.د / عبد الله الشاذلى صـ ٣٩

(٤٦) الدعوة إلى الاسلام ووسائلها - د. سليمان الدبشه صـ ٨

عمل الإسلام على أهل الإختصاص أو التخصص الذين دربوا وعلموا على فقه الكلمة ووسائل نقلها ودبلوماسية آدائها ، ولا يجعلها كلأ مباحا يرتاده كل شارد ووارد ، ويجلس على مائدة مدارسته كل من هب ودب من المثقفين وأنصافهم ممن يقرؤن كتابا أو جملة من الكتب ذات إتجاه وفكر معين ثم إذ بهم يدعون أنهم صاروا دعاة إلى الله تعالى وأنهم أحق بالدعوة وأهلها.

كما أن التعريف فى الوقت الذى يقصر فيه فرضية الدعوة على أهل الإختصاص علما بقول الله تعالى (فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا فى الدين ولينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم لعلهم يحذرون)[٤٧] هو فى الوقت نفسه يضع حدا فاصلا بين الدعوة فى خصوصها وبين الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر فى عمومه من حيث كونه واجبا على كل أحاد الأمة على قدر إستطاعة واختصاص كل منهم . كما أنه لا يحدد مجال عمل الداعية بجهة يقصره عليها وإنما يفتح له المجال ليمارس مهمته وليؤدى أمانته فى المكان والزمان الذى تتوفر إليه فيه الحاجة مع القدرة سواء فى المسلمين وغير المسلمين ، كما أنه لا يجعل الداعية مسؤلا عن عدم إستجابة المدعوين له حتى لا يصاب بإحباط نفسى ، أو تمرد داخلى أو نكوص عن التكرار والتردد على هؤلاء المدعوين أو غيرهم بعلة الفشل أو معرفة النتائج مسبقا كما نرى فى كثير من الأحيان وعلى لسان كثير من الدعاة ، إذ التعا مل مع أصناف الناس يختلف عن التعامل مع المادة الصماء الخاضعة للتجربة المعملية حيث النتيجة المعروفة سلفا بخلاف البشر فكافر اليوم قد يؤمن غدا بفضل كلمة يوجهها داعية إلى الله تعالى.

---

(٤٧) سورة التوبه : آيه رقم ١٢٢

ولعلك تتدبر معى قول الله عز وجل لإمام الدعاة - صلى الله عليه وسلم - (فذكر إنما أنت مذكر لست عليهم بمسيطر)[٤٨]

وقوله تعالى (إن عليك إلا البلاغ) [٤٩]

وقوله تعالى (ماعلى الرسول إلا البلاغ) [٥٠]

وإذا كانت كهذه هى مهمة الأصل فمن تفرع عليه تبع له .

ولعلك تكون قد أدركت معى أن الدعوة إلى الله عز وجل ليست طفرة أو ظاهرة أو حركة تبدو على مسرح الحياة ثم سرعان ما تختفى وتزول ، وإنما هىء فريضة لها خصائصها ولها رجالها التى هى منهم بمنزلة الدم فى العروق أو الروح فى الجسد لا يغربون عنها وإن غرب الناس ، ولا يستطيعون المالقة بها ولا بيعها بالدرهم والدينار لأنها كل كيانهم وملء حياتهم . وشاغل بالهم إنهم جند الله المرابطين أبدا على ثغور الإسلام لو ترك أحدهم ثغره طرفة عين فى يقظة من عدوه لكان الخطب شديدا والمصاب أليما ، وأظننى لست بالمخطئ إذا قلت أنه ما ألمت بمجموع المسلمين فى بلد من بلاد الإسلام قط ملمة أو نزل بهم عدوهم فأصاب منهم مرامه ونال منهم مراده ، إلا وقد سبق ذلك غفلة كبيرة للدعاة أوضعف فى الد اعية [٥١] أو قصور فى برنامج الدعوة وسوء التخطيط لها ، وهذا بدوره هو مايدفعنا لبيان أهمية الدعوة إلى الله عز وجل .

---

(٤٨) سورة الغاشيه : آيه رقم ٢٢،٢١

(٤٩) سورة الشورى : آيه رقم ٤٨

(٥٠) سورة المائدة : آيه رقم ٩٩

(٥١) يراجع فى هذا الجانب كتاب : هموم داعيه للمرحوم فضيلة الشيخ محمد الغزالى .

أهمية الدعوة :

جاء الإسلام فى رسالته الخاتمة ليعيد لتعاليم الله صفاءها وليخلص الوحى القديم مما علق به من رواسب وما لحق به من تحريف فهو إصلاح عام ودعوة إلى تآلف الشعوب وتقارب الأمم وتوحيد البشرية على كلمة سواء . بدعوتهم جميعا إلى الأخوة الصادقة . والتخلى عن العنصرية والعصبية والقبلية وغيرها من ألوان الفرقة والتمزق البشرى وذلك بجمعهم على منهاج واحد فى العقيدة والشريعة والأخلاق والسلوك كى يعيشوا فى سلام وأمان ومحبة وتراحم وتكافل وتعاون . يتحقق من خلاله وصول المجمع الإنسانى إلى أرقى المستويات وأرفعها . فتنتقل الإنسانية من البداوة إلى الحضارة ومن المهانة إلى الكرامة . ومن الجاهلية إلى العلم . ومن الظلم إلى العدل . ومن الهمجية والبربرية إلى التعقل والإتزان . ومن الغوغائية والوحشية إلى الإستقرار والأمان .

ومن ثم فأهمية الدعوة إلى الإسلام إنما تعود إلى ذاتية الإسلام كدين إرتضاه الله - عز وجل - للبشرية لضبط حركتها فى الحياة والتى من خلالها تتحقق لأفرادها - كل على قدر درجته فى هذه الضبطية - درجة سعادته فى الأولى والآخرة . وبالتالى فإن الدعاة مسؤلون مسؤلية كاملة بين يدى الله عز وجل عن شرود أى إنسان فى الكون عن هذه الضبطية الإيمانية الإلهية لحركة الحياة . طالما كان ذلك بسبب تقصيرهم فى البلاغ عن الله وأداء ميراث الأنبياء من العلم الذى تعلموه لأنهم بذلك التقصير قد صاروا سببا رئيسيا فى شقاوته وتعاسته وعذابه فى الدنيا والآخرة .أفلا نتدبر قول الله عز وجل (وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا (٥٢) فما العذر إذا وقد

(٥٢) سورة الإسراء :آيه رقم ١٥

بعث الرسول وحمل الدعاه إلى الله من بعده أمانة البلاغ عنه فكيف إذا كان التقصير أو الإهمال ليس من جهة المبلغ (بالفتح) وإنما من جهة المبلغ (بالكسر) ثم ماذا يكون الأمر والدعوة الإسلامية الخاتمة دعوة عالمية عامة لا دعوة محلية أو قومية كسابقاتها من سائر الدعوات الربانية الخاصة ؟

إن هذا ولا شك يؤكد على مدى أهمية الدعوة ويكشف لنا النقاب عن ضرورة التعرف على ممكنات إبلاغها . وإعداد من سيكلفون بإبلاغها .ووسائل إعدادهم . وأساليب تربيتهم . وما ذاك إلا لأنها ليست بالأمر الهين . فمصير البشرية كلها مرهون بها وحياة الإنسان موقوفة على تعريفه بمادتها .

قال تعالى : (أو من كان ميتا فأحييناه وجعلناله نورا يمشى به فى الناس كمن مثله فى الظلمات ليس بخارج منها كذلك زين للكافرين ماكانوا يعملون)[٥٣] إنها إذا ضرورة إجتماعية .فضلا عن كونها قبل ذلك فريضة شرعية وإليك بيان ذلك :

أوجه فرضية الدعوة

الدعوة إلى الله عز وجل فريضة شرعية نبهت عليها آيات القرآن الكريم والأدلة على وجوبها كثيرة . منها :

١- قوله تعالى (ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون)[٥٤]

---

(٥٣) سورة الأنعام : آيه رقم ١٢٢

(٥٤) سوره آل عمران : آيه رقم ١٠٤ .

والآية واضحة فى الدلالة على وجوب الدعوة إلى الله عز وجل والتبصير بأوامره ونواهيه تبارك وتعالى .وذلك لمجئ لام الأمر فى قوله (ولتكن) غير أن قوله (منكم) نقلها من فرضية العين إلى (الإختصاص) ولا تنتفى فرضية العين فى حق مجموع الأمة إلا إذا أوجدت جماعة الإختصاص . وعند وجود أهل الإختصاص تصير الدعوة فى حقهم فرض عين وذلك إنما يتحقق بتوفر الشروط فيهم .كما يسقط بذلك الوجوب عن الباقين .وإلا أثمت الأمة كلها . كما أن لسائر آحاد الأمة - من غير جماعة الإختصاص - عند رؤية المنكر بجاهرية أصحابه . فى غياب أهل الإختصاص . أن يتصدى لتغيير هذا المنكر على حسب قدرته كما هو واضح من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم " من رأى منكم منكرا فليغيره بيده فإن لم يستطع فبلسانه فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان " (٥٥) بحيث لا يقع بتغييره للمنكر فى منكر أشد منه أو مساولة لأنه بهذا يضر أكثر مما ينفع . ويصير كالأعمى الذى أراد أن يصيب غيره فأصاب نفسه أو كالذى أراد أن ينقذ غيره فأهلك نفسه .

٢ - قوله تعالى (إن الذين يكتمون ما أنزلنا من البينات والهدى من بعد ما بيناه للناس فى الكتاب أولئك يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون) (٥٦)

قال الحافظ ابن كثير : (٥٧) هذا وعيد شديد لمن كتم ماجاءت به الرسل من الدلالات البينة على المقاصد الصحيحة والهدى النافع للقلوب

---

(٥٥) أخرجه مسلم فى كتاب الإيمان برقم ٧٨ ، والترمذى فى الفتن باب (١١) والنسائى فى الإيمان باب ١٧ ، وأحمد م٣ص ٤٩،٢٠

(٥٦) سورة البقره : آيه رقم ١٥٩

(٥٧) يراجع تفسير القرآن العظيم - للإمام ابن كثير جـ ١ . صـ٢٠٠ حـ ١ طبعه الحلبى بمصر

من بعد مابين الله تعالى لعباده فى كتبه المنزلة على رسله .

ثم إستثنى من جملة اللعن من يتخلون عن كتمانهم للعلم ومن يقومون بمهمتهم فى البلاغ عن الله جل وعلا . فقال تبارك وتعالى : (إلا الذين تابوا وأصلحوا وبينوا فأولئك أتوب عليهم وأنا التواب الرحيم)(٥٨)

٣- قوله تعالى (لولا ينهاهم الربانيون والأحبار عن قولهم الإثم وأكلهم السحت لبئس ماكانوا يصنعون)(٥٩)

وفى تعليقه على هذه الآية روى الإمام إبن جرير الطبرى(٦٠) عن ابن عباس رضى الله عنهما أنه قال : "مافى القرآن آية أشد توبيخا من هذه الآية ".

وعن الضحاك أنه قال (٦١) "مافى القرآن آية أخوف عندى منها إنا لاننتهى "

وروى ابن أبى حاتم عن يحيى بن يعمر قال (٦٢) " خطب على بن أبى طالب رضى الله عنه فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : أيها الناس : إنما أهلك من قبلكم بركوبهم المعاصى ولم ينههم الربانيون والأحبار فلما تمادوا فى المعاصى أخذتهم العقوبات .فمروا بالمعروف وأنهوا عن المنكر . قبل أن ينزل بكم مثل الذى نزل بهم واعلموا أن الأمر بالمعروف والنهى عن

(٥٨) سورة البقره : آيه رقم ١٦٠

(٥٩) سورة المائده :آيه رقم ٦٣

(٦٠) يراجع : فتح القدير - العلاقة المحدث محمد بن على الشوكانى م ٢ صـ٥٦ ط دار الفكر -بيروت

(٦١) تفسير ابن كثير جـ ٢ صـ ٧٤

(٦٢) المراجع السابق نفس الصفحة وقد ذكر فى هذا الشان غيره من الروايات عن أحمد وابن جرير رضى الله عنها

المنكر لا يقطع رزقا ولا يقرب أجلا .

٤ - قوله تعالى (والعصر . إن الإنسان لفى خسر . إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر) (٦٣)

فقد أقسم الله - عز وجل - على خسران الإنسان من حيث هو - أى كل جنس الإنسان - ثم إستثنى من توفرت فيهم هذه الصفات الأربع : الإيمان -والعمل الصالح - والتواصى بالحق و هو الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر . والتواصى بالصبر سواء أكان على الأقدار أم على الطاعات أم عن إرتكاب المعاصى . أم على مايصيبهم من أذى بسبب دعوتهم الغير إلى الخير ،وأمرهم بالمعروف ، وهو الحق الصادر من قبل الله عز وجل . ونهيهم عن المنكر وهو الباطل الذى قبح الله عز وجل صنيعه وإرتكابه وإستنكر صدوره من أقوام على لسان رسله وأنبيائه الكرا م عليهم الصلاة والسلام . لأن معرفة المعروف والمنكر فى الشرع يحتاجان إلى علم وفقه . ولهذا لابد لكل من يقوم بهذا الواجب من توفر شرطى العلم والفقه ، أما الإقدام على الدعوة مع الجهل . فهو جريمة فى حق الدعوة والمدعو وهو من قبل جريمة فى حق العلم والدين . لأنه يؤدى إلى الإفساد والإضلال و إتباع الهوى وقلب موازين الحياة ومقصود الدعوة منها ويكون الخسران لا محالة .

٥- قوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا عليكم مأنفسكم لا يضركم من ضل إذا إهتديتم إلى الله مرجعكم فينبئكم بما كنتم تعملون)(٦٤)

وقد فهمت هذه الآية - عند بعض الناس - على غير المراد منها فى زمن الخليفة الأول " أبى بكر الصديق رضى الله عنه " حتى إستشعر

(٦٣) سورة العصر بتمامها

(٦٤) سورة المائدة : آيه رقم ١٠٥

السلبية فيهم فقام فيهم خطيبا محذرا إياهم من هذه السلبية نحوالأمر بالمعروف والنهى عن المنكر وذلك فيما رواه الإمام أحمد فى مسنده قال:(٦٥)

"عن أبى بكر رضى الله عنه قال : يأيها الناس : إنكم تقرؤن هذه الآية (يأيها الناس عليكم أ نفسكم ...) وإنكم تضعونها على غير موضعها وإنى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : "إن الناس إذا رأوا المنكر ولا يغيرونه يوشك الله أن يعمهم بعقابه " وهكذا صحح الخليفة الأول ماترامى إلى وهم بعض الناس فى زمانه من هذه الآية الكريمة ونحن اليوم أحوج إلى هذا التصحيح . وما ذاك إلا لأن الممارى والمتقاعس يعلق كسله عن أداء واجبه فى الدعوة إلى الله والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر علي سؤ فهمه لهذه الآية قائلا فى تبجح أليست هذه آية من كتاب الله ؟

بل إن الأدهى من هذا والأمر أن أكثر الجهلة - فى زماننا - يستخدمونها لتثبيط همة بعض الناشئة من الدعاة . خصوصا إذا ماكانوا يلمسون واقعا سيئا أو يعالجون مرضا خبيثا سيطر على نفوس غلبة الناس أو ذوى السلطان والجاه فيهم والأدهى منه أ يضا أن من العامة وأنصاف المثقفين من يقول هذا لناشئة الدعوة أو بعض الدعاة من باب الحرص عليهم وعلى أسرهم وأولادهم والحفاظ على لقمة العيش ثم يذيلون كلامهم بقولهم :

---

(٦٥) المسند - الامام احدم بن حنبل م١ صـ٤٣ ، صـ٥٤ ، صـ٦٩ ، صـ١٦١ - وعقب عليه ابن كثير عند تفسير للآيه وذكره إياه بقوله :- وقد روى هذا لحديث أصحاب السنن الأربعة وابن حبان فى صحيحه وغيرهم من طرق كثيره عن جماعة كثير ه عن اسماعيل بن أبى خالد متصلا مرفوعا ومنهم رواه عنه به موقوفا على الصديق - رضي الله عنه - وقد رجع دفعه الدارقيطنى وغيره - يراجع تفسير بن كثير حـ٢ صـ ١٠٩

"دع الملك للمالك " وأمثال هذه العبارات .وهى عبارات صحيحة ألبست ثوب الباطل ..أو ليس بالحرى أن ندرك مامن الله - عز وجل - به على البشرية من نعمة التواصل فى الدعوة إلى الله . وإصطفائه أنقى الناس وأطهرهم للقيام بمهمة تعريف الناس بميراث إمام الأنبياء عليهم الصلاة والسلام . وأنه تعالى قد حملهم مسؤلية النصح لعباده وتبصيرهم وتعريفهم بما يصلح عليهم ولهم دنياهم وأخراهم ؟

ولكن لأن القيام بتكاليف التغيير للمنكر قد صارت أشق . فما أيسر ما يلجأ الضعاف إلى تأويل هذه الآية على النحو الذى يعقيهم من تعب الجهاد فى سبيله ومشاقه . ويريحهم من عنت الجهاد وبلائه ...

ومن هذا كله يتأكد لك :

أن الأمة المسلمة متكافئة فى أمر الدعوة إلى الله عز وجل والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر . وأن أحدا لا يسقط عنه هذا الحق لله عز وجل . فإن عليها أن تتضامن فيما بينها وأن تتناصح وأن تتواصى وأن تهتدى بهدى الله تعالى ، الذى جعل منها أمة مميزة عن سائر الأمم بما إهتدت إليه من دين الله أمة مستقلة منفصلة عن غيرها من الأمم ،من نور الله يستبين نورها وترفع رايتها ويعلوا مجدها فى الأرض ، فلا يضرها أمم الضلال . لتوحدها فى الدعوة والهدف وصدق العقيد ة . والإخلاص فى العمل . وإدراك مسؤلياتها تجاه دينها .

ومن ثم فليس معنى أن ضررا لن يقع عليها إذا إهتدت . أن تتخلى الأمة المسلمة عن تكاليفها الشرعية ومسؤليتها فى دعوة الغير الى الخير .مع دوام التواصى بالحق والخير فيما بينها حتى تكون دعوة للناس جميعا

إلى الهدى .والذى هو دينها عقيدة وشريعة ونظاما وأخلاقا .

فإذا ما أقامت نظامها فى الأرض . وانتظمت هى به وله وعليه . بقى عليها وسهل أن تدعو الناس كافة إليه وأن تعمل على هدايتهم وبقى عليها أن تباشر القوامة على الناس كافة . تحقيقا للعدل بينهم ودفعا للظلم عنها . ولتحول بينهم وبين الضلال والجاهلية التى من الله عليهم بأن أنقذهم منها . وخلصهم من غوغا ئتها وهمجيتها ومفاسدها .

يقول صاحب الظلال (٦٦) - رحمه الله - :

(إن هذه الآية لا تسقط عن الفرد ولا عن الأمة التبعة فى كفاح الشر ومقاومة الضلال ومحاربة الطغيان . وأطغى الطغيان الإعتداء على ألوهية الله وإغتصاب سلطانه . وإغتيال شريعته بتعبيد الناس لشريعة غير شريعة الله فى الأرض . وهو المنكر الذى لاينفع الفرد ولا ينفع الأمة أن تهتدى وهو قائم لم يواجه للقضاء عليه .

وهكذا يبين لك أن الدعوة إلى الله فريضة شرعية وبعد أن بينا كون الدعوة إلى الله عز وجل فريضة شرعية بقى أن نبين كونها ضرورة إجتماعية أوسمها ضرورة عقلية إن صح كون المجتمع عاقلا يدرك أفراده مالا غنى لهم عنه . وهو ما نتناوله فيما يلى :

الدعوة إلى الله ضرورة إجتماعية :

إن الدعوة إلى الله - عز وجل - من حيث كونها ضرورة إجتماعية ليست بأقل شأنا من كونها فريضة شرعية ، وليس أصدق على هذه الحقيقة دلالة من واقع البشر حتى - للأسف - أكثر من يحسبون على الإسلام .

---

(٦٦) براجع : فى ظلال القرآن - سيد قطب م٢ جـ٧ صـ٩٩٢ ط دار الشروق رقم ١٢ سنه ١٩٨٦ - ١٤٠٦ هـ

وإذا كانت التجربة البشرية هى أوثق العرى فى الدلالة على هذا الأمر. وهى الحكم الذى يرجع إليه فى إثبات حتمية الدعوة إلى الله - عز وجل - بين سائر الناس .

فلقد أثبتت التجربة البشرية أن الناس كما لا يستغنون عن رزق الله - عز وجل - حتى يتحقق صلاح أجسادهم للحياة . فإنهم كذلك لا يستطيعون الإستغناء عن وحى الله عز وجل لهداية أرواحهم والذين بهما معا تكون إنسانية الإنسان . وإذا كان الطريق إلى غذاء الجسد هو الإقتيات عن طريق التكسب والجهاد والكد ، فإن غذاء الروح أيضا هو الوحى الإلهى . الذى يتوارثه العلماء من الأنبياء عن طريق العلم والتعلم والتعليم والبشارة والإنذار والجهاد والكد حتى تصل كلمة الله إلى خلق الله وما ذاك إلا بالدعوة والتوجيه والقيادة على طريق الله عز وجل بالإخلاص والصدق . والواقع قد أثبت أنه مهما أوتى الأنسان من ذكاء أو صفاء فإنه لن يستطيع تدبير شأنه وإصلاح أمره بعيدا عن وحى الله وتعليم أنبيائه .

وقد تكون مواهب الإنسان المادية والأدبية كبيرة وربما مرت به أوقات يشعر فيها أنه ليس فى الحسبان أحسن مما كان وأنه بحسبه ما وصل إليه بفكره وأسعفته به قواه ، فإذا به يبوء بالخسران والبوار ثمنا لغروره وبعده عن منهج الله وصراطه المستقيم .

وبعيدا عن هدى الله عز وجل سيكدح الإنسان - ما إن ظل على بعده وجفائه - ومضيه وحده محروما من عناية الله ثم يلتفت إلى مكاسبه بعد ما جرى شوطا طويلا فلا يجد شيئا ، كالذى يدور فى حلقة مفرغة ، حين

يكتشف أن جهوده التى ذهل فيها عن ربه كانت عليه وبالا (٦٧) . وهو مايؤكده قول الله عز وجل (قل هل ننبئكم بالأخسرين أعمالا ؛ الذين ضل سعيهم فى الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا أولئك الذين كفروا بآيات ربهم ولقائه فحبطت أعمالهم - أى فسدت فى الدنيا - فلا نقيم لهم يوم القيامة وزنا)(٦٨)

وحقيقة الأمر أنه لا غنى للإنسان عن وحى الله وتوفيقه فى خطواته نحو، السعادة والفلاح والصلاح فى الدنيا والآخرة ، ولله در القائل :

إذا لم يكن عون من الله للفتى ... فأول مايجى عليه إجتهاده .

ولو أنناااستقرأنا حال العالم من نصف قرن فحسب لوجدنا أنه يتقلب بين فلسفات شتى ظهرت على مسرح الحياة تحت مسميات عديدة بعضها ينكر وجود الله أصلا ، والبعض الآخر يسئ معرفته ، ويغلب هواه على وحيه .

فماذا كانت النتيجة ؟ شقاء يرجم العالم بالدماء فى وقت الحروب ، ويرجمه بالقلق فى وقت السلم ، فهو بين الحرب والسلم موتور الأعصاب فارغ الفؤاد ، فى رعب دائم وهم مستمر ، وفى المقابل تجد هناك فريقا من البشر ميسر اللذائذ ، مفلت الزمام ، ترتع فى الدنيا رتع البهائم الهائمة على وجوهها فى الربيع ، أو كالنار فى الهشيم ، وكأنهم عجول تسمن كى تذبح، فإما أعطبتها فتن الحياة التى إرتكست فيها وإنتشرت بينها الأوبئة وتفشت فيها المهلكات من الأمراض ، وإما أخر لها جزاؤها فى جهنم تدعواثبورا وتصلى سعيرا.

---

(٦٧) يراجع : مع الله دراسات فى الدعوه والدعاه - الشيخ الغزالى صـ ١٧ ومابعدها .

(٦٨) سوره الكهف : الآيات من ١٠٣ - ١٠٥

إن الحاجة الى وحى الله وقيادة الرسل دائمة مادام على الأرض إنسان.

وهم لادليل عليه :

والذين يقولون :(٦٩) أنه يمكن الإستغناء عن الوحى الإلهى وعن الدعوة إلى الله وتبصير البشرية بمضمون هذا الوحى بحجة أن الإنسان يعيش عصرالحضارة والتكنولوجيا والتقدم ، وأن التعلق بالوحى الإلهى والدعوة إلى دين الله عز وجل رجعية وتخلف وعودة بالإنسان إلى القرون الوسطى ، ووقوف بالإنسانية عند درجة معينة من الفكر الذى لا يواكب مقتضيات العصر المتقدم فى مجال العلوم التجريبية وعصر الفضاء ، وأنه تعطيل لقوى العقل والعلم الخلاقتين ، هم فى حقيقة أمرهم واهمون مثلهم مثل إبليس سواء بسواء .

إنه نوع من الشقشقة الفارغة ليس وراءها جد فى الصلة بالله والأخذ عنه ، وتحكيم شرعه ، والتهيؤ لحسابه فى يوم الدين ،وقد مرت بالعالم عصور طوال ، ليس من بينها عصر خفت فيه حاجة الإنسان إلى دعوة الله عز وجل وصوت وحيه تعالى ، لكن هذا العصر الذى نعيش فيه هو أشد العصور فقرا إلى الإتصال بالله ، والإنعطاف الى الدين ، والتوقير لكلمات الله بما حوت من فضائل ومثل عليا ، ترسم للحياة السعيدة طريقها وآدابها وأخلاقها ورقيها الشرعى .

ذلك أن الرقى العقلى المحض الذى بلغته الإنسانية يجعل مستقبلها على حافة الهاوية أو قل على شفاجرف هار مالم يقترن هذا الرقى باكتمال

---

(٦٩) يراجع فى هذا كتاب الاسلام يتحدى مدخل علمى إلى الايمان - وحيد الدين خان

روحى معتمدا على وحى الله ودعوة رسله الكرام . (٧٠)

إن الذكاء الحاد فى الرجل الخبيث سلاح شر وأداة فتك وما يعيب أحد ذكاءه ، وإنما يعيب صاحبه أن يسخره فى المعاصى والآثام .

ونحن الآن فى عصر يظن الإنسان فيه أنه امتلك الكون بمافيه ومن فيه وأوتى مفاتيح الفضاء فهل يمكنأن يكون هذا الظن بشير خير؟ كلا إنه نذير شؤم لأنه جفاء قلبى وجفاف روحى وإنقطاع رهيب عن الله - عز وجل- رب العالمين ، وصدود غريب عن تراث الأنبياء ، وغلبة للأثرة والجشع على الأقوياء وسيادة للمنطق المادى فى كل شئ، وأى تقدم يحرزه العلم فى تلك الميادين تحت مظلة هذا المنطق لا يبعث على التفاؤل مالم يصحبه عود سريع إلى الله عز وجل وإعزاز لأمره وإعلاء لشرعه.

إننا مع إحترامنا البالغ للعقل الإنسانى والضمير الإنسانى ، لا نرى فيهما غناء عن كلام الله وسنن المرسلين ، ذلك أن هناك معارف تتصل بذات الله وماينبغى له ، وما كلف به عباده من فرائض لا مجال لمعرفتها إلا من مبلغ عن الله موثوق بأخباره .

---

(٧٠) ظلم الإسلام وظلمت دعوته ، وظلمت حضارته بسبب ظلام المسيحيه الصليبية فى الغرب وتصديها للعقل والعلم التجريبى والتقدم البحثى مما جعل الغرب بحقده الأسود السلفي على الإسلام واهله يتهم الدين الحق وأهله - ولايزال - بالجمود والتخلف ويلقى بتبعة ذلك كله على الإسلام ودعاته وهما منهما براء - للمزيد يراجع : واقعنا ومستقبلنا فى ضوء الاسلام وحيدالدين خان - ترجمة د- سمير عبد الحميد ابراهيم . صـ ٢٤٨ - ٢٦٣ - نشردار الصحوه سنه ١٩٨٤ ويراجع ايضا : ماذا خسرالعالم بانحطاط المسلمين - أبى الحسن على الحسنى الندوى صـ ١٥٦ - ١٩٥ «والفصل الأول من الباب الرابع بعنوان " اوربا الماديه) طـ ٧ سنه ١٤٠٢ هـ - ١٩٨٢ م - دار عمرين الخطاب النشر والتوزيع بالأسكندريه . ويراجع كذلك أيضا : الإسلام والنصرانيه مع العلم والمدينية - الامام محمد عبده فى رده وازالته لشبه بعض علماء أوروبا الجائرين صـ ٩٠- ١١٤ . مطبعة صبيح بالقاهره ١٩٥٤ م ١٣٧٣ هـ

يقول الداعية الشيخ الغزالى : (٧١)

وأعرف أن بعض الناس يزهد فى معانى العقيدة وضروب العبادة لا لشيئ ، إلا لأنه فى أعماق نفسه مكذب بوجود الله مستهزئ بما أوجب من صلاة وصيام مهما أظهر غير ذلك .

ثم إن هناك أحكاما شخصية وإجتماعية ودولية فصلها الحق تبارك وتعالى فى وحيه المحفوظ (القرآن الكريم) والإستمساك بها إنفاذا لأمر الله تعالى وضمانا لمصالح الناس مهما جادل المجادلون .

وقد تصل بعض المذاهب الإجتماعية والإقتصادية إلى أطراف أو أجزاء صغيرة أو كبيرة من رعاية المصالح العامة ، بيد أن ذلك لا يغنى عن الحق النازل من عند الله، ولا يسد أبدامسده ، بل إن الإفتتان به لا يزيد العالم إلاضلالا وبلبلة .

لقد رأينا أناسا فى ظل العقل الإنسانى والضمير الإنسانى وبإسمهما يرون الإلحاد تفكيرا حسنا والزنا عملا عاديا والربا قاعدة عادلة ، واللواط حرية شخصية ، وزواج الرجل بالرجل أمرا مباركاداخل الكنائس الغربية يباركه القساوسة فى الغرب الأوربى كما حدث فى السويد منذ عدة أسابيع ونشرته صحيفة الأخبار القاهرية فى أغسطس سنة ١٩٩٥ م ،من قبله فى إنجلتراسنة ١٩٧٦ م وكذا فى بريطانيا والولايات المتحدة الأمريكية على مرأى ومسمع من العالم ، وظلم الأمم المختلفة شيئ لاحرج فيه حتى رأينا أمما تباد وقد حرم عليها امتلاك السلاح والدفاع عن نفسها وأوطانها ، من أمثلة مايحدث على الساحة اليوم فى الشيشان والبوسنة والهرسك والعراق

(٧١) مع الله - دراسات فى الدعوه والدعاه صـ ١٩ .

وليبيا ومن قبل فلسطين ورأينا ونرى احتقار جنس ما لجنس آخر حقا ، كما كان ولا يزال فى إفريقيا وأمريكا وغيرهما .

والحضارة التى تسود الشرق والغرب جميعا وإن أعرضت عن قيام دعوة الألوهية وسلمت لبعض الأتباع الحانين عليها فهى - فى ظل العقل والضمير كما يقال - لاتسمح بإمتدادها إلى خلق أو سلوك أو سياسة ، كأن الخلق والسلوك والسياسة يجب أن تعزل عن الله تعالى . وماذاك إلا لأن بينها وبين الله عداوة لا تهدأ.

فما قيمة عقل يصد عن الله وما قيمة ضمير يستسيغ ذلك الصدود ؟ فى عالم تحكمه النفعية والمصلحة والأنانية ؟

وأى خير للناس إذا حرموا السير مع وصايا ربهم وتوجيهاته ؟ إن الوحى الإلهى دواء العلل وإسعادمن نصب ، وصدق الله إذ يقول: (وننزل من القرآن ماهو شفاء ورحمة للمؤمنين)(٧٢) فمتى يستسغنى العليل عن الشفاء ؟ ومتى يستغنى الشقى عن الرحمة ؟

إننا حين نقول إن العالم بحاجة ماسة إلى الدين وإلى دعاة ينشرونه فى الأرض ، أشد من حاجته إلى الطعام والشراب لا نقول إنه بحاجة إلى أى دين ولا إلى أى دعوة ولا إلى ثرثرة لا طائل من ورائها وإنما نقصد أنه بحاجة إلى الإسلام وإلى دعاة للإسلام بل إلى جيش من الدعاة من طراز خاص .

موجبات هذه الضرورة :

لقد رأينا فيماسبق أن الدعوة إلى الإسلام ضرورة إجتماعية وإننا -

---

(٧٢) سورة الإسراء : آيه رقم ٨٢

والعالم كله بحاجة ماسة إلى هذه الدعوة - وإلى داعية من طراز خاص يحتاج إلى صياغة خاصة ليحمل تكاليف الحق جل جلاله ،وأنها - فى ظل مايعانى منه العالم اليوم وما يشاع فيه من فلسفات وأفكار ومذاهب فاسدة - تكاليف مرهقة تحتاج إلى تدريب جيد وإعداد خاص ، لأنها ليست نزهة مسلية فى منتجع من الأرض ، ولا عرضا قريبا ولا سفرا قاصدا دينا ، إنها الدعوة ، إنها تشييد بناء متين يستظل فيه الناس بظل الله فى الأرض ويستروحون فيه عدله ورحمته فى ظل تحكيم شريعته وتطبيق منهجه .

إنه بناء يقام لله إبتغاء مرضاته ، ويكون الحكم فيه لله ، لا لشخص من الأشخاص ، ولا لمصلحة من المصالح والأهواء ينبغى أن تكون تابعة له ، وحارسة عليه ..

إنه بناء فى حاجة إلى حماية ووقاية من ثرثرة الأعداء الذين يكرهون صوت الله ، ويرفضون «لا إله إلا الله» لأنها تسلبهم ما اغتصبوه من عباد الله ، تسلبهم السلطان وترده إلى الله ، أو لأنها تضبطهم بميزان الله ، وهمم يردون الإنفلات بماتمليه عليهم شهواتهم .

ومن ثم فموجبات هذه الضرورة تتلخص فى أمور من أهمها :

أولا : أن الناس فى حاجة إلى من يبين لهم ما أمر الله به ليقيم الحجة عليهم ، وهذه مهمة رسل الله عز وجل وأتباعهم إذ لا عقوبة دون نذارة وصدق الله العظيم إذ يقول :(وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا) (٧٣) وقوله : لتنذر قوما ما أنذر آباؤهم فهم غافلون)(٧٤) (لينذر من كان حيا

(٧٣) سورة الإسراء :آيه رقم ١٥

(٧٤) سورة يس :آيه رقم ٦

ويحق القول على الكافرين (٧٥) أى بالإنذار.

ولما كان النبى صلى الله عليه وسلم هو وارث علم الأنبياء جميعا وخاتمهم بما إختصه الله به من وحى ، ، وليس من بعده نبى ولا رسول صارت أمته من بعده على وجه العموم ، والعلماء فيها على وجه الخصوص هم المكلفون شرعا بتحمل هذاالميراث المحفوظ والفقه فى بلاغة إلى الغير حتى تقام الحجة بالإنذار ويسقط العذر عنهم فى هلكة من آثر الهلكة على النجاة والضلال على الهداية ، (ليهلك من هلك عن بينة ويحيا من حى عن بينه)(٧٦) (ويحق القول على الكافرين)(٧٧)

ثانيا :أن دنيانا التى نحياها فيها من نوازع الشر والمطامع والأهواء الكثير ، وأن وراء هذه النوازع والمطامع والأهواء شياطين من الإنس والجن دأبوا على المعصية ومخالفة صريح النص وصحيح العقل وهم أحفاد إبليس اللعين عليه لعنة والملائكة والناس أجمعين . هؤلاء الأحفاد يودون أن تشيع فى الناس كل ألوان الشرك والفسوق والفجور والمعاصى والفواحش ، ظاهرة وباطنة حتى لا يكون فى الناس من الطائعين المؤمنين بالله وحده لا شريك له ، من تقوم به الحجة عليهم ، ويكون الكل سواء فى البعد عن منهج الله وشريعته والتزام أوامره وإجتناب نواهيه ، ومن ثم فهم يزينون للناس الفساد . ويسهلون لهم سبل المعاصى ويرسمون لهم خطط المراء والجدال فى الباطل ، ويدعونهم إلى مجالسهم وأنديتهم ، ويوفرون لهم وسائل إرتكاب الرذائل وجو الوقوع فى الفواحش ، والقرآن الكريم يصور حال من يقع فى براثن

---

(٧٥) سورة يس :آيه رقم ٧٠

(٧٦) سورة الأنغال : آيه رقم ٤٢

(٧٧) سوره يس : الآيه رقم ٧٠

هؤلاء أفضل تصوير فيقول جل جلاله (كالذى إستهوته الشياطين فى الأرض حيران له أصحاب يدعونه إلى الهدى ائتنا قل إن هدى الله هو الهدى وأمرنا لنسلم لرب العالمين) (٧٨)

ويقول عن هؤلاء الشياطين أنفسهم (ودوا لو تكفرون كما كفروا فتكونون سواءً)(٧٩) ثم يقول محذرا أهل الإيمان منهم (فلا تتخذوا منهم أولياء)(٨٠) ولذلك فإنك ترى هؤلاء يتعاونون فيما بينهم ليجذبوا إليهم من يستطيعون من ضعاف العقول ، فارغى القلوب ممن هم على شاكلتهم يقول الله تعالى (والمنافقون والمنافقات بعضهم من بعض يأمرون بالمنكر وينهون عن المعروف ويقبضون أيديهم نسوا الله فنسيهم إن المنافقين هم الفاسقون(٨١)وإذا كان هذا هو حال أهل الباطل والفسق والفجور والنفاق ، فإن الحرى بأهل الحق وأرباب الإيمان وأهل الفلاح أن يتعاونوا فيما بينهم على الخير لينشروا الحق والفضيلة حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله (والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويطيعون الله ورسوله أولئك سيرحمهم الله، إن الله عزيز حكيم) (٨٢) إذ لابد من مواجهة المفسدين فى الأرض والتصدى لانحرافهم ، حتى لا يفتن الآخرون بهم ، وحتى لايخر عليهم السقف من فوقهم ، ويصبحون كالتى نقضت غزلها من بعد قوة أنكاثا ، وهذا لا يتم البتة إلا بقيام القائمين على أمر الدعوة إلى الله – عز وجل – بواجباتهم تجاه مجتمعهم وإحياء فريضة

---

(٧٨) سورة الأنعام :آيه رقم ٧١

(٧٩،٨٠) سوره النساء :آيه رقم ٨٩

(٨١) سورة التوبه : آيه رقم ٦٧

(٨٢) سورة التوبة : آيه رقم ٧١

الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، وإلافسوف يخرق السفهاء - وما أكثرهم - وما أكثر حيلهم ومؤامراتهم ومؤتمراتهم السفينة التى نركبها جميعا إشباعا لشهواتهم ورغباتهم ، وحينئذ يتسع الخرق رويدا رويدا على الراقع ولا ينجو أحد ممن على ظهرها كما جاء فى حديث النبى صلى الله عليه وسلم - والذى يقول فيه : "مثل القائم على حدود الله والواقع فيها كمثل قوم استهموا على سفينة فأصاب بعضهم أعلاها وبعضهم أسفلها ، فكان الذين فى أسفلها إذا استقوا من الماء مروا على من فوقهم ، فقالوا : لو أنا خرقنا فى نصيبنا خرقا ولم نؤذ من فوقنا ، فان تركوهم وما أرادوا هلكوا جميعا وإن أخذوا على أيديهم نجوا ونجوا جميعا"(٨٣)

ويصدق قول الله عز وجل (واتقوا فتنة لاتصيبن الذين ظلموا منكم خاصة واعلموا أن الله شديد العقاب) (٨٤)

قال ابن كثير (٨٥) عن إبن عباس رضى الله عنهما أنه قال : "أمر الله المؤمنين أن لايقروا المنكر بين ظهرانيهم فيعمهم الله بالعذاب " وذلك لأن الباطل لا يمكن أن ينتشر ويسود فى الناس إلا إذا سمح دعاة الحق له أن ينتشر ويسود بغيابهم أو تغييبهم عن الساحة وتقليص دورهم فى أداء واجبهم ، أو بتنصلهم من القيام بدورهم فى قيادة المجتمعات إلى الله عز وجل ، وإلا فمن يقذف بالحق على الباطل ليدمغه فإذا هو زاهق إذا تنصل أهل الاختصاص ؟

---

(٨٣) الحديث أخرجه البخارى وأحد ولفظ البخارى " مثل القائم فى حدود الله " فى كتاب الشركه حديث رقم ٦ واحمد فى مجلد ٤ جـ ٢٦٩ ، ٢٧٠ ، ٢٧٤ والنووى - فى رياض الصالحين - صـ ٦٥ برقم ١٨٦ عن النعمان بن بشير رضى الله عنه.

(٨٤) سوره الأنفال آيه رقم ٢٥ ف

(٨٥) تفسير بن كثير جـ ٢ صـ ٢٩٩

ثالثا : هذا على الساحة داخل ديار الإسلام ، فكيف والحال خارجها أدعى ، بل قل أدهى وأمر ؟

يقول داعية الإسلام الغزالى [٨٦] بعد أن قرأ مقالا لأحد الفرنسيين : "شعرت بحزن وغضب بعدما إنتهيت من قراءة هذا المقال - والمقال يحمل تشويها لصورة الإسلام ، بسبب عدم فهم دعاته فى الغرب لحقيقة الدين ، وعدمقدرتهم على فقه مايدعون إليه بل وعدم فقههم للكلمة التى يوجهونها من أجل الإسلام .

يقول : شعرت بأن الإسلام دين يتيم مضام ، ليس هناك من يحسن عرضه أو يدفع عنه أو يمحو القذى الذى يشوب حقائقه ويشوه ملامحه كأنه دين لا صاحب له ... الباحثون عنه يلتقطونه حيث وجدوه لأن أفئدتهم فارغة وقلوبهم متلهفة إليه، وما يلمحون من صدقه يجذبهم إليه ، ولا عليهم أن يعتذروا عما إلتصق به من دخل ، فما سلم لهم بعد ذلك أحظى لديهم مما ورثوا عنه - أى من تشويه على أيدى بعض المستشرقين - وأدنى إلى الرشد مما عرفوا ..

ولكن أين أصحاب هذه الرسالة حتى يقدمونها للناس بيضاء نقية ؟ أين حملة هذا الدين من العلماء الراسخين يشرحون فطرة الله التى فطر الناس عليها ؟ أين المكلفون بالبلاغ الشاهدون على الأمم ؟ لانراهم حين يطلبون . إن ألوفا من (الخواجات) يبحثون عن دين يملأ شعاب أفئدتهم ، ويروى عطش أرواحهم ونهم عقولهم فلا يجدون ...

---

(٨٦) مستقبل الاسلام خارج أرضه صـ ٣٨ ومابعدها - دار الصحوه

وإذا وجدوا أحدا يحدثهم عن الإسلام ويدخلهم فى نطاقه عادوا من لدنه يرتدون جلبابا أبيض قصيرا ، وعمامة فوقها عقال ، أو ليس فوقها عقال ... ماهذا ؟

أهذا هو الإسلام ؟ أهذه هى دعوته ؟ أم تقاليد البادية العربية .

وهنا نقول : انظروا شباب الإسلام ودعاته هل هكذا تكون دعوة الإسلام ؟ عناية بالمظهر والملبس أم بالجوهر والمخبر ، عناية بالهيئة والهيكل أم بالعقيدة والحقيقة ؟

أو ليست الدعوة إلى الله تعالى فقها وتربية ، تعريفا وتبصيرا ، توضيحا وتصحيحا ؟

أرأيتم لو كان دعاة الإسلام فى الغرب قد تربوا على مائدة الدعوة إلى الله و بأيدى رجالاتها وتعلموا كيف يكونون دعاة إلى الله أما كان ذلك بأنفع للإسلام ؟ بدل هؤلاء الذين ينقلون العادات والتقاليد المظهرية البدوية، ويظهرون الإسلام بصورة تعزل أتباعه عن الحياة العامة كالتجارة ، والزراعة والصناعة والعمل الحكومى والتعليم غير الشرعى بدعوى التفرغ لمهام الدعوة وإمامة الناس بالمساجد ، فماذا لو أن كل الناس صاروا دعاة وأئمة مساجد ؟ أليس فى هذا الأمر مخالفة لشريعة الله وتعاليم دينه ؟ أو ليس فى هذا تعطيل لمسيرة الحياة يجعل أمة المسلمين كلا على غيرها ممن لا يدينونبالإسلام ؟ وهل هكذا كان الرعيل الأول ممن تربوا على مائدة النبوة ؟ ثم ماذا يضر غير الداعية المتخصص لو أنه كان داعية فى مجال عمله أيا كان بكلمته وأخلاقه ؟ أو ليس ذلك أفضل من أن تترك الساحات جميعها خالية ممن يحرس فيها شرع الله ويقدم كلمته للآخرين فيها من أن يقصر

دورها ومجالها فى المساجد فحسب ؟ وماذا على غير المتخصص بدلا من أن يرتزق من وظيفة إمام مسجد وبائع كتب للمصلين وعطور، أن يلتحق بأى وظيفة مدنية أخرى ويكون بين إخوانه فيها داعية لدين الله طالما كان قادرا على هذا الأمر ، ودون أن يضر بمسيرة الدعوة أكثر مما ينفع، أو أن يلتحق بأى عمل حر يجيده ليكون فيه نموذجا للرجل المسلم المنظور إليه باحترام كقدوة صالحة جدير بالتقدير والمهابة ؟ ثم يصلى بعدئذ بإخوانه متطوعا ما أن خلت الساحة من متخصص يقود إخوانه . فهل لنا أن ندرك هذاالأمر ونقدر له قدره حتى لا نسيئ إلى الإسلام من حيث نريد الإحسان ؟ شباب الدعوة إن عليكم أن تدركوا :-

أن المقياس الإسلامى فى تقرير الكرامة العامة للإنسان بل للبشرية كلها ، أيا كان الجنس أو اللون أو الزمان أو المكان هو أنه تعالى (خلق الموت والحياة ليبلوكم أيكم أحسن عملا)[٨٧] وما كانت رسالة الإسلام فى يوم من الأيام تنافسا بين الجلاليب الصحراوية والبدل الفرنجية ، وأن العالم بحاجة ماسة إلى الإسلام عقيدة وشريعة وأخلاقا لا إلى عادات وتقاليد ، وأنه بحاجة أشد إلى من يقدم له الإسلام على نحو ما قدمه للناس رسول الإسلام صلى الله عليه وسلم من قبل .

بحاجة أن يرى داعية الإسلام فى صورة جديرة بالتوقير والتبجيل والإحترام لا فى صورة مهلهلة مبتذلة معطلة عطباء لا تحفظ ماء ولا تنبت كلأ ، لأن الداعية هو صورة مما يدعو إليه .

رابعا : أنه لا شك أن نهاية الأمة وهلاكهابفسوق مترفيها وسيادتهم

---

(٨٧) سورة الملك :آيه رقم ٢

وكثرة الخبث بين أرجائها حين لا تجد من يأمرها بالمعروف ولا ينهاها عن المنكر ، فلا يسمع الظالم كلمة حق تقال ، فيسود الظلم وتشيع الفاحشة ويعلو المنكر علو الزبد على الماء [٨٨] . حيث أن قوة الأمة وضمان سلامتها وبقائها تكمن فى تمسكها بالحق وإقامتها للعدل ، وفى هذا يقول صلى الله عليه وسلم " إذا رأيتم أمتى تهاب أن تقول للظالم ياظالم فقد تودع منهم " [٨٩]

خامسا : الخوف من لعنة الله أن تحل بالمجتمع كما حلت من قبل ببنى إسرائيل لتقاعسهم عن الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، وهو ماقرره رسولنا - صلى الله عليه وسلم- فى قوله " إن أول مادخل النقص على بنى إسرائيل أن كان الرجل يلقى الرجل فيقول له " ياهذا " إتق الله ودع ماتصنع فإنه لا يحل لك ، ثم يلقاه من الغد - وهو على ماكان عليه - فلا يمنعه ذلك أن يكون ذلك أكيله وشريبه وقعيده ، فلما فعلوا ذلك ضرب الله قلوب بعضهم ببعض " ثم قرأ قوله تعالى (لعن الذين كفروا من بنى إسرائيل على لسان داود وعيسى ابن مريم ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه لبئس ماكانوا يفعلون ترى كثيرا منهم يتولون الذين كفروا لبئس ماقدمت لهم أنفسهم أن سخط الله عليهم وفى العذاب هم خالدون ولو كانوا يؤمنون بالله والنبى وما أنزل إليه ما اتخذوهم أولياء ولكن كثيرا منهم فاسقون)[٩]

(٨٨) يراجع مضمون هذا وبيانه عند تفسير قول الله تعالى (وإذا أدرنا أن نهلك قريه أمرنا مترفيها نفسقوا فيها فحق عليها القول فدمرناها تدميرا :الأيه رقم ١٦ من سوره الإسراء لغير واحد من المفسرين منهم على سبيل المثال لاالحصر الامام ابوالسعود فى م ٣ جـ صـ ١٦٢ والالوسى فى روح المعانى م٥ جـ١٥ صـ١٤ ومابعدها

(٨٩) أخرجه احمد فى المسند م جـ ١٦٣ ١٩

(٩٠) سورة المائدة الآيات من ٧٨ ٨١

ثم قال (كلا والله لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر ولتأخذن على يد الظالم ولتاطرنه على الحق اطرا - وفى رواية - ولتقصرنه على الحق قصرا - أو ليضربن الله قلوب بعضكم ببعض ثم يلعنكم كما لعنهم)[٩١]

ومن ثم فتحذير رسولنا صلى الله عليه وسلم من أن نتعرض لما تعرض له غيرنا بسبب تقصيرهم فى دعوة الآخرين إلى الله تعالى وعدم الأخذ بأيديهم إلى النجاة واضح وصريح حتى لا يصيبنا ما أصابهم من اللعن والطرد من رحمة الله عز وجل وهو مايؤكد وجوب الدعوة إلى الله تعالى ، من جهة الناس ومن جهة طبيعتها هى .

يقول الدكتور أحمد غلوش : [٩٢] إن أهمية الدعوة وموجباتها تتحقق من جانبين :

الأول : من جانب الناس ، حيث مصلحة الناس وتحقيق سعادتهم تدعو إلى هذا التبليغ .

الثانى : من جانب طبيعتها حيث الحركة الهادفة والوصول إلى كل مكان فى الوجود ، وكان من حكمة الله فى الناس أن كلفهم بدينه وأمر المؤمنين بإستمرار الدعوة إلى هذاالدين حتى لا يغيب عن ذاكرة المؤمنين ، ولذلك وجب أن يستمر دعاة الإسلام فى الدعوة لدينهم ، ولا يتكلوا على وجود بعض مظاهر الخير ، لأن الشيطان مستمر فى الإفساد والمعارضين للدعوة كثر عددهم ، وتعددت وسائلهم وعظمت إمكانياتهم وتلونت أساليبهم.

(٩١) الحديث أخرجه الترمذى وقال حديث حسن ، واخرجه أبو داود فى صحيحه كتاب باب الامر والنهى جـ ٢ صـ ٢١٦

(٩٢) يراجع : الدعوه إلى الله أصولها ووسائلها صـ ٢٣ ومابعدها

يقول الشيخ الخضر حسين رحمه الله[٩٣] :

" ولا تنس أن المضلين المخادعين فى هذا العصر قد تهيأ لهم من وسائل الدعاية مالم يتهيأ لغيرهم - يقصد الدعاة إلى الله تعالى - فمن نواد تفتح ، وصحف تنشر ، وجمعميات تعقد ، وأموال تنفق ، وجاه وسلطان يبذل ، وهناك طائفة لم تفسق عن جحود وتمرد وإنما أتيت من قبل الجهل ، وعدم صفاء البصيرة ، فوضعت بجانب الإسلام ماتبرأ منه الإسلام"

ممن على شاكلة من يقول "ساعة لقلبك وساعة لربك ". ودعوى "الصالح العام " أو" المصلحة الإجتماعية " وكذا قولهم " دع الملك للمالك " و " أقام العباد فيما أراد " إنها حجج العجزة ، وأرباب المصالح الكبرى الذين لا يعنيهم إلا مكاسبهم الشخصية ومنفعتهم الذاتية .

ولا شك أن هذا كله يجعل الدعوة إلى الله عز وجل وإعداد رجالاتها عندئذ محققة باذن الله تعالى ، فالدعوة ليست كائنا متحركا بذاته ، ولكنها مفهوم معنوى يطبقه مخلوق مكلف بعد أن يدركه ويحيط به .

فقه الوجوب :

لو وقف أمر الدعوة عند الرسل ، لتوقفت برحيلهم ولا نقطع إشعاع الدعوة ولا نسد باب الرشاد ، انتظارا لمقدم رسول برسالة جديدة، أما وقد جاءت الرسالة الخاتمة العامة وإنقطع الأمل فى وحى جديد ، فضلا عن أن الوحى الخاتم لم يبق للبشرية حاجة فى إنتظار رسالة جديدة وتكفل البارى بحفظه فقد أبقى الدعوة وحفظ الدين زمانة فى أعناق الدعاة ، والهداية إلى

(٩٣) براجع : الدعوة إلى الله فقها ومنهجا - محمد ذكى الدين محمد قاسم صـ ٣٨ ، ٣٩ - دار الصفوه للطباعه والنشر والتوزيع -ط (١) سنه ١٤١١ هـ - ١٩٩٠ م

الرشد على كاهل المرشدين ، وكلفهم بما ائتمنهم عليه ، وحملهم مسئولية البيان لما استودعهم إياه من هدايته وحقيقة مراده .

ولعل فيما سبق كفاية فى بيان هذا الأمر ، لكن يبقى من حق جيل الدعوة أن يعرف حدوده وحدود سائر أفراد الأمة حيال هذا الأمر ، حتى يدرك موقعه وموقع غيره من شركائه فى المسئولية من أفراد الأمة مابين الخاص والعام فى محيط الدعوة والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر، وهو ما أسميته بفقه الضرورة حتى لا يختلط الحابل بالنابل، كما هو الوضع بالنسبة للدعوة فى عصرنا لدرجة أننا قد وجدنا الداخلة عليها ممن ليس يحسنها ولا يدرك خطر الكلمة فيها كثر لا خير فيهم وإن كنا لا نشك قط فى حسن نواياهم ، لكن الإسلام لا يكفى فى الدعوة إليه حسن النوايا فحسب بل يحتاج إلى عناصر خاصة منتقاة تجهز قبل أن تجهر ، وتربى على معارف خاصة قبل أن تربى ، ويؤدى لها قبل أن تؤدى وسيأتى بيان ذلك فيمابعد ، لكننا الآن نوضح فقط مقصود ما ذكرنا هنا وهو فقه الوجوب .

والحق أننا لسنا أول من تكلم فى هذا الأمر بل نحن مسبوقون إليه .

يقول ابن القيم تحت عنوان (٩٤) " فصل فى تغيير الفتوى واختلافها بحسب تغير الأزمنة والأمكنة والأحوال والنيات والعوائد ما خلاصته:

هذا فصل عظيم النفع جدا ، وقع بسبب الجهل به غلط عظيم على الشريعة، أوجب من الحرج والمشقة وتكليف ما لا سبيل إليه، مايعلم أن الشريعة الباهرة التى هى فى أعلى رتب المصالح لا تأتى به ، فإن الشريعة مبناها وأساسها على الحكم ومصالح العباد فى المعاش والمعاد ، وهى عدل

---

(٩٤) براجع : أعلام الموقعين - للامام ابن القيم حـ ٣ جـ١٨٢

كلها ورحمة كلها ، ومصالح كلها ، ،حكمة كلها ، فكل مسألة خرجت من العدل الى الجور ، وعن الرحمة إلى ضدها وعن المصلحة إلى المفسدة وعن الحكمة إلى العبث ، فليست من الشريعة وإن أدخلت بالتأويل والإحتيال ، ثم يقول : فالشريعة التى بعث الله بها رسوله صلى الله عليه وسلم هى عمود العالم ، وقطب الفلاح والسعادة فى الدنيا والآخرة ، ويمثل لذلك بأن النبى -صلى الله عليه وسلم- شرع لأمته إنكار المنكر ليحصل بإنكاره من المعروف مايحبه الله ورسوله فإذا كان إنكار المنكر يستلزم ماهو أنكر منه، وأبغض إلى الله ورسوله ، فإنه لا يسوغ إنكاره ، وإن كان الله يبغضه ويمقت أهله .

ثم يقول : ومن تأمل ماجرى على الإسلام فى الفتن الكبار والصغار رآها من إضاعة هذا الأصل ، وعدم الصبر على منكر - حتى يزول - فطلب إزالته فتولد منه ماهو أكبر منه، فقد كان النبى صلى الله عليه وسلم يرى فى مكة أكبر المنكرات ولا يستطيع تغييرها بل لما فتح الله له مكة وصارت دار إسلام عزم على تغيير البيت ورده على قواعد إبراهيم ، ومنعه من ذلك مع قدرته عليه خشية وقوع ما هو أعظم منه من عدم احتمال قريش لذلك لقرب عهدهم بالإسلام وكونهم حديثى عهد بكفر ، ثم انتهى إلى قوله : فانكار المنكر على أربع درجات :

الأولى : أن يزول ويخلفه ضده - وهو المعروف .

الثانية :أن يقل وإن لم يزل بجملته .

الثالثة : أن يخلفه ماهو مثله .

الرابعة : أن يخلفه ماهو شر منه .

فالأولى والثانية :مشروعتان

والثالثة " موضع اجتهاد .

والرابعة : محرمة .

فاذا رأيت أناسا يلهون بالشطرنج كان إنكارك عليهم من عدم الفقه والبصيرة، الا اذا نقلتهم منه الى ما هو أحب الى الله ورسوله منه كرمى النشاب وسباق الخيل ونحو ذلك.

واذا رأيت آخرين قد اجتمعوا على لهو ولعب أو سماع مكاء* وتصديه، فان نقلتهم عنه الى طاعة الله فهو المراد، والا كان تركهم على ذلك خيرا من أن تفرغهم الى ما هو أعظم من ذلك فكان فيه شاغلا لهم عن ذلك.

وكما اذا كان الرجل مشتغلا بكتب المجون ونحوها من الشعر الردىء، وخفت من نقله عنها الى كتب البدع والضلال والسحرة فدعه وكتبه الأولى.

ثم يقول: وهذا باب واسع، فلقد سمعت شيخ الاسلام ابن تيمية - وهو شيخه- قدس الله سره ونور قبره - يقول: مررت أنا وأصحابى فى زمن التتار بقوم منهم يشربون الخمر فأنكر عليهم من كان معى، فأنكرت عليه وقلت له: انما حرم الله الخمر لأنها تصد عن ذكر الله وعن الصلاة وهؤلاء تصدهم الخمر عن قتل النفوس، وسبى الذرية، وأخذ الأموال فدعهم.

كما مثل لذلك أيضا: بأن النبى صلى الله عليه وسلم نهى أن تقطع

---

* المكاء هو الصفير بالفم، أو التشبيك بأصابع اليد ثم إدخالها فى الفم والنفخ فيها.

يراجع : المعجم الوسيط - مجمع اللغة العربية بالقاهرة- طبعة الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية- ط سنة ١٤١٦هـ-١٩٩٥م.

الأيدى فى الغزو"(٩٥) وقال: فهذا حد من حدود الله تعالى ، وقد نهى عن اقامته فى الغزو خشية أن يترتب عليه ما هو أبغض الى الله من تعطيله أو تأخيرة من لحوق صاحبه بالمشركين حمية وغضبا ، وأسند القول بذلك الى عُمَروَ أبى الدرداء وحذيفة وغيرهم وأنه نص عليه أحمد واسحاق والأوزاعى وغيرهم من علماء الاسلام، ونقل عن أبى محمد المقدسى اجماع الصحابة عليه، وأورد عددا من الشواهد مما يدل عليه، وذكر منها قصة أبى محجن الثقفى(٩٦) فقال: "وأتى سعد بن أبى وقاص بأبى محجن يوم القادسية وقد شرب الخمر فأمر به الى القيد فلما التقى الناس قال أبو محجن:

كفا حزنا أن تطرد الخيل بالقنا .. وأترك مشدودا على وثاقيا

فقال لأبنة حفصة"أمرأة سعد" أطلقينى ولك والله على إن سلمنى الله أن أرجع حتى أضع رجلى فى القيد، وان قتلت استرحتم منى، قال: فحلته حتى التقى الناس، وكانت بسعد جراحة، فلم يخرج يومئذ إلى الناس، وقال: وصعدوا به الى فوق مكان عال لينتظر إلى الناس، واستعمل على الخيل خالد بن عرطفة فوثب أبو محجن على فرس لسعد يقال لها البلقاء، ثم أخذ رمحا، ثم خرج فجعل لا يحمل على ناحية من العدو إلا هزمهم، وجعل الناس يقولون: هذا ملك- لما رأوا من صنيعه- وجعل سعد يقول: الصبر صبر البلقاء والظفر ظفر أبى محجن، وأبو محجن فى القيد فلما هُزم العدو ورجع أبو محجن ووضع رجليه في القيد.

---

(٩٥) الحديث اخرجه الترمذى فى صحيحه بكتاب الحدود باب " " النهى عن قطع يد السارق فى الغزو والسفر ، واخرجه ابوداود فى صحيحه حـ٢ صـ ٢٢٨

(٩٦) يراجع : الانسان بين الماديه والإسلام - محمد قطب صـ ١٠٦ - ط دار الشروق العاشرة سنه ١٤٠٩ هـ - ١٩٨٩ م

فأخبرت ابنة حفصة سعدا بما كان من أمره، فقال سعد: لا والله لا أضرب اليوم رجلا أبلى للمسلمين ما أبلاهم فخلي سبيله.

فقال أبو محجن: كنت أشربها اذ يقام عليَّ الحد - وأُصَهَّر منها- فأما إذْ بَهرَجْتَنَى - أى كرمتنى وعفوت عنى - فوالله لا أشربها أبدا.

ثم عقب عليه ابن القيم بقوله: وليس فى هذا ما يخالف نصا ولا قياسا ولا قاعدة من قواعد الشرع ولا اجماعا، بل لو ادعي أنه اجماع الصحابة كان أصوب قال الشيخ فى المغنى: وهذا اتفاق لم يظهر خلافه.

وأمثال هذا في السنة كثير نكتفى بما ذكرناه هنا. وقد تناول أحد العلماء المعاصرين(٩٧) هذه المسألة عينها ولكن بأسلوب آخر: حيث فصل مسألة الوجوب هذه وعرف بمن يشملهم الحكم ومتى يتنزل الحكم من الوجوب العينى الى الوجوب الكفائى ومنطق القائلين بعدم الوجوب وشبههم والرد عليهم فقال:

"الدعوة مضمون إلهى يقوم بحركته مكلف بعد أن يدركه ويحيط به.

ولأنها هكذا أوجب الله بلاغها ثم دلل على هذه القضية بمثل ما ذكرته قبل من أدلة الوجوب ثم استعرض أدلة الوجوب من السنة ومن بينها قوله صلى الله عليه وسلم "ليبلغ الشاهد منكم الغائب" (٩٨) ثم قال:

---

(٩٧) هو فضيلة الاستاذ الدكتور / أحمد غلوش فى كتابه : الدعوه الى الله كتاب أصولها ووسائلها صـ ٢٩ ومابعدها وهو قريب حدا مما قاله الإمام ابن تيميه فى كتابه الأو مر بالمعروف والنهى عن المنكر تقديم د/ جميل غازى صـ٨ طبعة المدنى ١٩٧٩

(٩٨) الحديث أخرجه البخارى فى كتاب العلم والحج ، والصيد ، والاضاحى، والمغازى والفتنه والتوحيد وأخرجه أحمد فى حـ٥ صـ ٣١ ، ٣٢ ، حـ ٥ صـ٤ ،٣٧ ،وأخوجه مسلم في ؛كتاب الحج رقم ٤٤٦ ، والقسامه برقم ٣٠،٢٩ وابوداود فى التطوع حـ١ صـ ٢٠١ والترمذى فى الحج باب رقم (١) والنسائى فى الحجج حديث رقم ١١١

"ووجوب الدعوه الي الله كما هو مقرر شرعا كذلك هو مقرر بالعقل أيضا، حيث أن القتال فى الاسلام - بإجماع أهل العلم - ما فرض لعينه بل للدعوة إلي الاسلام، وأن الدعوة باللسان أهون من الدعوة بالقتال، وأنه اذا احتمل حصول المقصود بأيسر الطريقين كان ألزم وأوجب فى اللجوء اليه.

وقد اختلف العلماء فى حكم تبليغ الدعوة الى فريقين: اذ يرى الفريق الأول: أن تبليغ الدعوة فرض على الجميع ابتداء، ولكنه يسقط عن المجموع اذا أداه بعضهم، ومن أدلتهم قوله تعالى (ولتكن منكم أمة يدعون الي الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون) (٩٩)

ثم يقول : وحتى لو سلمنا أنها للتبعيض فإن الخطاب فى الآية موجه الي الأمة كلها مما يجعلنا نشعر أن واجب تبليغ الدعوة واجبان، وهو ما يكون دائما في فرض الكفاية.

ولعله هنا قد استأنس برأى الشافعى فى فرض الكفاية حيث يقول: "فرض الكفاية يكون واجبا علي العموم ، وواجبا على الخصوص، فوجوبه على الخصوص: يختص بالقادرين الذين هيئوا لذلك العمل الخاص، ووجوبه على العموم: إنما يكون بإمداد هؤلاء لذلك العمل الخاص ووجوبه على العموم : انما يكون بامداد هؤلاء القادرين وتربيتهم وتوفير المناخ الصالح لاعدادهم.(١٠٠)

ويرى الفريق الثاني: أن تبليغ الدعوة فرض عين على المستطيع

---

(٩٩) سوره آل عمران الآيه رقم ١٠٤

(١٠٠) ولو أنك دققت النظر فى كتاب الموافقات للإمام الشاطبى حـ٣ صـ٣-٥ لوجدت أن حكم الدعوه إلى الله يجرى عليها أقسام مقاصد الشريعة الثلاثه (الضروره - الحاجه - التحسن) وهى بجملتها مقتضيات عمل الداعيه بدعوته فى أفراد الأمه - وهذا باب نفيس فى العلم فليراجع

المتمكن الذى لا يقع من دعوته - لسبب ما فيه - ضرر، كالحج والزكاة، ومن أدلتهم قوله تعالى (وما كان المؤمنين لينفروا كافة، فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا فى الدين ولينذروا قومهم اذا رجعوا اليهم لعلهم يحذرون) (١٠١)

وقالوا : ان من القواعد الشرعية المقررة أنه تعالي(لا يكلف نفسا الا وسعها) (١٠٢)

ثم يقول وهذا دليل علي أنها واجبة على العلماء وحدهم، والرأى الراجح عنده هو الرأى الأول، لا تجاه الخطاب فى سائر الآيات الى الأمة، مع تقرير ايجاب خاص على العلماء القادرين وايجاب عام على الأمة، ولأن الرأى الأول يحتوى فى مفهومه الرأى الثانى، وأنا وان كنت مجلا لما نقلته عن أستاذنا الجليل ومقدرا لكل كلمة نقلتها عنه هنا الا أنى أخالفة الرأى لأسباب:-

أولها: أننا لن نستطيع أن نفتح على الدعوة هذا الباب من الشر وهو القول بكون الأمر لعموم الأمة ، لأن هذا يضر بالدعوة أكثر مما ينفع، ويفتح الباب لكثير من الأدعياء أن يدسوا أنوفهم فيما لا يحسنون، خصوصا وأن الدعوة الى الله ليست بالأمر الهينِّ على المتخصصين، فكيف بها على غيرهم؟(١٠٣)

---

(١٠١) سوره التربه : آيه رقم ١٢٢

(١٠٢) سورة البقره : جزء الآيه ٢٨٦

(١٠٣) وأحب أن أنبه هنا على خطا حسيم يرتكب فى حق الدعوة فى مصر بخصوص تلكم المراكز الثقافيه لإعداد الدعاه - التابعه لوزارة الأوقاف ،من حيث نظام مقررات ادراسه بها ، وعدد سنوات الدراسه،، ونوعيه الملحقين بها وكذا القائمين على أمر الكثير منها ، ثم الأدهى والأمر التمكين لخريجيها من ممارسة الدعوة فى المساجد وهى برمتها لايدرس فيها منهج واحد من مناهج الدعوه ، =

ثانيا: أنه ليس هناك تعارض فى الفهم بين كلا النصين لو أننا دققنا النظر لبرهة واحدة، فالآية الأولي قد نصت علي الاختصاص كما هو واضح من الآية فى قوله تعالي (ولتكن منكم أمة) فهو هنا ينص على التبعيض في قوله (منكم) وحين يكون البعض منصوصا عليه ينتفي بالتبعية الكل.

ثم هو في الآية الثانية أيضا يرفض اشتغال المجموع بهذه المهمة وينص صراحة على التخصص فماذا تعنى مسئولية الأمة إذاً في ضرورة تواجد هذا الخصوص ؟ ان هذا فقط هو ما يلزم بحثه، أما أن تكون الأمة كلها مكلفة بمباشرة مهمة الدعوة الى الله، فهذا ما لم يقله الله - عز وجل- والقول به تحميل للنصوص فوق ما تحتمل، وتكلف لا طائل من ورائه الا العنت والثرثرة.

ثالثا: أن الرسول صلي الله عليه وسلم قد سن للدعوة سنة الاختصاص في حياته، ومن أمثلة ذلك إرساله لمصعب بن عمير رضى الله عنه مع وفد المدينة إماما لهم وداعية إلى الله فيهم قبل هجرته صلي الله عليه وسلم [١٠٤] وقد كان بين يديه من هم أسبق منه إلى الإسلام من كبار الصحابة ومن هم أكبر منه سنا.

كما بعث بمعاذ بن جبل إلى أهل اليمن[١٠٥] وبعث بأبى عبيدة مع وفد نجران[١٠٦] ليقوم كليهما بمهمة البلاغ عن الله ورسوله صلى الله عليه

=ثم إنها مراكز للثقافه والدراسات لحره وإشباع النهم الدينى واصقال الفهم الشرعى عند من يرغب فى الإلتحاق بها ، فلم إذا الترخيص لخريجها بالعمل فى مجال الدعوة إلى الله ؟ هل يمكن للممرض أن يعمل طبيبا أوأن يقوم بعمله ؟ إنه خطر جسيم إذا على الدعوه يجب أن نتنبه إليه .

(١٠٤) يراجع السيره النبويه - ابن هشام - م ١ حـ٢ صـ ٣٣

(١٠٥) المرجع السابق - م٢ حـ٤ صـ١٧٢

(١٠٦) نفسه م ١ حـ٢ صـ ١٦٠ .

وسلم ، وغيرهم، ولو أخذنا نستقصى عدتهم لوجدنا هم عدد قليل جدا بالنسبة لمجموع الأمة فى زمانهم وهو يؤكد أن الاختصاص في الدعوة سنة قديمة قدم الدعوة الى هذا الدين ذاته.

رابعا: أننا نعيش في زماننا هذا عصر التخصصات الدقيقة فى كل جانبٍ من جوانب الحياة عامة والعلم بخاصة، فلِمَ نجعل الدعوة إلى الله عزو وجل وهى أخطر مجالات الحياة لأنها هى وحدها التى يتوقف عليها مصير البشرية كلها وتحقيق سعادة الإنسان ليس فى الدنيا فحسب، بل هى لتحقيق سعادته فى الآخرة أولى من الدنيا ، أوليس الحياة والاحياء بعد هذا كله بحاجة الى التخصص الدقيق فى الدعوة أكثر وأشد من حاجتها إلى الطبيب المتخصص والصيدلي المتخصص، والبيطرى المتخصص - وهل الحمار بأحوج الى متخصص- من الانسان الذى يكرمه الله وفضله على سائر مخلوقاته؟

إنه علي الأقل ما لم يكن للإنسان تميز فليساويه- بالأحرى في هذا الجانب.

إن الحياة اليوم تعرف المتخصص فى علم الزراعة، والكيمياء والجيولوجيا والرياضيات والفلك والكهرباء والميكنة والكمبيوتر والبحار والرياح، والسياسة والإقتصاد والتجارة، بل قل والسباكة والصيد والبيع والشراء فلم نجعل ما لله هو أهو شئ علينا؟ وإن كان لابد من حل للغز فرض الكفاية وفرض العين بالنسبة للدعوة إلى الله، فإنه لخطورتها وعظم شأنها جعلها الله عز وجل مسئولية المجموع كل فيما يخصه لا بالتساوى مع المتخصصين، ولكن كيف تكون مسئولية المجموع كل فيما يخصه؟

ذلك بأن يتكانف جمهور الأمة في توفير كل ما يلزم من أموال - كل على حسب قدرته وطاقته حتى يتسنى من خلالها توفير الكتب والمراجع العلمية والأبنية اللازمة ليتلقى الناشئة من أئمة العلم وأساتذتهم فى درجات السُلّم العلمى المختلفة، حتى لا يشغل من يرجى تجهيزه بغير العلم، وقد فطن بعض الأقدمين إلى هذا الأمر فأوقفوا الأراضى والعقارات لأجل طلاب العلم عامة، ولمن يجهزون لمهمة البلاغ عن الله خاصة، يضاف إلي هذا مسئولية الأمة كلها فى تعهد الناشئة منذ الصغر بالتربية الصحيحة الصالحة النافعة وتعاهدهم حفظ كتاب الله عزوجل، وخصوصا من يرجى فيه منهم لواء الدعوة إلى الله عزوجل وتوجيهه إلى هذا المجال مستقبلا، فيكون في الأمة كلها بذلك عون على هذا الأمر، وبهذا يمكن الجمع بين فرض الكفاية وفرض العين وتكون المسئولية مشتركة فعلا من هذا الجانب، فهلا فقهنا؟

فضل الدعوة ودعاتها

أولا: تحقيق انسانية الانسان:

بينت فيما سبق وجه الحاجة إلى الدعوة وحكمها. ومن المعلوم أنه كلما كانت الحاجة إلى أمر من الأمور شديدة والضرورة لحصوله ملحة كلما علا قدره وزاد فضله وفضل القائم على أمره حتى يصل بمن وقعت فى حقهم الضرورة إلى الغاية المنشودة منه.

والأمم جميعها تسعى لرفع مستوى معيشته، وتكثير الضرورات والمرفهات لمختلف الطبقات كل على حسب حاله. وهذا أمر حسن لا يرفضه الوحى الصحيح ولا المنطق الفصيح فمن ذا الذى يكره العافية والسعة والإستترواح؟ إن كدح الناس وكدهم للحصول على مزيد من خير الله، والتمكين فى أرضه عمل مفهوم البواعث غير أن ما غفل كثرة البشر عنه - وما أغفلهم - هو أن مما لا يرضاه الله عز وجل ولا يرضاه عاقل لنفسه أن تكون الغاية القصوى من الحياة هى البطن الملآن والبدن المزدان، وسكنى المشيد من البنيان، فهذا هدف الحيوان الأعجم، وما هو هدف للأعجم من الحيوان لا يصح أ يكون هدفا وغاية للانسان ، وإلا فما الفرق بينهما إذا ما تساويا فى هذه الغاية الدنيئة؟

ومن يريد الإنسانية كذلك من بنيها ، أو من يرضى لنفسه أن يكون كذلك، فهو لا يتصورها الا قطيعا من الغنم أو البقر أو ......

أو .... !! تساق الى مرابعها ومراعيها. ولا عجب فكم من الحكومات فى العلم - حتى فى ما يسمونه بعصر الحضارة والتقدم - تسوق رعاياها كما تساق قطعان الماشية وللأسف أحيانا باسم الحرية.

(ووقوف الحكومات والشعوب عند هذا المستوى المادى البحت هبوط

بقيمة الانسان - بل والعالم كله - ورسالته، ونزول عن المكانة التى أرادها له خالقه - جل جلاله- وذهول عن الحق الذى يقول لنا في استنكار شديد) [١٠٧] قال تعالى:

(أفحسبتم انما خلقناكم عبثا وأنكم إلينا لا ترجعون. فتعالى الله الملك الحق لا إله إلا هو رب العرش الكر يم) [١٠٨]

فتحديد الغاية من الإنسان وتحقيق إنسانية العالم تحتاج إلى مُعّرف بالدين الحق ومُعلن عن عالم المبادئ العالية والقيم السامية والأخلاق الفاضلة لأنه هو وحده الذى يحدد للإنسانية غايتها أفرادا وجماعات، ويحقق بتمسكها به سعادتها وأمنها

(فليعبدوا رب هذا البيت الذى أطعمهم من جوع وآمنهم من خوف)[١٠٩]

(فمن اتبع هداى فلا يضل ولا يشقى ومن أعرض عن ذكرى فان له معيشة ضنكا ونحشره يوم القيامة أعمى) [١١٠]

فالدين الحق يبرز للإنسانية غاية هى أرقى بكثير من توفير الخبز لآكليه، وان كان للخبز ضرورته وأهميته، وحتى تتحقق هذه الغاية السامية ترادف النبيون لتوضيحها ودعوة الأمم إلى طريقها وأسباب تحقيقها وتحققها.

ثم جاء خاتمهم صلى الله عليه وسلم صاحب الدعوة الجامعة التى

---

(١٠٧) دراسات فى الدعوة والدعاه: الشيخ- محمد الغزالى صـ ٢٩.

(١٠٨) سورة المؤمنون: آيه رقم ١١٥، ١١٦.

(١٠٩) سورة قريش: آية رقم ٤،٣

(١١٠) سورة طه: آية رقم ١٢٣، ١٢٤

ضمت العالم كله ووسعته، ليصنع الله على يديه بفضل دعوته وجهاده أمة تمثل هذه الغاية ذاتا، وتقوم عليها بلاغا وترفع علمها في الأفاق دعوة وجهادا، وتدرك مهمتها ووظيفتها ومسئوليتها فى حمل ميراث النبوة وأمانته.

فأول فضل للدعوة على العلم أنها تحدد الغاية للإنسانية(١١١) التى ضلت طريقها فى الوصول الى ما ينبغى أن تصل اليه وأن تكون عليه ولولا الدعوة الحقة ما عرف أحد فى العالم طريقه الى الله - عز وجل- ولما استطاع أحد أن يبصر النور من كثافة سحائب الظلام فهى تحى فى الانسان حقيقته التى أماتها الجهل والظلم والقهر والإستعباد والطغيان والإستبداد، تحيى فى الانسان روحه التى أهلكتها سطوة المادة وأطاحت بها من عالم الوجود، ولو لم يكن للدعوة ودعاتها سوى تحقيق هذا الجانب من الفضل لكفاها.

ثانيا: التكين لدين الله فى الأرض:

أنه بفضلها وبفضل علمائها القائمين على نصرة هذا الدين تصل الأمة بإذن ربها إلى المجد والعظمة والمكنة فى الأرض حماية للضعفاء من الأقوياء والفقراء من الأغنياء، وللعبيد من السادة وحراسة للوحى الخاتم، وإبقائه منارة غالية يومض بالإشعاع الهادى كى يهدى الله به السائرين في ظلمات

---

(١١١) لقد أغنانا أن نتناول هذا الجانب بإسهاب أن قد وجدت استاذنا فضيلية الاستاذ الدكتور عبد الله يوسف الشاذلى الاستاذ/ بجامعتى الأزهر، والإمام محمد بن سعود بالمملكة العربية السعودية - قد تناول هذا الجانب من جميع زواياه وعقد له بابا كاملا تكون من فصلين جديرين بالاهتمام والدراسه لهما لمن أراد مزيدا فى تناول أو معرفة هذا الجانب الهام، وكذا حتى لا أخرج عن نطاق موضوعى فى هذا الكتاب.

يراجع الدعوة والانسان صـ ٢١٦،١٢٩.

الحياة.

وأيضا لكى تدعم الخير وتعلى صوت المعروف، وتحمى شارة الايمان، فتجعل من كيانها موئلا للفضائل، وموطنا للعدل، ومعولا لبتر الآثام والشرور والفجور، وتعقب الظلم والظالمين والفساد والمفسدين والتحذير منه ومن مغبته.

وإذا كانت الدعوة هى إبلاغ رسالة الله إلى العالم، فدعاتها أفضل خلق الله علي الأرض لأنهم حراس وحيه، وحملة لوائه ومنهجه والصادعون به فى أسماع البشر ليخرجوهم من الظلمات الى النور باذن ربهم الى صراط العزيز الحميد، ويظهر الله -عز وجل- بفضل دعوتهم وجهادهم وصبرهم وثباتهم دينه على الدين كله ولو كره الكافرون والمشركون والمرتابون والمنافقون، فتعلوا بفضل الله تعالى في الأرض كلمة الحق ويسود سلطانه فى الأرض.

(ويقطع دابر الكافرين. ليحق الحق ويبطل الباطل ولو كره المجرمون)[١١٢] وقَطْعُ دابر الكافرين، وإحقاق الحق، وإبطال الباطل، وإذلال المفسدين والمجرمين المصرين على فسادهم وإجرامهم. كل ذلك يحتاج إلى قوة تنبع من رسالة، لا صيحة، تنبع من وظيفة يُخمد صوتها بالبطش أحيانا وبالدرهم والدينار أخرى، يحتاج إلى قوة ممكنة فى الأرض تنبع من أعماق الضمير، لا من ثروة أو فورة هوجاء مأجورة من هنا أو هناك لبث أفكار وأهواء لطائفة معينة تستهدف جمهرة الآمنين من عامة المسلمين أو

---

(١١٢) سورة الأنفال : آية رقم ٨،٧.

خاصتهم.

إنها رسالة ذات أهداف وبواعث لا تتحيز إلى فكر ولا إلى جهة ولا إلى جماعة أو طائفة، لأنها رسالة القرآن وأهل القرآن، وجماعة القرآن، وجبهة القرآن، ومنهج القرآن فى تكوين وبنيان الإنسان.

(قل هذه سبيلى أدعو إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعنى) (١١٣)

ولعلك تدقق النظر وتعمق الفكر في كلمة (هذه سبيلى أدعو الى الله) ثم كرر النظر وعمق الفكر مرة أخرى فى كلمة(سبيلى) تدرك على الفور وحدة الطريق والمنهج والفكر كأساس هام جدا من أسس الدعوة الى الله عز وجل.

ثم اربط هذه بقوله تعالى(وأن هذا طراطى مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله)(١١٤) وهو هدف سام من أهداف الدعوة إلى الله -عزوجل- وانظر كيف جعل سمة الأمة الربانية كلها، ومقصوده منها، هى عين بناء دعوتها وأساس نجاح دعائمها.

فاذا كانت الدعوة إلي الله عزو جل تلكم هى غايتها وهذه هى رسالتها، والداعى إلى الله هذا منهجه ومقصده، فان شيئا فى الوجود كائنا ما يكون ليس أسمى-عند الله - عزوجل- ولا أعلى منزلة من الدعوة وطريقها وميدان عملها والقائمين بها المجاهدين لأجلها، والعاملين فى حقلها، وما ذلك إلا لأنها (ليست كائنا متحركا بذاته لكنها مفهوم معنوى يطبقه مخلوق مكلف بعد أن يدركه ويحيط به) (١١٥)

---

(١١٣) سور يوسف: ١٠٨.

(١١٤) سورة الأنعام:آية رقم ١٥٣.

(١١٥) يراجع : الدعوة إلى الله فقها ومنهجا- محمد زكى الدين محمد قاسم صـ ٤٢.

أنين ورنين:

كم أود لو أن الجموع الكلّة من المسلمين -ممن يحسبون علي الإسلام- كفتنا التكرار والتردد عليها مرات عديدة فى فهم القضية الواحدة أو الأمر الواحد من أمور الاسلام وتخلت عن التبلد واللامبالاة واللجاجة، وبادرت إلى الاعتناء بما تسمع، والعمل بما تعلم، فمن غير المعقول فى عالم قد ملئ حقدا على الإسلام وأهله أن يكون هناك مسلمون ينتسبون إلى الإسلام فى القرن الخامس عشر الهجرى قد بلغوا الأحلام السنية وهم لا يعرفوا إلى اليوم ألف باء الإسلام، والأشد من هذا نكيرا أن يصر مسلم علي البلاهة وعدم المعرفة، وأشد منه نكيرا أن يصر مسلم على العمل بغير ما علم أو بضده تقليدا أو ميراثا استهزاء وسلبية وأشد منه أن يُدعى إلى الإسلام ويعلم يقينا موجبات ما أمر به من العمل، وهو يأمر الناس به ثم يخالف إلى ما لم يأمر الله به، فلو أن الجموع المسلمة تخلت عن أمثال هذه الأمور بجميع صورها وألوانها وعملت بما علمت من صحيح العقيدة وصريح الشريعة وسيدت النظام الإسلامى كطريق لها ومنهج على أرض الواقع لأمكن للدعوة أن تنطلق من عقالها، وتخرج من قيدها الذى ترصف به، وترمى بأغلاله ، ألا وهو صورة المسلمين وواقعهم.

ولأمكن كذلك أن تتسع رسالة الدعوة إلى الإسلام فى الآفاق والأصقاع والبقاع لا تعرف عن الإسلام اسمه وربما لا تعرفه البتة أو ربما عرفته على أنه طقوس وشكليات جوفاء، فيرشدون إلى الجوهر والأصل، ولكم نتمنى أن تفتح لها السبل عبر القارات ونحن لا نطلب من العلم كله

إلا أن يفتح صدره ويفسح المجال فى مجتمعات يدعى حكامها الحرية لصوت الله أن يسمع، كما سمح باسم الحرية لصوت غيره أن يسمع، فهل يمكن ذلك بغير وضع مخطط شامل ومنظم ومنهج مدروس لمواجهة التحديات، ومعرفة لغة الحوار ولا أقصد باللغة-حرفية الكلمة وإن كان مهما في الداعية- وإنما أقصد أسلوب الحوار الذى يتعامل به دعاة العصر مع جيل هذا العصر، وتعريفه بطبيعة البيئة التى يراد توجيهه إليها، ومن ثم فإننا بحاجة إلى تجهيز دراسات مفصلة عن واقع المجتمعات دراسة حية، لا دراسات قديمة عفا عليها الزمان يصطدم الداعية بغيرها حال تعامله مع الواقع.

إننا بحاجة إلى دراسات سريعة فاحصة للمجتمعات تشمل كل الجوانب، والظواهر البشرية، دينية واجتماعية وسلوكية وسياسية وما أيسر هذا في عصر عرف بالتكنولوحيا والكمبيوتر وتوفر المعلومات ،وسرعة استدعائها، فهل نغير من وضع دراساتنا لأجل دعوة البشرية وخيرها، وتبصيرها بدين ربها؟

ثالثا- الدعوة الي الله أحسن القول وأفضل العمل:

كثيرة هى كلمات البشر وليست بأقل منها أفعالهم، لكنه من بين هذه الكثرة فى القول والعمل قد لا تجد من بينها ما يصدر باسم الله وابتغاء مرضاة الله، أو من يتجرد من إسماع الآخرين صوته هو ليسمعهم صوت الله عز وجل.. أو من يتجرد من أهوائه وعادات بيئته السلوكية ليُرى الآخرين منه سلوكا يتحرى فيه المأمورات والمنهيات ابتغاء مرضاة الله ، فلا يصفو

أو يخلص لهذه المهمة من البشر إلا ندرة منضبطة تسلك بالحياة سبيلها الى الحسن وبالأحياء سبيلهم إلى الإحسان.

وفى معترك الحياة المزهوة بما تملك من مال وجاه وجمال تبقى الدعوة إلى الله عزو جل وإعلاء صوت وحيه فى البشر أشرف وظيفة وأعظم رسالة فى الحياة، لأنه شتان بين صوت الإنسان، وصوت الله!!

شتان بين كلمات الإنسان وكلام الله !! شتان بين وحى الله جل وعلا وفكر البشر حتى فى أنقى درجات صفائه.

وصوت الله فى الأرض هم الدعاة إلى الله المبلغون كلمات الله إلى خلق الله، بلاغا خالصامن سائر ألوان التحريف والتزييف والالتواء والتضليل، بلاغا يقوم على أسس ربانية، ومناهج إيمانية وبصيرة بيانية، ليقوم الناس بالقسط..

ومن ثم كان شرف المهمة مبنيا على شرف الغاية، منتهجا لتحقيقه أشرف الوسائل. وهو ما أشار إليه قول الله تبارك وتعالى:

(ومن أحسن قولا ممن دعا إلى الله وعمل صالحا وقال إننى من المسلمين) (١١٦) فهذا شرف عظيم لا يناله إلا من سعى له سعيه(١١٧)، وجمع على نفسه أمورا ثلاثة:

أولها: الدعوة الى الله وحده لا شريك له لقوله تعالى فى الآية (دعا الى الله)

ثانيها: ترجمة النظرية الاسلامية المتمثلة فى قول الداعية الى عمل

---

(١١٦) سورة فصلت آية رقم ٣٣.

(١١٧) يراجع: نحو أسلوب أمثل للدعوة الاسلامية-أ.د- محمود محمد عمارة صـ ٣٦- دار التراث العربى للطباعة والنشر-ط(٢) سنة ١٤٠٦هـ سنة ١٩٨٦م

وسلوك يوافق صالح القول ليتحقق صلاح العمل لقوله تعالى (وعمل صالحا) أيّ عمل يعمله، فيأخذ صورته الكمية والكيفية على شرط الاسلام.

ثالثها: أن تكون الدعوة شعارا يُدل به ويزهو فى وسط بيئات وأرباب معارف وتخصصات مُلؤواً بها زهواً واستكبارا وفخارا، فهذا يتباهى بأنه مهندس، وذلك بأنه طبيب، وثالث بأنه صيدلانى، ورابع بأنه شرطى، وخامس بأنه دبلوماسى ،سادس بأنه تربوى، وسابع بأنه شاعر وأديب، وثامن بأنه رأسمالى ورجل أعمال، وتاسع بأنه سياسى، وعاشر بأنه حزبى..... الخ

فبماذا يتباهى الداعية وسط هذا الركام الدنيوى؟إنه فخر له أن يجعل فخاره وشعاره (إننى من المسلمين) لأنه شعار الأنبياء والمرسلين والصالحين وأرباب المقاصد السامية والهمم العالية، شعار العلماء الراسخين والهداه المهتدين والأئمة الناصحين، من لدن آدم أبى البشر جميعا الي يوم الدين، فهذه الآية الكريمة فيها من التنوية بالدعوة والدعاة والثناء عليهم، وأنه لا أحد أحسن قولا منهم وعلى رأسهم رسل الله الكرام عليهم الصلاة والسلام ثم أتباعهم على حسب مراتبهم فى الدعوة والعلم والفضل. فأنت أيها الداعية الطامع فى الفخار والمكانة ألا يكفيك شرفا أن يكون كل الناس من حولك مهمومون بأنفسهم ومطامعهم الدنيئة، وأنت وحدك من بينهم الذى اختصك الله عز وجل بشرف خلاصهم من همومهم وأهوائهم والإنتقال بهم من المطامع الدنيئة إلى المقاصد العالية؟

أليس يكفيك أن تكون فيهم صورة الاسلام، وصوت الإسلام، وابن الإسلام كل منهم ينشد مجده ومجد أبيه، وأنت بدعوتك إياهم تنشد فيهم مجد الإسلام، كلهم ينشد سلطانه وحسبه ونسبه ومنصبه وأنت بدعوتك تجمع لهم هذه السلاطين والأحساب والأنساب والمناصب المتنافرة المتفاخرة المتناحرة، تحت سلطان واحد هو سلطان القرآن، وتحت حسب واحد هو الايمان، وتحت نسب واحد هو(يأيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا)(١١٨)

وتحت منصب واحد هو (إن أكرمكم عند الله أتقاكم) (١١٩) فى أى مكان وفى أى زمان وعلى أى حال كان أو سيكون فهل بعد هذا الفضل للدعوة والدعاة إلى الله من فضائل؟

إنه على كثرة ما يتلاطم في بحر الحياة من أمواج بشرية إلا أن أكثر ما تراه لا يتعدى كونه صورا وأشباحا وشارات بلا مضمون!!! أنى لأفتح عينى حين أفتحها.. على كثير ولكن لا أري أحدا بل إن "الغربال" قد يحركه الناقد البصير فلا يبقى فيه شئ بعد أن سقطت الكيانات الضئيلة من الفتحات والثقوب.

لو غربل الناس كى ما يعدموا سقطا.. لما تحصل شئ فى الغرابيل

ومع كل هذا.. يبقى الدعاة الى الله على السطح لا يسقطون بما يملكون من عناصر البقاء والخلود، حيث الكل يسقط بسقوط شبحه وجسده، ويخمد صوته بموته ويبقى الدعاة خالدون ببقاء دعوتهم وصوت

(١١٨) سورة الحجرات: آية رقم ١٣.

(١١٩) نفس الآية من السورة

رسالتهم.(١٢٠) فأكرم به من فضل وأعظم بهامن مكانه، ما يعقلها إلا العالمون، ولا يلقاها إلا الصابرون، فهيا جماعة الدعوة شمرى !! هيا اصدعى بالحق لا تترددى !! وأسمعى الدنيا صوت مليكك لا تخجلى لا تجبنى لا تركنى، لا تنطوى، فمن يدانيك عزا؟ ومن يدانيك فخرا؟ ومن يدانيك شرفا؟

(من كان يريد العزة فلله العزة جميعا إليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه، والذين يمكرون السيئات لهم عذاب شديد ومكر أولئك هو يبور)(١٢١)

رابعا : أن الدعوة والدعاة هما السبيل الوحيد للتغيير:

ان نقطة انطلاق الداعية بدعوته إلى الله تعالى فى رحلته الطويلة مع المدعوين هى تغيير واقعهم المرير والمؤلم المخالف لمنهج الشرع الحكيم والوحى القويم، وهذا التغيير لا يتأتى أبدا ولا يؤت ثُمُرَه إلا إذا قام به دعاة ناصحون يدركون مسئوليتهم فى الإصلاح، ويفقهون دورهم ومسيرهم. وعلى رأس هؤلاء الدعاة سيد البشر محمد صلى الله عليه وسلم، فلقد كان الإنقلاب الذى أحدثه الرسول صلي الله عليه وسلم فى نفوس المسلمين وبواسطتهم في المجتمع الإنساني أغرب ما في تاريخ البشرية كلها، وقد كان هذا الإنقلاب غريبا في كل شى، غريبا فى سرعته، وكان غريبا فى عمقه، وكان غريبا فى سعته و شموله، وكان غريبا فى وضوحه وقربه إلى الفهم، فلم يكن غامضا كثير من الحوادث الخارقة للعادة، ولم يكن لغزا من

---

(١٢٠) يراجع: نحو اسلوب أمثل للدعوة الاسلامية صـ ٣٧.

(١٢١) سورة فاطر: آية رقم ١٠.

الألغاز ويتضح لك ذلك من خلال دراسته عمليا، والتعرف علي مدى تأثيره في المجتمع الإنساني والتاريخ البشرى، وذلك بالوقوف على حال الناس عربا وعجما ودراسة فلسفاتهم في أرقى درجاتها، وما حوته من مفاسد عقدية تتعلق بالذات الإلهية وأخرى تشريعية تتعلق بالنظام العام للمجتمع، وثالثة أخلاقية تتعلق بواقع المجتمع البشرى كله، وهو أمر يمكن تدارسه فى مظانه من أمهات الكتب بيسر وبساطة، واستعراضه هنا قد يخرجنا عن إطار ما نحن بصدده، ويلهينا عن الوصول إلى ما نصبوا إليه، فيباعد بيننا وبين المراد.

ومن ثم فاننا نقتطف هنا نتفا نوضح لك من خلالها كيف حول الرسول صلي الله عليه وسلم خامات الجاهلية الصماء إلى عجائب إنسانية فعالة؟

لقد عمد الرسول صلى الله عليه وسلم بالإيمان الواسع العميق والتعليم النبوى المتقن، وبمنهجه التربوى الحكيم الدقيق، وبشخصيته الفذه، وبفضل هذا الكتاب الربانى المعجز الذى لا تنقضى عجائبه ولا تخلق جدته، عمد إلى الإنسانية المحتضرة فبعث فيها حياة جديدة، عمد إلى الذخائر البشرية وهى أكداس من المواد الخام لا يعرف أحد غناءها، ولا يعرف أحد محلها، وقد أضاعتها الجاهلية والكفر والشرك والإخلاد إلى الأرض، فأوجد فيها بدعوته بإذن الله - الايمان والعقيدة، وبعث فيها الروح الجديدة وأثار دفائنها وأشعل مواهبها، ثم وضع كل واحد فى محله فكأنما خلق له وكأنما كان المكان شاغرا لم يزل ينتظره ويتطلع اليه، وكأنما كان جمادا فتحول جسما ناميا وإنسانا متصرفا، وكأنما كان ميتا لا يتحرك فعاد حيا يملى على العالم إرادته، وكأنما كان أعمى لا يبصر الطريق فأصبح قائدا بصيراً يقود الأمم(أو

من كان ميتا فأحييناه وجعلنا له نورا يمشي به في الناس كمن مثله في الظلمات ليس بخارج منها)(١٢٢)

عمد إلى أمة العرب الضائعة، وإلى أمم العجم الشاردة، فما لبث العالم أن رأى منهم نوابغ كانوا من عجائب الدهر وسوانح التاريخ فأصبح عمر الذى كان يرعى الإبل لأبيه الخطاب وينهره، وكان من أوساط قريش جلادة وصرامة، ولا يتبوأ منها المكانة العليا، ولا يحسب له أقرانه حسابا كبيرا، إذ به يفاجئ العالم بعبقريته وعصاميته، ويدحر كسرى وقيصر عن عروشهما ويؤسس دولة إسلامية عظمى تجمع بين ممتلكاتها وتَفُوقَهما فى الإدارة وحسن النظام فضلا عن الورع والتقوى والعدل الذى لا يزال فيه المثل السائر.

وهذا ابن الوليد وقد كان أحد فرسان قريش الشبان انحصرت كفاءته الحربية فى نطاق محلى ضيق يستعين به زعماء قريش فى المعارك القبلية فينال ثقتهم وثناءهم ولم تتعدى شهرته قريشا إلى الجزيرة العربية، إذ به سيفا إلهيا لا يقوم له شئ إلا حصده، وينزل كالصاعقة على الروم، ويترك ذكرا خالدا فى التاريخ.

وهذا أبو عبيدة، وهذا عمرو بن العاص، وهذا سعد بن أبى وقاص وهذا سلما ن الفارسى ابن الإسلام وغيرهم، وغيرهم من عمالقة التاريخ الاسلامي كتلة بشرية،،،،، فيها من الكفاية التامة فى كل ناحية من نواحى الإنسانية، فهى فى غنى عن العالم وليس العالم فى غنى عنها فكان منها الأمير العادل ، والخازن الأمين والقاضى المقسط، والقائد العابد، والوالى

(١٢٢) سروة الأنعام : آية رقم ١٢٢

المتورع، والجندى الطائع المتقى وكانت بفضل التربية الدينية التى لا تزال مستمرة، وبفضل الدعوة الاسلامية التى لا تزال سائرة، مادة لا تنقطع، ومعينا لا ينضب لا تزال تمد الحكومة وتسندها برجال يرجحون جانب الهداية على الجباية، ويجمعون بين الصلاح والكفاية حتى ظهرت المدنية الإسلامية بمظهرها الصحيح، وتجلت الحياة الدينية بخصائصها التى لم تتوفر لعهد من العهود على طول التاريخ البشرى وعرضه(١٢٣)

لقد وضع محمد صلى الله عليه وسلم بدعوته إلى الله عز وجل على بصيرة مفتاح النبوة على أقفال الطبائع البشرية فانفتح على ما فيها من كنوز وعجائب، وقوى ومواهب وأصاب الجاهلية الأولي فى مقتلها وصميمها، فأدمى رميته، وأرغم العالم العنيد بحول الله علي أن يتغير وينحو منحى جديدا، ويفتتح عهدا سعيدا، ذلك هو العهد الإسلامى الذى لا يزال غرة فى جبين التاريخ، فتأمل فضل الدعوة الي الله عزو جل وفضل دعاتها، وانظر صنيعها في الناس ما ان اجتمعت خصائص نجاحها ووسائل نشرها، وأسس أدائها.

ومما يؤسف له أنك تجد من الناس - بل من بعض أولى العلم- من يحسب حدوث التغيير والإنقلاب فى الناس معجزة خارقة للعادة ويتطول قائلا:وأنى لنا بمثل هذا الآن فإنه لا يتم إلا على يد نبى ونحن لسنا بأنبياء؟

ونحن نقول لهم: إن هذا من باب تعليق الأخطاء والفشل من النفس علي شماعة الغير وذلك لأن استقراء التاريخ يدلنا- من غير شك- أن حدوث ذلك الإنقلاب والتغيير كان أمرا طبيعيا ارتبطت فيه الأسباب

(١٢٣) يراجع: ماذا خسر العلم بانحطاط المسلمين- أبو الحسن الندوى صـ ١٠٨- ١١١.

بمسبباتها، واتصلت المقدمات بنتائجها، وليس ما بين هؤلاء وأولئك إلا أشبه بخلية عاملة، وخلية خاملة، أو صاحب العمل والأجير أو بمعنى أقرب برجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه، وآخرون تخاذلوا ونكصوا أو نقضوا ما عاهدوا الله عليه.. فهل وعيت الفرق؟

اننا لو جرينا اليوم فى عملنا ودعوتنا علي ذلك المنهاج النبوى فلابد أن تظهر تلك النتائج التى ظهرت من ذي قبل بعينها، اللهم إلا أنه يحتاج إلى إيمان صادق وشعور إسلامي ، وانقطاع عن الطمع وعزم راسخ، وتضحية بالعواطف الشخصية وتجرد عن الأمانى والآمال الذاتية، وعزم وجلد دون الالتفات إلى شئ فى قليل ولا كثير، فمثل هؤلاء الرجال هم الذين حملوا لواء الدعوة وأعلوا كلمة الله فيما مضى من الزمان ، وهم الذين لاتقوم الدعوة الا على يد أمثالهم، وهؤلاء لم يحرم من وجودهم جيل من الأجيال بعد بعثته الشريفة صلي الله عليه وسلم قلوا أو كثروا، وان تلاشوا أحيانا لكثرة انتشار الضباب حولهم، وتعتيم الرؤية عليهم.

ومن أمثال هؤلاء الشيخ محمد بن عبد الوهاب امام الجزيرة العربية فى القرن الهجرى السابق. والامام الشهيد حسن البنا، وداعية الأشراف بمصر، والشيخ أحمد ياسين مجاهد فلسطين وداعيتها القعيد، وغيرهم ممن على هديهم ونتراسهم رافعى لواء الصحوة الاسلامية في العالم "الدعاة الهداة" لا "الأدعياد الطغاة" حتى نبرئ ساحة الدعوة الاسلامية من كل دخيل عليها، أو دعى لا يقدرها ويعرف فضلها، أو جاحد يبغى تشويه صورتها، وأخماد حركتها... ولذلك فان من حق أشبال الدعوة أن يدركوا خصائص دعوتهم وهو ما أتناوله فيما يلى:

خصائص الدعوة :-

للدعوة الاسلامية خصائص تنفرد بها عن غيرها من سائر الدعوات ونحن نقدمها لك في إيجاز شديد، وهي:

(١) ربانية المصدر، لأنها تقوم على ابلاغ وحى الله عزوجل وسالاته إلى خلقه من البشر.

(٢) وسطية فى اختيار الله لها ولأحكامها الشرعية، فهى تقوم على القسط والإعتدال الكامل فى جميع جوانب تناولها.

(٣) إيجابية فى نظرتها للكون والانسان، فهى تتعامل مباشرة مع واقعها فى كل زمان ومكان إحقاقا لما هو حق، وإبطالا لما هو باطل.

(٤) واقعية حين تتعامل مع الفرد والمجتمع بمعنى أنها تعيش بالإنسان عصره لتعالج قضاياه، وتحكم على مستحدثاته من خلال ثوابت الوحى الإلهى ودلالات نصوصه، وأصول أحكامه،

(٥) أخلاقية فى وسيلتها وغايتها.

(٦) شمولية فى مناهجها.

(٧) عالمية فى إذاعتها ونشرها.

(٨) شورية فى الحكم بها.

(٩) جهادية لمن يصد عن طريقها ويمنع انتشارها.

(١٠) أصولية الفكر والتصور والاعتقاد.

هذه هى خصائص الدعوة الاسلامية التى تميزت بها، إنها دعوة الله سبحانه وتعالى، فإذا كانت هذه الدعوة كما رأيت متفقة في خصائصها مع خصائص الوحى الخاتم فإنك على الفور تدرك أن الدعوة هى الدين الحق الذى ارتضاه الله عزو جل للناس أجمعين، وأنزل تعاليمه وحيا على رسوله

صلى الله عليه وسلم وحفظها قرآنا وبينها سنة ومنهاجا، وأمر رسوله الأمين صلى الله عليه وسلم بتبليغها للناس جميعا، واذ ما عرفت هذا فإن عليك أن تدرك أن الداعى إلى الله عزو جل ينبغى أن يدعو أيضا الناس مسلمين وغير مسلمين الي تنفيذ برنامج الإسلام والعمل به وإقامة شرعه على الأرض دون أن يحيد قيد أنملة عن تلكم الخصائص التى ارتكزت عليها الدعوة الاسلامية فى مهدها وباكورة عهدها فأذهلت العالم كله بنجاحاتها، وأخذت بأيدى من شرح الله صدره لها إلى السعادة فى الدنيا والآخرة وهذا كله يقتضى من الداعية تبيانا ووضوحا وتوضيحا، وشرحا وتفصيلا ويقظة يبصر من خلالها عن بعد مستقبل أمرة ودعوته أسوة برسول الله صلى الله عليه وسلم الذي قال له ربه(وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نزل إليهم)(١٢٤) وهذا التبيان يلتزم بمنهج القرآن نفسه الذى حدده لرسولنا صلى الله عليه وسلم فى قوله تعالى (ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتى هى أحسن) (١٢٥)

وإذا كان للدعوة خصائصها التى تنفرد بها - كما علمت - فإن الداعية إلى الله عز وجل نظرا لما له من مهمة جليلة ورسالة خطيرة يتوقف على نجاحه فيها صلاح الأمم لزاما عليه أن يعرف خصائصه هو حتى يتمكن من إقناعهم وأساليب هذا الإقناع وطرقه ومناهجه المختلفة، وفيما يلى نقدم لك هذه الخصائص الواجب توافرها فى الداعية الى الله:

---

(١٢٤) سورة النحل: آية رقم ٤٤.

(١٢٥)سورة النحل: آية رقم ١٢٥.

خصائص الداعية إلى الله :

كما أن للدعوة الإسلامية خصائص تميزها عن غيرها من سائر الدعوات الأخرى فإن الداعية المسلم "المتخصص" لا يقل أهمية عن دعوته لأنه حامل أمانتها ورافع لوائها، ومبلغ كلماتها، ومن ثم كان لابد له من سمات ومميزات وخصائص تجلى الفرق بينه وبين غيره من العامة من جهة" أو المدعوين" والدعاة إلى غير الإسلام من جهة أخرى وهى كثيرة أذكر لك هنا أقسامها وبعضا مما يندرج تحت كل قسم منها:

أولا : خصائص تكوينية اكتسابية:

وأقصد بها مصادر الداعية المسلم المتخصص التى تتكون منها علومه ومعارفه وتصطبغ بها عقليته وتبنى عليها أفكاره وثقافته، وهى رواسخ وثوابت يكتسبها من يراد إعداده وتجهيزه من مشايخه وأساتذته، حتى تتكون فيه ملكة الدعوة إلى الله ويصبح قادرا على الأدلاء بلا ضرر أو خطر يقع منه على الدين، فيجيزه أساتذته من العلماء للقيام بهذه المهمة، ويلحق بركب سلفه من الدعاة المتخصصين

وفيما يلى أوضح أهم هذه الخصائص التكوينية وأبرزها:

١- ربانى العلوم والمعارف:

وهى من أهم الخصائص، حيث إنها تشكل فى حياة الدعاة وتكوينهم درجة كبيرة من الأهمية، إذ يستطيع أن يزن بها نفسه، وتقيم على أساسها خطواته العملية، حتى لا يظلم أحد نفسه بادعاء ما لا يقدر عليه ،أو ما لا

يملك من المقومات الأساسية له، وفى نفس الوقت حتى لا نظلم الدعوة ذاتها بالإنتماء اليها دون أن تُوَفر الأهلية لهذا الإنتماء ، أو بما يجلب عليها من مثالب وأوجه القصور والنقد، والتى تكون نضجا طبيعيا لقصورنا أو تقصيرنا فيها. وإنه ليبلغ الأمر مداه وغايته، حينما نعلم أن الدعاة إلى الله تعالى - فى أى منهج من مناهجهم ، وعلى أى حال من أمرهم - إنما هم مبلغون عن الله عزوجل وهداة إليه بأمره، ودالون عليه بآياته ومن كان فى هذا المقام - مقام الدعاة المبلغين، والهداة الدالين - لابد أن يتحقق من مقوماته، وأن يحقق هو مقوماته فيه قبل أن يلاقى الآخرين فيتحققوا من هويته، وإلا كان الخطر عظيما، والعائد جسيما.

فحقيق بمن أقيم في هذا المنصب - منصب الدعوة والبلاغ عن الله - أن يعد له عدته، وأن يتأهب له أهبته، وأن يعلم قدر المقام الذى أقيم فيه، ولا يكون فى صدره حرج من قول الحق والصدع به فان الله ناصره وهاديه، وليعلم الداعية عمن ينوب فى دعوته وليوقن أنه مسئول غدا، وموقوف بين يدى الله . وطالما أنه مبلغ عن الله عزو جل وقائم بدعوته مقام رسول الله صلى الله عليه وسلسم فإنه لا يصح له أن يتلقى علومه إلا ممن يبلغ عنه بداءة، ولا أن يبلغ من العلوم والمعارف إلأ بلاغ من قام مقامه وحمل أمانته، وهو ما نقصد به العلم الضرورى الذى لا صلاح للإنسانية إلا به لكونه صادرا عن العليم الخبير وألا يقدم غيره من العلوم عليه بين يدي المدعويين وإن استأنس بغيره مما يعينه على مهمته، وليضع نصب عينه دائما قول الله

تعالى (إن هذا القرآن يهدى للتى هى أقوم)(١٢٦)

وقوله صلى الله عليه وسلم "تركت فيكم أمرين لن تضلوا بعدهما أبدا ما اعتصمتم بهما، كتاب الله وسنتى"(١٢٧)

ومما لا شك فيه أن القواعد العلمية التى استنبطها العلماء الأعلام وتداولوها بالنظر والتدقيق، وتناولها الفقهاء بالبحث والمناقشة، إنما هى ثوابت لا تتغير بتغير الزمان أو المكان، لكن لابد من مراعاة ضميمة أخرى إلى ذلك، هى: ما يستجد فى الحياة من ثمار التطور، ونتاج الحضارات، والتقدم العلمى والصناعى وما يتبع ذلك كله من تغير فى تركيبة الجماعة الإنسانية، والعلاقات الإجتماعية، والظروف النفسية والوجدانية المختلفة.

فان ذلك كله لابد أن يضيف عبئا جديدا على الدعاة إلى الله وميادين أخرى متعدده من التأهل للمواجهة الجادة الواعية المدركة لحقائق التطور وطبيعة الأشياء والعوامل المؤثرة فيها أو المتأثرة بها تقوم على الدراسة الموسوعية الجادة للبيئات والمجتمعات، وعرض واقع هذه البيئات والمجتمعات على بيئات ومجتمعات القرآن الكريم والسنة الشريفة أفرادا وجماعات للوقوف على أفضل السبل وأوفر الطرق مواءمة لدعوتها، قياسا على ما فى القرآن الكريم والسنة النبوية من قصص واقعى، ومثال إفتراضى جدلى، وأصول وقواعد عامة. ومن ثم فإن أول أفق من آفاق الدعوة وأهمها فى ذات الوقت هو المصدر الذى تنبع من معينه، وتميز هذا المصدر بأنه ربانى خال من أهواء البشر وتحريفهم، فالمصدر ربانى والدعوة ربانية والداعية رجل

(١٢٦) سورة الأسراء: آية رقم ٩

(١٢٧) الحديث أخرجه أبو داود جـ ١ صـ ٣٠٠، وابن ماجه ومالك فى الموطأ جـ ٢ صـ ٨٩٩ تحقيق محمد فؤاد عبد الباقى دار إحياء الكتب العربية بمصر- وأحمد فى المسند م ٣ صـ ٢٦،١٦،١٤.

ربانى أمين، لا يجرؤ على الافتراء على الله-عزوجل- والكذب على خلقه باسمه، أو أن ينسب إليه ما لم يصدر عنه، وإذا ما وجبت الدعوة فى حقه كانت ربانية خالصة ابتغاء مرضاة الله عز وجل، دعوة تقوم على وحى الله المعصوم، وتستمد قوتها من بلاغ المعصوم صلي الله عليه وسلم.(١٢٨)

وعندما يلتقى الأفقان: أفق السماء، بكل ما فيه من قدسية وسمو وإشراق، وأفق الأرض، بكل ما يموج فيهامن صراعات وتناقض واختلاف، يتضح للبصير آفق جديد لابد من وجوده- هو أفق الدعاة - لإيصال نور السماء إلى عالم الأرض، أو الصعود بعالم الأرض بكل ما فيه من تركيب غريزى، وتكوين فطرى وعوج بيئي اجتماعى، لكى يشرق بنور السماء، ويستضئ بنور الوحى الالهى المعصوم، ويصهر فى بوتقة الطهر والهداية.

وشباب الدعوة اليوم ليس بأقل من أن يحقق الأمل فيه بالأخذ بهذه المصدرية الربانية المعصومة.

٢- التدريب على كيفية تعامل الداعية مع المصدر الربانى:

أود أن أنبه شباب الدعوة إذا ما أراد أ يكون داعية ناجحا فى أدائه، أن يعيش مع القرآن الكريم، ليأخذ منه زادا لقلبه، ويقتبس منه نورا لعقله، ويستمد منه ريا لروحه، ثم يمد الآخرين بعد ذلك من فيض هذا الرى وذلك النور وذلك الزاد- إلى أمور عدة:

أولها: جمع الآيات فى الموضوع الواحد وتصنيفها:

فعلى الداعية اذا أراد أن يتحدث فى موضوع ما محاضرا أو خطيبا

---

(١٢٨) يراجع: ثقافة الداعيه- د. يوسف القرضاوى صـ ١٧ دار الوفاء للطباعة بالمنصورة.

أو مدرسا أو كاتبا أن يجمع الآيات المتعلقة بموضوعه، ويعمل على تصنيفها بما يلائم الغرض، ويوضح نظرة القرآن إلى الموضوع، وينبغى للداعية المتبصر هنا أن ينظر إلى موضوعه من زاويتين:

أ- تتعلق بالألفاظ القرآنية المتعلقة بموضوعه، وهذه يفيد منها - إلى حد كبير - مراجعة المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، ولا سيما لمن لم يكن حافظا عن ظهر قلب لجميع القرآن الكريم.

ب- وتتعلق بالمعانى المتصلة بموضوعه، وهذه تحتاج الى بصيرة وفطنه، وحسن ادراك لما له صلة بالموضوع، وإن لم يرد بنفس اللفظ والعبارة.

والمهم فى هذا وذلك حسن التصنيف والتقسيم الذي يوضح المعالم ويبرز المقومات والخصائص، ويبين الأهداف والآثار، ولتأخذ لذلك مثلا فبالمثال يتضح المقال:

فالداعية مثلا إذا أراد الحديث عن القرآن والعلم فانه يجد نفسه أمام حشد كبير من الآيات يبلغ المئات ولهذا نكتفى هنا بأخذ بعضها وتصنيفها أو وضع عناوين لها كما يلى:

أولوا العلم قرناء الملائكة:

"شهد الله أنه لا اله الا هو والملائكة وأولوا العلم قائما بالقسط لاإله الا هو العزيز الحكيم)(١٢٩) فبدأ الله سبحانه وتعالى بنفسه ثم ثنى بملائكته الكرام ثم ثلث بأهل العلم مستشهدا بهم على تفرده بالألوهية

العلماء أرفع الناس درجة وأعلاهم مكانة:

---

(١٢٩) سورة آل عمران: اية رقم ١٨.

(قل هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون)(١٣٠)

(يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات)(١٣١)

العلماء أخشى الناس لله:

(انما يخشى الله من عباده العلماء) (١٣٢)

العالم متّبَع من غيره لا تابع له حتى وإن كان أصغر منه:

(يا أبت إنى قد جاءنى من العلم ما لم يأتك فاتبعنى أهدك صراطا سويا)(١٣٣)

احترام العلم الصحيح مهما يكن مصدره:

إذ قد يدرك الأدنى من العلم ما لم يدركه الأعلى، ففى قصة سليمان حين عزم على معاقبة الهدهد الغائب فجاءه يخبره (قال أحطت بما لم تحط به وجئتك من سبإ بنبإيقين.. الآيات) (١٣٤)

وفى قصة ابنى آدم حيث يعلم الغراب الإنسان:

(فبعث الله غرابا يبحث فى الأرض ليريه كيف يوارى سوأة أخيه قال يا ويلتى أعجزت أن أكون مثل هذا الغراب فأوارى سوأة أخى فأصبح من النادمين)(١٣٥)

التعليم يرفع قدر المتعلم ولو كان كلبا:

(يسألونك ماذا أحل لهم قل أحل لكم الطيبات وما علمتم من الجوارح

---

(١٣٠) سورة الزمر : آية رقم ٩

(١٣١) سورة المجادلة:آية رقم ١١

(١٣٢) سورة فاطر:آية رقم ٢٨

(١٣٣) سورة مريم: آية رقم ٤٣

(١٣٤) سورة النمل: آية رقم ٢٢

(١٣٥) سورة المائدة: آية رقم ٣١.

مكلبين تعلموهن مما علمكم الله فكلوا مما أمسكن عليكم واذكروا اسم الله عليه) [١٣٦] وبهذا امتاز الكلب المعلم علي غيره من سائر جنسه فما بال الإنسان المعلم؟

الأمر بالرجوع الى أهل العلم كل فيما يخصه:

(فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون)

(يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم)[١٣٧] حيث فسرت أولى الأمر فى هذه الآية (بالعلماء) كما فسرت بالأمراء ويوضحه دلالة قوله تعالى بعدها (ولو ردوه إلى الرسول وإلى أولى الأمر منهم لعلمه الذين يستنبطونه منهم) [١٣٨] حيث ذكر العلم والاستنباط وهمامن خصائص العلماء.

ويشير القرآن إلى أن الخبير بالشئ هو القادر على الإنباء بحقيقته دون غيره بلا شطط ولا قصور وذلك فى قوله تعالى(ولا ينبئك مثل خبير)[١٣٩] ومن هنا يجب أن يسأل الخبير في كل أمر دق أم عظم دون غيره لقوله تعالى (فاسأل به خبيرا)[١٤٠] .

العلم بحر لا ساحل له: قال تعالى (وما أوتيتم من العلم الا قليلا)[١٤١]

---

(١٣٦) سورة المائدة: آية رقم ٤

(١٣٧) سورة النساء: آية رقم ٥٩

(١٣٨) سورة النساء آية رقم ٨٣

(١٣٩) سورة فاطر آية رقم ١٤

(١٤٠) سورة الفرقان: آية رقم ٥٩.

(١٤١) سورة الإسراء: آية رقم ٨٥.

الازدياد فى العلم المطلوب:

قال تعالى (وقل رب زدنى علما) (١٤٢) وقال (وفوق كل ذى علم عليم) (١٤٣)

الأنبياء يطلبون العلم عند من دونهم:

كما فى قصة موسي وفتاه قال تعالى(فوجدا عبدا من عبادنا آتيناه رحمة من عندنا وعلمناه من لدنا علما. قال له موسى هل أتبعك على أن تعلمنى مما علمت رشدا) (١٤٤) وموسى أفضل خلق الله فى زمنه بلا منازع.

الرحلة فى طلب العلم مهما كانت المشقة والكلفة:

لقوله تعالى (واذ قال موسى لفتاه لا أبرح حتى أبلغ مجمع البحرين أو أمضى حقبا. فلما بلغا مجمع بيهما نسيا حوتهما) (١٤٥)

وقوله أو لم يسيروا فى الأرض فتكون لهم قلوب يفقهون بها أو آذان يسمعون بها فانها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التى فى الصدور)(١٤٦) وفى الآية فوق ماذكرنا دلالة على حاجة القلوب وهى تتحسس سبيل نورانيتها، وتحقيق بصيرتها إلى العلم لأنها لا سبيل إليها بدونه. وغير هذا كثير عشرات من الآيات تتعلق بموضوع العلم مختلفة الدلالة متحددة الهدف يجدهامن يعيش جو القرآن وصحبة القرآن.

ويسطيع الداعية المتمرس المتدرب المتدبر لآيات الكتاب الحكيم أن

---

(١٤٢) سورة طه: آية رقم ١١٤

(١٤٣) سورة يوسف: آية رقم ٧٦

(١٤٤) سورة الكهف: آية رقم ٦٥، ٦٦

(١٤٥) سورة الكهف: آية رقم ٦١

(١٤٦) سورة الحج: آية رقم ٤٦.

يخصص لنفسه سجلا أو حافظة يدون فيها الموضوعات القرآنية وما يتعلق بهامن آيات ، حسبما تهديه إليه بصيرته ووعيه، وسيجد نفسه أمام عشرات بل مئات الموضوعات الحية الدسمة وعليه بعد جمعها أن يحرص على تصنيفها بقدر ما يفتح الله عليه وسيجد عنده بعد جهد ليس بالعسير، وزمن ليس بالكثير ذخيرة من القرآن لا تنفد، وكنزا من أسرار الحق لا يفنى، فضلا عن كونه قد تعود البحث والتنقيب والتفكير، وسهل عليه مطالعة المعلومات فى مظانها من كتب العلم وأبوابها وفصولها.

ثانيها: العناية بدراسة القصص القرآنى دراسة موضوعية:

مما لا غنى لشباب الدعوة عنه بحال من الأحوال أثناء تدريبهم على كيفية التعامل مع المصدر الربانى، وحتى بعد أن تنمى فيهم هذه الملكة على يد أساتذتهم،أن تتوفر لديهم العناية والقدرة على دراسة القصص القرآنى دراسة موضوعية متعمقة يربط من خلالها بينها وبين أشباه الواقع إن وجدت وبين أحداث القصة في القرآن الكريم وأسلوب تعامله مع أحداثها، وما اشتملت عليه من عبر وعظات، وأسرار وحكم بالغة.

وطريقة القرآن فى سرد قصص السابقين لاتعتمد على ذكر التفصيلات كذكر أسماء الأشخاص والبلدان والتواريخ ونحوها ، انما يهتم بروس الغبر، ورسم ملامح الشخصيات التاريخية ، واتجاهات الأحداث ونتائجها (لقد كان فى قصصهم عبرة لأولى الألباب ماكان حديثا يفترى ولكن تصديق الذى بين يديه وتفصيل كل شئ وهدى ورحمة لقوم يؤمنون [(١٤٧)]

(١٤٧) سورة يوسف: آية رقم ١١١

وعند سرد القصة نجد القرآن الكريم يضمنها كثيرا من الحقائق والأسرار العلمية والتوجيهية والتشريعية ، لتنفذ إلى النفس والعقل عن طريق غير مباشر .

فإذا أردنا أن نعرف مثلا مكانة العلم فى القرآن الكريم ، فإننا نستطيع أن نجد ذلك - كما رأينا من قبل - فى آيات كثيرة بطرق مباشرة ، وأن نجده كذلك بصورة غير مباشرة فى آيات القصص القرآنى واضحة جلية ، وذلك فى أربعة مواضع من القرآن الكريم .

الأولى : فى قسمة آدم حين قال الله عزوجل للملائكه (انى جاعل فى الأرض خليفة) (١٤٨) واستغرابهم لذلك فى أول الأمر ، ثم تسليمهم لآدم بعد أ ن أثبت الإختبار الإلهى تفوقه العلمى فقال (ياآدم أنبئهم بأسمائهم قال ألم أقل لكم إنى أعلم غيب السماوات والأرض وأعلم ماتبدون وما كنتم تكتمون) (١٤٩)

وهكذا أشار القرآن الى أن العلم هو المرشح الأول ليقوم بوظيفة الخلافة فى الأرض .

الثانية : فى قصة يوسف عليه السلام ومافيها عن استخدام "التخطيط فى السياسة الإقتصادية وحفظ موارد الدولة وحسن تصريفها وعدالة توزيعها ، كما هو واضح فى الخطة الخمس عشرية التى وضعها يوسف عليه السلام وطبقها بنجاح عاد خيره على أهل مصر والمناطق المجاورة لها ، فى حين يظن بعض الناس أن التخطيط للمستقبل ينافى

---

(١٤٨) سورة البقرة: آية رقم ٣٠

(١٤٩) سورة البقرة: آية رقم ٣٣

الدين والتوكل على الله ".

الثالثة : فى قصة سليمان عليه السلام مع بلقيس ملكة سبا ، حيث استطاع أحد رجال سليمان - وقيل هو سليمان نفسه - فى رأى بعض المفسرين . أن يأتى بعرشها قبل أن يرتد إليه طرفه ، بما مكنه الله عزوجل من علم تخطى به حدود الزمان والمكان معا (قال الذى عنده علم من الكتاب أنا آتيك به قبل أن يرتد إليك طرفك فلما رآه مستقرا عنده قال هذا من فضل ربى ليبلونى أشكر أم أكفر .. الآيه) (١٥٠)

وكان سليمان بالشام وعرش بلقيس باليمن .

الرابعة : فى قصة ذى القرنين وبناء السد العظيم من الحديد مخلوطا بالنحاس المذاب ، وهو ماأثبت العلم الحديث أنه يعطى الحديد قوة وصلابة أشد مما لو كان الحديد وحده (آتونى زبر الحديد حتى إذا ساوى بين الصدفين قال انفخوا حتى إذا جعله نارا قال آتونى أفرغ عليه قطرا ، فما اسطاعوا أن يظهروه وما استطاعوا له نقبا) (١٥١)

ومثل ذلك إذا أحببنا أن نتعرف على مكانة الإيمان فى نظر القرآن الكريم ، فلاريب أننا سنجد أمامنا عشرات من الآيات الكريمة المباشرة تحدثنا عن الإيمان وأثره فى حياة الانسان . ولكننا نستطيع أن ندرك أثر الإيمان بصورة أقوى وأبلغ إذا نحن تأملنا عددا من قصص القرآن .

فنجد فى القرآن الكريم قصة الشاب حين يتشرب قلبه حب الإيمان وماذا يصنع به الإيمان ، ويمكنك أن تدرك ذلك جيدا بالنظر الدقيق فى قصة

---

(١٥٠) سورة النمل: آية رقم ٤٠

(١٥١) سورة الكهف: آية رقم ٩٦، ٩٧.

فتية أهل الكهف ، الذين واجهوا بإيمانهم جمود المنكرين وجحود الكافرين ، وطغيان المتجبرين المتسلطين ، (نحن نقص عليك نبأهم بالحق إنهم فتية آمنوا بربهم وزدناهم هدى . وربطنا على قلوبهم إذ فقالوا ربنا رب السماوات والأرض لن تدعوا من دونه إلها لقد قلنا إذا شططنا . هؤلاء قومنا اتخذوا من دونه آلهة لولا يأتون عليهم بسلطان بين فمن أظلم ممن افترى على الله كذبا) (١٥٢)

ونجد فى القرآن الكريم قصة المرأة حين تؤمن ، وحريتها العقدية مخالفة عقيدة زوجها الكافر ، لتضرب بذلك المثل الأعلى لكل نساء العالمين فى الحرية وقوة الإيمان وإن كانت إحداهن مثلها زوجة لفاجر كفار أومتكبر جبار ، وهو ما توضحه قصة امرأة فرعون التى لم تبال بملك فرعون ولم يغرها منه وعدا أو يثنها وعيد ..

(وضرب الله مثلا للذين آمنوا امرأة فرعون إذ قالت رب لى عندك بيتا فى الجنة ونجنى من فرعون وعمله ،ونجنى من القوم الظالمين) (١٥٣)

وكذلك نجد فى القرآن قصة عوام الناس حين يومنون ، وكيف يغيرهم الإيمان ، وينشئهم خلقا جديدا ، ويفجر فيهم طاقات نفسية عجيبة كانت دفينة محبوسة ماكانت لتظهر قط لولا صنيع الإيمان بها ، وذلك فى قصة سحرة فرعون الذين تبين لهم الحق على يد موسى عليه السلام فآمنوا به ، متحدين جبروت فرعون وتهديده ،

(وألقى السحرة ساجدين قالوا آمنا برب العالمين رب موسى وهارون

---

(١٥٢) سورة الكهف: الآيات ١٣، ١٤، ١٥.

(١٥٣) سورة التحريم : الاية رقم ١١ ويراجع نقيض تلك الصورة فى الآية رقم ١٠ من نفس السورة.

قال فرعون آمنتم به قبل أن آذن لكم إن هذا المكر مكرتموه فى المدينة لتخرجوا منها أهلها فسوف تعلمون لأقطعن أيديكم وأرجلكم من خلاف ثم لأصلبنكم أجمعين . قالوا إنا إلى ربنا لمنقلبون .وما تنتقم منا إلا أن آمنا بآيات ربنا لماجاء تنا ربنا أفرغ عليها صبرا وتوفنا مسلمين) (١٥٤)

ثالثها : العناية بدراسة النماذج القرآنية الصالحة وترسيخها :

على شباب الدعوة وجيل الصحوة الاسلامية أن يقف على النماذج البشرية الصالحة فى القرآن الكريم ، وأن يعمل جديا على ترسيخها وذيوعها ، حيث تصور لنا هذه النماذج الرفيعة ، والمثل العليا ، الشخصية الانسانية القرآنية الربانية فى مختلف المجالات والأحوال ، ومن هذه النماذج القرآنية أذكر عدة أمثلة :

(١) نموذج الغنى الشاكر :

كما فى شخصية سليمان عليه السلام الذى قال عندما سمع كلام النملة ، وفهم عنها (رب أوزعنى أن أشكر نعمتك التى أنعمت على وعلى والدى وأن أعمل صالحا ترضاه وأدخلنى برحمتك فى عبادك الصالحين)(١٥٥)

كما قال عندما أحضر عرش بلقيس (هذا من فضل ربى ليبلونى أشكر أم أكفر ؟ ومن شكر فإنما يشكر لنفسه ، ومن كفرفإن ربى غنى كريم)(١٥٦)

وموجبات الشكر فى القصة كثيرة ذكرها الله عزوجل فى عرضه

---

(١٥٤) سورة الاعراف: الايات ١٢٠-١٢٦

(١٥٥) سورة النمل: اية رقم ١٩

(١٥٦) سورة النمل: آية رقم ٤٠

لأحداثها.

(٢) نموذج الحاكم أو الملك العادل : الذى لم يلهه سعة ملكه عن عبادة ربه ،ورعاية شعبه ، فى شخصية ذى القرنين الذى بلغ بفتوحه مطلع الشمس ومغربها ، ولكنه ظل متمسكا بالعدل ، يكافئ المحسن ، ويعاقب المسئ ، ويقاوم المفسدين فى الأرض ، ويقيم الحصون والسدود الضخمة مستعينا بالله أولا ، ثم بجهود الشعوب وإمكانياتهم آخرا ، وشحذ همم الإيمان فيهم ، كما توضحه آيات سورة الكهف (٨٣-٩٨)

(٣) نموذج العبد الخاضع، الراضى بالقضاء، الصابر على البلاء :

المسلم لله أمره دون أدنى بادرة من بوادر اليأس أو القنوط أو الضيق والضجر ، أو تعجل رفع البلاء وحصول الشفاء حتى مدح الله عزوجل فيه صبره وإيمانه وجلده ، بقوله تعالى (إنا وجدناه صابرا نعم العبد إنه أواب)(١٥٧)

(٤) نموذج الشاب المتعفف عن الحرام : برغم قوته وجماله ونضرته وقوة داواعى الإغراء من حوله ، وإحاطة أسبابها به كما فى شخصية يوسف عليه السلام وهو ماتوضحه الآيات من قوله تعالى (وراودته التى هو فى بيتها عن نفسه وغلقت الأبواب وقالت هيت لك قال معاذ الله إنه ربى أحسن مثواى إنه لايفلح الظالمون) (١٥٨) إلى قوله تعالى على لسان امرأة العزيز (الآن حصحص الحق أنا راودته عن نفسه وإنه لمن الصادقين ذلك ليعلم أنى لم أخنه بالغيب) (١٥٩)

---

(١٥٧) سورة ص: آية رقم ٤٤

(١٥٨) سورة يوسف: آية رقم ٣٢

(١٥٩) سورة يوسف: آية رقم ٥١، ٥٢

(٥) نموذج الشاب كامل الإسلام تام الإيمان، المتمثل أمر الله -عزوجل- الممتثل له، حتى وإن كلفه ذلك بذل نفسه والتضحية بعنقه رخيصا فى سبيل الله قربانا له تعالى ، وهو ماأبرزه القرآن الكريم مثلا أعلى فى شخصية الذبيح اسماعيل عليه السلام حيث قال له أبوه -ابراهيم عليه السلام -لما بلغ معه السعى واشتد عوده وقوى ساعده :(يابنى إنى أرى فى المنام أنى أذبحك فانظر ماذا ترى . قال ياأبت افعل ماتؤمر ستجدنى إن شاء الله من الصابرين) (١٥٩)

(٦) نموذج المؤمن الذى يكتم إيمانه لمصلحة، فإذا مادعت الضرورة لابرازه تصديا للظلم ، وقمعا لجموع الظالمين ، دفاعا عن الحق ومقاومة للباطل ، وجد الابالحكمة ،وتأثيرا بالموعظة ، ومحاورة بالحسنى واللين ودعوة إلى الله على بصيرة ، وهو ماتوضحه الآيات (٢٨-٣٤) من سورة غافر . فى استعراض مثل أعلى يكشف لنا به النقاب عن شخصية قواها الإيمان العميق ، وشجعها يقينها وثقتها بربها تبارك وتعالى ، وهى شخصية مؤمن آل فرعون حيث وقف وقفة لله عزوجل ولرسوله موسى عليه السلام يصعب على ألوف بل ملايين من رجالات عصرنا المشهورين ، الذين يدعى لهم فى كثير من الأحيان شجاعة منقطعة النظير، لاوجود لها فيهم على أرض الإيمان ، فيقول الله -عزوجل -عنه (وقال رجل مؤمن من آل فرعون يكتم ايمانه أتقتلون رجلا أن يقول ربى الله وقد جاءكم بالبتنات من ربكم وان يك كاذبا فعليه كذبه ، وان يك حمادقا يصبكم بعض الذى يعدكم ان الله لايهدى من هو مصرف مرتاب ......) الآيات .(١٦٠)

---

(١٥٩) سورة الصافات راجع الآيات من ١٠٠ - ١٠٩)

(١٦٠) سورة غافر : تراجع الآيات ٢٨ - ٣٤

(٧) نموذج الداعية صاحب الرسالة الذى يؤدى رسالته بأمانة مهما كانت الظروف والمحن :

فهذا يوسف عليه السلام يحكم عليه بالسجن ظلما ، فلا ينسيه ظلم السجن وظلمته حق دعوته عليه ، فينتهز كل فرصة ممكنة لدعوته بين السجناء إلى توحيد الله ، والتخلى عن الوثنية المخرفة ، وهو مايتجلى واضحا فى قوله (ياصاحبى السجن أرباب متفرقون خير أم الله الواحد القهار . ماتعبدون من دونه إلا أسماء سميتموها أنتم وآباؤكم ماأنزل الله بها من سلطان إن الحكم إلا لله أمر ألا تعبدوا إلا إياه ذلك الدين القيم ولكن أكثر الناس لايعلمون) (١٦١)

وهذا موسى عليه السلام تشتد عليه قبضة الطاغية فرعون وملئه، فيمضى فى طريقه حاملا كل التبعات معتمدا على الله وحده واثقا من نصره وتأييده ، فى فترة من فترات الضعف البشرى يحس موسى بالخوف والوجل يختلجان صدره ، وهو فى قلب المعركة يواجه وحده فرعون وسحرته وزبانيته.

ولكن عناية الله - عزوجل - سرعان ماتداركته بالمدد ، وقذفت فى قلبه الإيمان ، والطمأنينة ، (فأوجس فى نفسه خيفة موسى قلنا لاتخف إنك أنت الأعلى وألق مافى يمينك تلقف ماصنعوا إنما صنعوا كيد ساحر ولايفلح الساحر حيث أتى) (١٦٢)

ولكم تدافعت الخطوب وتتابعت السدود لتسد فى وجه موسى الطريق

---

(١٦١) سورة يوسف : الآيات ٣٩ - ٤٠ .

(١٦٢) سورة طه : الآيات ٦٧ - ٦٩

وتغلق دونه المنافذ والدروب ،ولكن سرعان ماكانت تنكشف أمام العزيمة والإيمان ، ويمضى الزحف المقدس يشق طريقه عبر الحياة بثقة وتصميم ، ولكمن حاول قارون أن يفتن الناس بماله ويصرفهم عن موسى ودعوته ، فلكم حاول شراء الضمائر، ورمى موسى بشتى التهم والأراجيف ،ولكن الله كان يكشف مايضمره ، ويخرج موسى من هذه المحن أصلب عودا وأشد صمودا ، وغيرهما من النماذج المشابهة فى القرآن الكريم كثير حتى فى الدعاة غير الأنبياء والرسلين . ولعلك تستطيع إدراك ذلك بنفسك حين تطالع سور البروج وتقف على قصة أصحاب الأخدود . (١٦٣)

(٨) نموذج الابن المؤمن الداعية وأبوه كافر داهية :

وبيان منهج الداعية الناصح الفقيه ، فى دعوته لأقربائه وأصفيائه من عشيرته وأهله ، من التلطف والموادعة معهم حتى يسمعهم دعوته ويبلغهم رسالته وذلك جلى واضح فى شخصية خليل الله ابراهيم عليه السلام وأبيه ، كما هو جلى فى قوله تعالى (واذكر فى الكتاب إبراهيم إنه كان صديقا نبيا إذ قال لأبيه ياأبت لم تعبد مالايسمع ولايبصر ولايغنى عنك شيئا .

ياأبت إنى قد جاءنى من العلم مالم يأتك فاتبعنى أهدك صراطا سويا . ياأبت لاتعبد الشيطان إن الشيطان كان للرحمن عصيا . ياأبت إنى أخاف أن يمسك عذاب من الرحمن فتكون للشيطان وليا قال أراغب أنت عن آلهتى ياإبراهيم لئن لم تنته لأرجمنك واهجرنى مليا . قال سلام عليك سأستغفر لك ربى إنه كان بى حفيا) (١٦٤)

---

(١٦٣) سورة البروج : الآية ٤ وما بعدها

(١٦٤) سورة مريم : الآيات ٤١ ٤٧

(٩) نموذج الأب المؤمن وابنه كافر :

وهو واضح من قصة الطوفان وسفينة نوح عليه السلام ومحاولة الأب الداعية صاحب الرسالة الإلهية إنقاذ إبنه ، وإصرار الإبن على الكفر وعدم اللحاق بركب المؤمنين من أجل النجاة وحنين الأب على ابنه وشفقته عليه والاستشفاع له عند الله عز وجل وعتاب الله عزوجل له أشد عتاب ، ونهيه إياه عن معاوده هذا الأمر تعليما له عليه السلام ولسائر الدعاة الى الله .

ولك أن تسمع هذا الأنين الأبوى الرحيم وهو ينادى :

(يابنى اركب معنا ولاتكن مع الكافرين . قال سآوى إلى جبل يعصمنى من الماء قال لاعاصم اليوم من أمر الله إلا من رحم وحال بينهما الموج فكان من المغرقين وقيل ياأرض ابلغى ماءك وياسماء أقلعى وغيض الماء وقضى الأمر واستوت على الجودى وقيل بعدا للقوم الظالمين . ونادى نوح ربه فقال رب إن ابنى من أهلى وإن وعدك الحق وأنت أحكم الحاكمين، قال نوح إنه ليس من أهلك إنه عمل غير صالح فلا تسألنى ما ليس لك به علم إنى أعظك أن تكون من الجاهلين. قال رب إنى أعوذ بك أن أسألك ما ليس لى به علم وإلا تغفر لى وترحمنى أكن من الخاسرين).[١٦٥]

(١٠) نموذج المرأة المؤمنة وزوجها كافر:

وذلك فى شخصية(آسية بنت مزاحم) إمرأة فرعون الطاغية المتعنت الجبار المتأله الذى(حشر فنادى فقال أنا ربكم الأعلى)[١٦٦] فلم يطمعها ملكه، ولم يخفها جبروته، ولم يسكت صوت الإيمان بالله فيها سلطانه وبطشه، ولم تعبأ بوعده ولا بوعيده،[١٦٧] بل اتجهت إلى الله ربها

(١٦٥) سورة هود الآيات من ٤٢ - ٤٧

(١٦٦) سورة النازعات آية رقم ٢٣ . ٢٤

(١٦٧) راجع ثقافة الداعيه د/ يوسف القرضاوى ص ٢٤ ط ٩١ سنة ١٤١١ هـ ١٩٩١ م

قائله(رب ابنى لى عندك بيتا في الجنة ونجنى من فرعون وعمله ونجنى من القوم الظالين)(١٦٨)

(١١) نموذج المرأة الكافرة وزوجها مؤمن داعية:

وهذا النموذج تجده فى امرأة نوح وأمرأة لوط، حيث يقول الله تبارك وتعالى(ضرب الله مثلا للذين كفروا امرأة نوح وامرأة لوط كانتا تحت عبدين من عبادنا صالحين فخانتاهما فلم يغنيا عنهما من الله شيئا وقيل ادخلا النار مع الداخلين)(١٦٩).

(١٢) نموذج الإنسان الخير المسالم:

الذى يقابل العداون بالتقوى والإساءة بالإحسان، والشر بالخير، كما هو واضح من قول الله تعالى عن أحد ابنى آدم لأخيه(لئن بسطت إلى يدك لتقتلنى ما أنا بباسط يدى إليك لأقتلك إنى أخاف الله رب العالمين. إنى أريد أن تبوء بإسمى واسمك فتكون من أصحاب النار وذلك جزاء الظالمين)(١٧٠)

(١٣) نموذج الإنسان الشرير القاسى:

الذى يقابل الإحسان بالإساءة والرحمة بالقسوة، والعفو بالعنف، والمسلمة بالعدوان، كهذا الذى اعتدى على أخيه الوحيد، وولغ فى دمه دون جرم جناه، ولم يردعه دين ولا خلق ولا رحم، وهو المسمى (قابيل) الذى لم يردعه عن قتله لأخيه-ابن أمه وأبيه- موقف أخيه المثالى الإنسانى منه(فطوعت له نفسه قتل أخيه فقتله فأصبح من الخاسرين)(١٧١).

---

(١٦٨) سورة التحريم آية رقم : ١٠ .

(١٦٩) سورة التحريم آية رقم : ١١ .

(١٧٠) سورة المائدة : آية رقم ٢٨ ، ٢٩ .

(١٧١) سورة المائدة : آية رقم ٣٠

(١٤) نموذج الأمة الخيرة الشجاعة التى تحترم نعمة الله وتقوم بحق شكرها:

ويتضح هذا النموذج جليا فى وصف الله عز وجل للرعيل الأول من أمة محمد -صلى الله عليه وسلم- ومن بعدهم فى الخير وتحقق الوصف تبع لهم، فيقول الله عزو جل (محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم تراهم ركعا سجدا يبتغون فضلا من الله ورضوانا سيماهم فى وجوهم من أثر السجود ذلك مثلهم فى التوارة ومثلهم فى الإنجيل كزرع أخرج شطأة فآذره فاستغلظ فاستوى علي سوقه يعجب الزراع ليغيظ بهم الكفار وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات منهم مغفرة وأجرا عظيما)(١٧٢)

(الذين إن مكناهم فى الأرض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر..)(١٧٣)

(رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلا)(١٧٤) والآيات الدالة على هذا النموذج كثيرة.

(١٥) نموذج الشعب الجبان فى وقت الشدة:

كهذا الشعب الجبان الذى نكص على عقبيه وتنكر لصوت الحق ودعوة الإيمان، فتخاذل عن نصرة قضية الإيمان وولى الأدبار في ساعة الشدة، الشعب المتمرد على الأنبياء بعد أن رأى معجزات الله تترى رؤيا العين على

---

(١٧٢) سورة الفتح : آية رقم ٢٩

(١٧٣) سورة الحج : آية رقم ٤١

(١٧٤) سورة الأحزاب : آية رقم ٢٣

يدى نبى الله موسى عليه السلام وذلك حين قال لهم(يا قوم ادخلوا الأرض المقدسة التى كتب الله لكم ولا ترتدوا على أدباركم فتنقلبوا خاسرين، قالوا يا موسى إن فيها قوما جبارين وإنا لن ندخلها حتى يخرجوا منها فإن يخرجوا منها فإنا داخلون قال رجلان من الذين يخافون أنعم الله عليهما ادخلوا عليهم الباب فإذا دخلتموه فإنكم غالبون وعلى الله فتوكلوا إن كنتم مؤمنين، قالوا يا موسى إنا لن ندخلها أبدا ماداموا فيها فاذهب أنت وربك فقاتلا إنا ها هنا قاعدون)(١٧٥)

(١٦) نموذج الأمة التى لا تحترم نعمة الله ولا تقوم بحق شكرها:

فيسلبها الله عز وجل منها وذلك فى قوم سبأ باليمن فيقول الله عز وجل(لقد كان لسبإ فى مسكنهم آية.جنتان عن يمين وشمال كلوا من رزق ربكم واشكروا له بلدةٌ طيبة ورب غفور، فأعرضوا فأرسلنا عليهم سيل العرم وبدلناهم بجنتيهم جنتين ذواتى أكل خمط و أسل وشئ من سدر قليل. ذلك جزيناهم بما كفروا وهل نجازى إلا الكافور)(١٧٦)

هذه النماذج جامعة، وإنك فى طريق دعوتك لن تخلوا من أن تتعرض لأقرانها على المستوى الفردى والجماعى، ومن ثم فاليقظة بالنسبة للداعية حتمية لا تفريط فيها حال دراسته لهذه النماذج وغيرها فى القرآن الكريم، وتطبيقها على ما هو واقع بالفعل من أحوال الأفراد والمجتمعات، حتى يتمكن من التعامل معها أو مواجهتها بهدف إصلاحها وتغييرها.

---

(١٧٥) سورة المائدة : الآيات من ٢١ - ٢٤

(١٧٦) سورة سبأ : الآيات رقم ١٥،١٦،١٧.

رابعا: حسن الاستدلال بآيات القرآن الكريم:

ومما لا غنى عن تحريه والحرص عليه وإتقانه وأحكامه حسن الإستدلال بالقرآن وبآياته على ما يريد تقريره، أو تثبيته من أحكام وتعاليم وأفكار، فإنه إذا أحسن الإستدلال بالنص القرآنى ووضعه فى موضعه، أزاح كل شبهة، وقطع كل علة، وأخرس كل معار ض، فلا دليل أعظم من القرآن، ولا حديث فوق كلام الله.

(ومن أصدق من الله حديثا)[١٧٧]، (ومن أصدق من الله قيلا)[١٧٨] (أفحكم الجاهلية يبغون ومن أحسن من الله حكما لقوم يوقنون)[١٧٩] ولهذا لا يملك ذووا الحس السليم، والعقل القويم أمام الدليل القرآنى الصريح وحسن توجيه الداعية له، وربطه بالموضوع الذى يتناوله مع المدعويين، إلا أن يقولوا : آمنا وصدقنا أو سمعنا أطعنا، كما قال تعالى(وما كان لمؤمن ولا مؤمنه إذا قضى الله ورسوله أمرا أن يكون لهم الخيرة من أمرهم ومن يعص الله ورسوله فقد ضل ضلالا مبينا)[١٨٠]

وبهذا فالدعوة إلى الله بحاجة إلى داعية مدرب تعلم كيف يحسن تقديمها، حتى تثمر ثمرة طيبة فى الناس، فينبعثون فى الأرض ولسان حالهم يقول(ربنا إننا سمعنا مناديا ينادى للإيمان أن آمنوا بربكم فآمنا ربنا فاغفر لنا ذنوبنا وكفر عن سيئاتنا وتوفنا مع الأبرار)[١٨١]

---

(١٧٧) سورة النساء : آية رقم ٨٧

(١٧٨) سورة النساء : آية رقم ١٢٢

(١٧٩) سورة المائدة : آية رقم ٥٠

(١٨٠) سورة الأحزاب : آية رقم ٣٦

(١٨١) سورة آل عمران : آية رقم ١٩٣

نماذج وبراهين:-

ومن أمثلة حسن الإستدلال بالقرآن والزام المتلقى الحجة به ما أثر أنه(كان في زمن المأمون-أحد خلفاء الدولة العباسية رجل يمشى في الناس فيأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر دون أن يكون مأمورا من قبل الخليفة، فأمر الخليفة المأمون بإحضاره بين يديه، فلما أدخل عليه، قال له الخليفة: يا هذا لم تأمر وتنهى وقد جعل الله ذلك إلينا، ونحن الذين قال الله فينا (الذين إن مكناهم فى الأرض أقاموا الصلاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر) (١٨٢) فقال الرجل: صدقت يا أمير المؤمنين أنت كما وصفت نفسك من السلطان والتمكين غير أنا أولياؤك وأعوانك فيه، ولا ينكر ذلك الا من جهل كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم. قال الله تعالى (والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر)(١٨٣) وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم "المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا"(١٨٤) فأعجب المأمون بكلامه وسر به، وقال"مثلك يجوز أن يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر، فأمض علي ما كنت عليه يأمرنا و رأينا)(١٨٥).

وهكذا حين أحسن الرجل الاستلال بالقرآن والسنة، انقطعت حجة الخليفة، ولم يجد بدا من إقرار الرجل على ما هو عليه كداعية فقيه مدرك

---

(١٨٢) سورة الحج : آية رقم ٤١

(١٨٣) سورة التوبة : آية رقم ٧١ .

(١٨٤) الحديث آخرجه البخارى فى المظالم ، والصلاة، والادب ، والترمذى فى البر ، والنسائى فى الزكاة ، واحمد فى م ٤ ص ٤٠٤،٤٠٥،٤٠٩

(١٨٥) براجع ثقافة الداعية – د.يوسف القرضاوى ص ٢٥ ،٢٦

وعلى المقابل مما سبق نجد من المأثور أيضا أن واعظا دخل على المأمون فوعظه، وعنف له فى القول، فقال له المأمون: يا رجل ترفق بنا فإن الله بعث من هو خير منك إلى من هو شر منى، وأمره بالتلطف معه والترفق به لقد بعث الله عز وجل موسى وهارون عليهما السلام فأوصاهما بقوله(فقولا له قولا لينا لعله يتذكر أو يخشى)[١٨٦]فسلم الواعظ للخليفة واعتذر آسفا منصرفا من مجلسه.[١٨٧] .وهنا كان موقف الخليفة فى الإستدلال أقوى ، لأن الدليل القرآنى كان معه.

والواجب على الداعية أن يراعى فى هذا المقام الإستدلال بالمتفق عليه، لا بالمحتمل أو المختلف فيه دلالة، فان الدليل الذى يتطرق إليه الاحتمال يسقط الإستدلال به.

فعند الحديث عن شمول القرآن-مثلا- يستدل بعض الناس بقوله تعالى(ما فرطنا فى الكتاب من شئ)[١٨٨]

ومع أن الكتاب فى الآية يحتمل أن يكون هو القرآن، فيكون الإستدلال صحيحا، ويحتمل أن يكون المراد به"اللوح المحفوظ" الذى كتب الله فيه مقادير الخلائق كما فى قوله تعالى(كان ذلك فى الكتاب مسطورا)[١٨٩] وغيرها من الآيات، والأولى هنا أن يستدل على شمول القرآن بقوله تعالى(ونزلنا عليك الكتاب تبيانا لكل شئ وهدى ورحمه وبشرى للمسلمين)[١٩٠] فهي صريحة في الدلالة على المراد.

---

(١٨٦) سورة طه : آية رقم ٤٤ .

(١٨٧) يراجع : ثقافة الداعية . ص ٢٦

(١٨٨) سورة الأنعام : آية رقم ٣٨ .

(١٨٩) سورة الاسراء : آية رقم ٥٨ ، وكذا سورة الأحزاب آية رقم ٦

(١٩٠) سورة النحل : آية رقم ٨٩ .

كما أن على الداعية أن يتجنب الإستدلال بما ليس بدليل، مثال ذلك: أن بعض الناس يستدلون على أن ثمار تقوى الله أن يعلمه الله ما لم يكن يعلم بقوله تعالى(واتقوا الله ويعلمكم الله)(١٩١)

والحق أن الآية لا تدل على هذه الدعوى، لأنها ليست أمرا وجوابا فإنما كان يصح ذلك لو كان لفظها (واتقوا الله يعلمكم الله) أما الآية-أو هذه الفقرة من الآية-فإنها تتضمن أمرا بتقوى الله كما هى سنة الله تعالى فى القران الكريم حين يقرن الأوامر والنواهى بالتقوى، ثم بعد ذلك يقال(ويعلمكم الله) أي فقه هذه الأوامر والأحكام، كما فى قوله تعالى(يبين الله لكم أن تضلوا والله بكل شئ عليم)(١٩٢)

أما الاستدلال على الدعوة المذكورة فيمكن بقوله تعالى فى سورة الأنفال(يا أيها الذين آمنوا إن تتقوا الله يجعل لكم فرقانا)(١٩٣) أى نورا تفرقون به بين الحق والباطل.

ومثله قوله فى سورة الحديد(يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وآمنوا برسوله يؤتكم كفلين من رحمته ويجعل لكم نورا تمشون به)(١٩٤) بل ويمكن أن يستدل بعموم قوله تعالى(ومن يتق الله بجعل له مخرجا)(١٩٥) لأنه يشمل المخرج من الشبهات والمتشابهات.

لهذه الأسباب نقول: إن على الداعية أن يكون يقظا فى استخدامه لما لاغنى له عنه إبان استدلالة على موضوع دعوته، وأن يركن إلى أقرب

---

(١٩١) سورة البقرة : آية رقم ٢٨٢.

(١٩٢) سورة النساء : آية رقم ١٧٦

(١٩٣) سورة الانفال : آية رقم ٢٩ .

(١٩٤) سورة الحديد : آية رقم ٢٨

(١٩٥) سورة الطلاق : آية رقم ٢

الحجج وأوضح البراهين دلالة بحيث يستطيع إ قناع المتلقى بصدق دعوته، دون أن يعرضه لأي لجاجه عقليه، أو شطحات فكرية.

القرآن مصدر رئيسى لبناء البرهان:-

ليعلم الداعية أن ليس له عن الإستدلال بالقرآن عوض مهما كانت رجاجة عقلة،وقوة إدركه،وسعة ثقافته، وسلامة فطنته، بل لا بد و أن يضعة نصب عينية كمصدر رئيسى لسلامة دعوتة، وانطلاق رسالته، والإقناع بقضيته؛"سواء أراد (الداعية) أدلة مطلقة من غير تعيين مطلوب، أم حدد مطلوبا معينا، فالقرآن هو الدليل المادى الذى يفيد العلم، ويوصل إلى الهدى ويحقق الإنتفاع بالعلم والهداية، وأدلته هى التى تحمل العلم المفصل الذى يزيد الإيمان وينمية، يقول جندب بن عبد الله البجلى(تعلمنا الإيمان ثم تعلمنا القرآن فازددنا إيمانا).وإذا ما نظر الداعية فى الدليل الهادى بين أدلة القرآن وأخطأ، فهذا منه لا من تلك الأدلة، ويكون الناظر (الداعية)هو الذى أخطأ مقصود الدليل وفهمه، لا أن الدليل نفسه هو الذى لم يوصل إلى الهداية، إذ كل دليل فى القرآن صحيح فى ذاته، صادق فى حكمه، هاد إلى المراد منه، والداعية إما أن يكتشف ذلك بصحيح نظره وسلامة آلاته، وإما ألا يكتشف المطلوب لخلل فيه وفى طريقته وآلاته، ويستحيل أن يكون الخلل من عين دليل الحق سبحانه.

وهذا بخلاف الناظر فى الأدلة العقلية فإنه قد يقع فى أخطاء تتصل بالدليل ذاته، وذلك عندما يحسبه الناظر صحيحا وهو فاسد، أو حقا وهو باطل[١٩٦] أو لا يعرف ما يدله على المطلوب، فيتخبط بين أدلة متعددة، ويتردى بين شبة ربما بعدها أدلة، وهى ليست كذلك وقد يكون الخطأ راجعا

(١٩٦) يراجع : مجموع الفتاوى - للامام احمد بن تيميه م٢ ص ٤،٥٩ ص ٢٦ - ٢٨ بتصرف شديد

إلى قصور فى المستدل وطريقته فى الإستدلال (وهذا لا شك مفتاح للجدل والخصومة، واللجاجة والتفريق فى صف المؤمنين،و مدعاة لإبعاد من يرتجى لهم الهداية من غير المؤمنين، وهنا يكون الضرر بالدعوة ومقتضياتها أمر لا مفر ولا منجى منه)

وما دام الأمر كذلك شديد الخطورة فإن اللجوء إلى الأدلة الصحيحة الصادقة- والتى لا تكون يقينا كذلك إلا- من كتاب الله أولى وأوجب، مع ضرورة مراعاة إصابة الدليل لما استدل به عليه، وأن يتبين مواضع الكلم بصوره، وأن يكون صافى القلب، نقى الخاطر، كى يشع دليل القرآن عليه مما يحمل من علم ونور وهداية ربانية»[١٩٧]

خامسا: الحذر والتحذير من سؤ التأويل وتحريف الكلم عن مواضعه:

إنه مما لاغنى عنه لشباب الدعوة وهم فى مرحلة الدربة على كيفية التعامل مع المصدر الربانى للدعوة للدعوة الاسلامية ودعاتها أن يتعلموا الحذر قبل أن يحذروا غيرهم من الإنحراف والتحريف وسوء الفهم والتأويل لآيات القرآن الكريم، وحملها على معان فوق طاقة اللفظ تخرجها عن مراد الله منها ،(وهو لون من ألوان التحريف الذى ذم الله به أهل الكتاب، فقد

ليعلم الداعية أن ليس له عن الاستدلال بالقرآن عوض ، مهما كانت رجاحة عقله ، وقوه إدراكه وسعة ثقافته ، وسلامة فطنته ، بل لابد وأن يضعه نصب عينيه مصدر رئيسى لسلامة دعوته وانطلاقة رسالته والاقناع بقضيته ، «سواء أراد (الداعية) أدلة مطلقة من غير تعيين مطلوب ، أم حدد مطلوبا معينا فالقرآن هو الدليل الهادى الذى يفيد العلم ، ويوصل الي الهدى ، ويحقق الانتفاع بالعلم والهداية ، وأدلته هى التى تحمل المفصل الذى يزيد الايمان وينميه ، يقول جندب بن عبدالله البجلى (تعلمنا الايمان ثم تعلمنا القرآن فازددنا ايمانا » . وإذا ما نظر الداعية فى الدليل الهادى بين أدلة القرآن وأخطأ ، فهذا منه الامن

(١٩٧) يراجع : مدخل إلى الإستلالال القرآنى .أ.د- عبد الله الشاذلى صـ١٧٢-١٧٣ بتصرف (طـ١) سنه ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م

حرفوا كتبهم لفظيا بالزيادة والنقصان، ومعنويا بسوء التأويل).[١٩٨]

ولما كان القرآن قد تكفل الله- عز وجل- بحفظه وهيأ له و يهيئ وسيظل يهيئ له من السطور والصدور ما شاء ومن شاء، فلا مجال لما وقع فيه أهل الكتاب من التحريف اللفظى أن يقع أحد فى مثله بالنسبة للقرآن، لكن الخطر عليه أن ينادى فى الناس باسمه وتحت لوائه من يسئ فهمه، ويحرف معناه عن ما لا يحتمله لفظه، وكذا الرأى المذموم الذى جاء الحديث[١٩٩] يتوعد من أول به القرآن، أو ما يمكن لنا أن نسميه لى عنق النص، أو التعسف فى استخدام النص، وأحيانا ما يكون تكلفا. وفى عصرنا-كما فى عصور سابقة- كثرت أسباب الانحراف والتحريف، نذكر لك منها:

(١) إخضاع النصوص للواقع الزمنى وإن كان مخالفا للإسلام :-

محاولة أخذ النصوص من تلابيبها وتأويلها بعيدا عن الظاهر، لتبرير

---

(١٩٨) يراجع لمزيد التبيان والايضاح : معالم التنزيل - للإمام أبي محمد الحسين مسعود القراء البغوى - تحقيق خالد عبد الرحمن العك ، مروان سواء جـ ٢ ص ٢١ ط دار المعرفة - بيروت - سنة ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣م

(١٩٩) اخرج الحافظ ابن كثير فى مقدمة تفسيره بعد أن قال : أما تفسير القرآن بمجرد الرأى أى بالهوى - فحرام ، لما رواه محمد بن جرير رحمه الله تعالى حيث قال - ثم ساق سنده - عن سعيد بن جبير عن ابن عباس - رضى الله عنهم اجمعين - عن النبى - صلى الله عليه وسلم قال « من قال فى القرآن برأيه أو بما لايعلم فليتبوأ مقعده من النار » وقال رواه الترمذى والنسائي وأبو داود- ط١ ص٥ والكلام فى الرأى وعدم العلم بالقرآن وبيان حدود الفهم له . إنما يوضحه ماذكره الإمام ابن عباس - رضى الله عنهما - ونسبه ابن كثير إلى ابن جرير رضى الله عنه قال :" التفسير علي أربعه أوجه - أوأحرف - وجه تعرفه العرب من كلامها وتفسير لايعذر أحد بجهالته - وهو الحلال والحرام - وتفسير يعرفه العلماء، وتفسير -أومتشابه - لايعلمه إلا الله عزوجل ،ومن ارعى علمه سوى الله فهو كاذب " يراجع حـ١ صـ٦ . وهو مايؤكد أن المقصود من ذلك - أى التفسير بالرأى - هو الرأى المدفوم ، والتأويل السيئ لأنه لون من ألوان التحريف،كما عده بعض المفسرين يراجع معالم التنزيل للبقوى

هذا الواقع على ما هو عليه من فساد وبعد عن الاسلام،[٢٠٠] باعطائه سندا من الشرع، ومسوغا من النص، تحت مسمى الضرورة أو الحاجة، أو الغلبة أو السلطان كما رأينا ذلك فى محاولات تسويغ نظام الفوائد الربوية فى البنوك عند سطوة الدول الرأسمالية وتسلطها على البلدان الاسلامية، ومثلها محاولات تبرير التأميم، ومصادرة الملكيات، بعد ذلك أيام سطوة وتسلط الدول الإشتراكية (الشيوعية) على البلاد الاسلامية.

ومن ذلك الإنحراف فى تأويل الآيات والأحاديث عن مدلولاتها الظاهرة والواضحة إلى تأويلات بعيدة غير سائغة ولا لائقة، ولا منسجمة مع السياق القرآنى، اتباعا لفكرة شائعة، أو نظرية سائدة، لم تبلغ الحقائق

=جـ٢ صـ٢١ ، وكذلك بتغيير أحكام الكتاب ، والتعلل وتبرير عدم تطبيقها والتزام بها ، كما هو حادث الآن فى المعاملات والحدود والعديد من مجالات الحياه على أرض الواقع . يراجع : معالم التنزيل حـ١ صـ٨٧ بتصرف شديد جداً

(٢٠٠) لقد كان مثل هذا الصنيع سببا فى لعن الله عز وجل - لمرتكبيه من علماء اليهود والنصارى ففى تفسير ابن كثير عند تفسيره لقول الله تعالي عن هذا الصنف من علماء بنى اسرائيل ممن كانوا « يسمعون كلام الله ثم يحرفونه من بعدما عقلوه وهم يعلمون » الاية ٧٥ من سورة البقرة « يجعلون الحرام حلالا والحلال حراما ، والحق باطلا ، والباطل حقا ، إذا جاءهم المحق بروشوة آخرجو له كتاب الله ، وإذا جاءهم المبطل برشوة أخرجو له ذلك الكتاب فهو فيه محق ، وإذا جاءهم أحد يسألهم شيئا ليس فيه حق ولا رشوة ولاشيئ أمروه بالحق . يراجع حـ١ صـ١١٥

وقال العلامه صاحب إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم - أبو السعود محمد بن محمد العمارى فى معنى هذه الآيه " ان فريقا من علماء أهل الكتاب كانوا يسمعون كلام الله - عزوجل - من أنبيائهم . تم يحرفون - أى بعد رحيل أنبيائهم عن مواضعه - أى قصد -منهم ، لالقصور فهمهم عن الإحاطه بتفاصيله على ما ينبغى لاستيلاء الدهشه والمهابه حسبما يقتضيه مقام الكبرياء ، بل " من بعد ماعقلوه " أى فهموه وضبطوه بعقولهم ولم تبق لهم فى مضمون ولافى كونه كلام رب العزه ربيه أصلا ، ففعلوا ذلك عن قصدوهم يعلمون انهم كاذبون مفترون " يراجع تفسير أبى السعود م١حـ١ ، صـ١١٦،١١٧ بتصرف بسير - دار إحياء التراث العربى للطباعة والنشر -بيروت . ط (٢) سنه ١٤١١هـ - ١٩٩٠م

العلمية، كما وقع فى ذلك بعض العلماء المعاصرين وغيرهم من الكتاب المتسرعين، بصرف النظر عن كون ذلك قد وقع منهم بحسن نية أو سوء نية.

(٢) إعتناق فكرة أو مذهب أو اتجاه ثم محاولة تطويع النص للتدليل عليه:

وهو قلب لقضية الإيمان كلها، لأن الدليل لا بد وأن يسبق لدى المتلقى المستدل عليه، فإذا ما صح عنده الدليل واقتنع به عقله واطمأن إليه قلبه، خصل منه الإعتقاد، ورسخ الإيمان وتحقق اليقين، وهذا هو المنهج الصحيح أن يستدل ثم يعتقد.

وقد وقع فى هذه المخالفة، كثير من علماء الكلام والفلاسفة والفرق المختلفة، والمقلدين فى الفقة، إذ قد جعلوا مذاهبهم أصلا ثم شدوا النصوص شدا لتأييد المذهب، وإن كان فى ذلك التكلف والتمحل، وإن لم يجدوا مجالا للتأويل لجئوا إلى القول بالنسخ مع أن النسخ لا يثبت بالإحتمال.

وقد (رأينا ابن سينا وأمثاله من كبار الفلاسفة فى العصور الإسلامية اعتقدوا صحة ما ذهب إليه أرسطو وغيره من فلاسفة اليونان فى الإلهيات والطبيعات، وغيرها، فلما اصطدم ما اعتقدوه بآيات القرآن الكريم الوفيرة طفقوا يؤولونها تأويلات ترفضها اللغة، كما يرفضها الدين، حتى كفرهم الغزالى ومن بعده فى ثلاث مسائل معروفة، أنكروا فيها ما هو معلوم من الدين بالضرورة)[٢٠١] ومن شاء الاطلاع عليها فليراجع كتابه تهافت الفلاسفة وكتابه"المنقذ من الضلال".

---

(٢٠١) يراجع : ثقافته الداعية - د. القرضاوى ص ٢٨

(٣) تمزيق النصوص وعدم التقائها.

إن الواجب على الداعية حال تناولة أو عرضه لقضية من القضايا أن يأخذ كل ماورد فيها من نصوص، والعمل على جمعها والتوفيق بين بعضها البعض، لتدارسها ومعرفة المراد من مجموعها. فمن أراد أن يعرف بحكم القرآن فى الربا-مثلا- فلا يسوغ له أن يقتصر على قوله تعالى فى سورة آل عمران (يا أيها الذين آمنوا لا تأكلوا الربا أضعافا مضاعفة)(٢٠٢) دون أن يضم اليها قوله تعالى فى سورة البقرة(يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وذروا ما بقى من الربا إن كنتم مؤمنين فإن لم تفعلوا فأذنوا بحرب من الله ورسوله وإن تبتم فلكم رءوس أموالكم لا تظلمون)(٢٠٣)

فدل على أن ما زاد على رأس المال-المقترض- فهو ربا، قليلا كان أو كثيرا، وإذاً تكون عبارة(أضعافا مضاعفة) وصفا لبيان الواقع، وليس قيدا حقيقا، كما تقول لأولئك التجار الجشعين لا تحتكروا ضروريات الناس لتربحوا مائتين فى المائة، فهذا بيان لواقعهم، وليس معناه أنهم اذا احتكروا الطعام ونحوه ليربحوا مائة أو خمسين فى المائة أو أقل أو أكثر كان ذلك حلالا.

(٤) اتباع المتشابهات وترك المحكمات:

وهو أصل من أصول الزيغ والضلال كما أشار الى ذلك القرآن الكريم فى قوله تعالى(هو الذى أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هن

---

(٢٠٢) سورة آل عمران : أية رقم ١٣٠ .

(٢٠٣) سورة البقرة : آية رقم ٢٧٨، ٢٧٩ .

أم الكتاب وأخر متشابهات. فأما الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه أبتغاء الفتنة وابتغاء تأويله وما يعلم تأويله إلا الله والراسخون فى العلم يقولون آمنا به كل من عند ربنا وما يذكر إلا أولوا الألباب)(٢٠٤)

بينت هذه الآية الكريمة أن من آيات الكتاب ما هن محكمات أى قاطعات واضحات الدلالة لمن تدبرها وهن أم الكتاب، أي أساسه ومعظمه وأكثره، ومعنى هذا أن الفرع يجب أن يرد إلى الأصل أو الأم، والأقل يجب أن يفسر تبعا للأكثر، ولكن الضالين الذين فى قلوبهم مرض وزيغ وانحراف، يجرون وراء المتشابهات ليضربوا القرآن بعضه ببعض، بدلا من أن يؤيدوا بعضه ببعض، فتراهم متسكون بما يظهر لهم منها موافقا لأهوائهم، ولو أنصفوا فردوا المتشابهات إلى المحكمات أو بعبارة أخرى" ردوا المحتملات إلى القواطع والبينات" لبان لهم جليا واضحا وضوح الشمس فى كبد السماء.

واذا تتبعنا الفرق المنحرفة التى خالفت عن طريق السنة والجماعة منذ ظهور الإسلامإلى اليوم، لوجدنا أن من أهم وأبرز أسباب انحرافها: اتباع المتشابهات، وترك الأصول المحكمات.

(وما من بدعة من البدع المارقة إلا ولأهلها شبه يتكئون عليها من المتشابهات، حتى إن القائلين بوحدة الوجود كالحلاج وابن عربى وغيرها، وهم-كما قال أحد العلماء:"أشنع المبتدعين بدعة وأبعدهم عن القرآن والسنة وأفحشهم قولا-ومع ذلك يحتجون لبدعتهم وضلالهم بمتشابهات من القرآن والحديث فيذكرون مثل قوله تعالى(ان الذين يبايعونك انما يبايعون

---

(٢٠٤) سورة آل عمران : آية رقم ٧ .

الله)[٢٠٥] وقوله تعالى(وما رميت اذ رميت ولكن الله رمى)[٢٠٦].

وبحديث(أصدق كلمة قالها شاعر: كلمة لبيد: ألا كل شئ ما خلا الله باطل)[٢٠٧]

وقد أغفل هؤلاء أن الدين كله بقرآنه وسنته، بل الرسالات السماوية كلها تنادى بأن فى الوجود ربا ومربوبا، خالقا ومخلوقا، وكونا ومكوِّنا، فثنائية الوجود من بدهيات العقل والدين وضرورياته التى لا تحتاج إلى استدلال ولا إلى إقامة برهان)[٢٠٨].

بل إن المسيحين حاولوا ويحاولون أن يجدوا فى متشابه القرآن ما يسند دعواهم بألوهية المسيح أو بنوته لله(سبحانه وتعالى عما يقولون علوا كبيرا)[٢٠٩] والمقصود أن اتباع المتشابة هو دأب الزائغين من قبل ومن بعد. وبهذا نكون قد أنتهينا من الخاصية الأولى من خصائص الداعية.

الخاصية الثانية:ذاتية نفسية:

قد يعرف الداء ويعرف الدواء معا، ولكن بدلا من أن يضع الداعية برنامج العلاج بهذا لذلك، تراه يسرف فى اللوم والسخرية فلا يقضى على الداء ولا ينتفع بالدواء، والسبب فى ذلك-لا شك- يرجع إلى عدم حنكة الطبيب وحكمته، وقدرته على التفاعل مع الأحداث والوقائع، وهل يقل الداعية وهو طبيب الأرواح والأنفس شأنا عن طبيب الأبدان؟

(٢٠٥) سورة الفتح آية رقم ١٠

(٢٠٦) سورة الانفال آية رقم ١٧

(٢٠٧) الحديث أخرجه البخارى فى مناقب الانصار برقم ٢٦، وفى الأدب برقم ٩٠ وفى الرقاق برقم ٢٩ وأخرجه مسلم فى البر برقم ٦،٢ والترمذى فى الادب برقم ٧٠ وابن ماجه فى الأدب برقم ٤١، واحمد فى م ٢ص٢٤٨،٣٩١،٣٩٣،٤٤٤،٤٥٨، ٤٧٠،٤٨١.

(٢٠٨) يراجع ثقافة الداعية-د/ القرضاوى ص٢٩،٣٠

(٢٠٩) سورة الإسراء آية رقم ٤٣.

ومن العيب أن نسمع أنينا ونشيجا وبكاء مريرا على مستقبل الدعوة والأمة، يتحول إلى معارك جانبية يتراشق الناس فيها بالتهم، وتقاذف التبعات.

الأفراد يلقون بالتبعة على الحكومات، والجمهور يحمل العلماء مسئولية الفساد، وتدهور حال الأمة.بينما تلقى الحكومات اللوم-كما يلقيه العلماء-على جمهور لم يتجاوب مع دعوة يحس بأهميتها وقدسيتها.

وفى دوامة العتاب المتبادل، تزداد موجات الحق انحصارا وانحسارا عن الساحة التى يتفرد بها المنحرفون، والتى تدعو كل مسلم أن يتقدم ليقول كلمة مجدية تحقق ثمرة طيبة نافعة، بعيدا عن سياسة التبرير والاتهام، ولعل فى كلمته جرعة من دواء تمهد السبل الى الشفاء.

المقياس كما فى نظر ابن العباس:-

وفى كلمتنا هذه نحاول أن نصاحب سيدنا عبد الله بن عباس -رضي الله عنهما- فى مشهد معبر عن أهم خصائص الداعية ونقطة البداية فى حياته، ليتسنى لنا تصور الداعية كما يجب أن يكون، وكيف تبدأ خطة اصلاحه من داخل نفسه أولا. حتى اذا استكمل خصائصه الإيمانية والنفسية رشحه ذلك للقيام بدورة فى تغيير الحياة طبق شرع الله تعالى.

(فعن ابن عباس-رضى الله عنهما-أنه جاءه رجل فقال:يا ابن عباس: إنى أريد أن آمر بالمعروف وأنهى عن المنكر).

قال: أو بلغت ذلك؟

قال: أرجو

قال: ان لم تخش أن تفتضح بثلاث آيات من كتاب الله فافعل.

قال: وما هن؟

قال: قول الله-عزوجل-(أتأمرون الناس وتنسون أنفسكم)(٢١١) أحكمت هذه؟

قال: لا، فما الثانية؟

قال: قوله-عز وجل-(يا أيها الذين آمنوا لم تقولون ما لا تفعلون كبر مقتا عند الله أن تقولوا ما لا تفعلون)(٢١٢)؟ أحكمت هذه؟

قالك لا. فما الثالثة؟

قال: قول الله تعالى عن لسان العبد الصالح شعيبا عليه السلام:
(وما أريد أن أخالفكم الى ما أنهاكم عنه)(٢١٣) أحكمت هذه؟

قال: لا.

قال:فابدأ بنفسك)(٢١٤)

وفى هذا الحوار الذى دار بين حبر الأمة وترجمان القرآن "ابن عباس" والرجل، نلمح بعض الخصائص النفسية للداعية، التى ترشحه لقيادة المجتمع ويكون آمرا ناهيا، والتى ترسم فى أذهاننا صورته، ليقيس عليها، ونقتبس من شعاعها ومضات تعين الفاقهين على حسن اختيار الدعاة. فماذا فى الحوار من معالم تحدد لنا شخصية الداعية كما ينبغى أن يكون؟

أولا: الاحساس بالمسئولية:

فهذا الرجل الوافد على ابن عباس واحد من الشاعرين بعيوب

---

(٢١١) سورة البقرة آية رقم ٤٤.

(٢١٢) سورة الصف آية رقم ٢-٣ .

(٢١٣) سورة هود آية رقم ٨٨ .

(٢١٤) يراجع نحو أسلوب أمثل للدعوة - أ.د / محمود عمارة ص ٤١.

المجتمع، ثم بمسئوليته فى التغيير سيرا به إلى الأفضل. وبدلا من أن يحصر وظيفته فى اللوم والصراخ حزنا على واقع المسلمين، فإنه يرصد طاقته لينفقها فى دور إيجابى ينصر به دين الله.

لكن الشوق العارم فى نفسه إلى التغيير، وحده لا يعطيه صلاحية التوجيه، قبل أن يعرف أصول هذا التوجيه من الراسخين فيه والقائمين عليه. ومن ثم فهو يسأل أهل الذكر فى شخص ابن عباس رضى الله عنهما كى ينال بموافقته شرف الإنتساب إلى جماعة الدعوة إلى الله عز وجل، إيمانا منه بخطورة الوظيفة التى لا ينبغى الخوض فيها إلا بإذن ممن يملكون الإذن، وإقرار التخصص والصلاحية.

ولا شك أن ابن عباس -رضى الله عنه- قد اغتبط لشاب مسلم، تُحركه إلى الإصلاح رغبة مخلصه، ودوافع إيمانية صادقة.

هذه الرغبة التى لم تجنح به إلى أن يكون مهندسا أو طبيبا أو غير ذلك مما يتنافس فيه المتنافسون من شباب اليوم.

لكن هذا الفرح الغامر، والإستعداد النفسى الباهر، لم يحمل حبر الأمة على أن يعطى الإذن له سهلا ميسورا -وهو رجل الدعوة المدرك لخطورتها- لكنه يعقد للفتى المندفع امتحانا عسيرا، يتحسس من خلاله قدراته الشخصية، ومؤهلاته النفسية، حتى إذا تخطى عقبته سمح له من بعد أن يحمل قلمه وأن يهيئ نفسه للنزال.

وهنا يتبين لك أن الإحساس بالمسئولية كان قاسما مشتركا بين شاب لم يعط لنفسه حق الدعوة، والتجرؤ على خوض غمارها بلا إذن، وبين عالم عامل لم يسمح له بممارستها إلا اذا رشحته مواهبه وقدراته النفسية لحمل

أمانتها.

ثانيا: أدب الحوار

ومما لا يصعب إدراكه من الموقف السابق، أن منطق ابن عباس كان موحيا بأهمية الدعوة، وأهمية اختيار أحسن الكوادر لها حيث بين أنه لا يطيق أعباءها وحمل أمانة مسئوليتها إلا أكفاؤها من الرجال، وهذا ما يؤكده أسلوبه الإستفهامى المشبع بروح الإشفاق على هذا الرجل بقوله: أو بلغت ذلك؟

ويجيب الرجل بأسلوب المريد المتواضع، العارف بقدر نفسه قائلا:أرجو..

إنه لا يحسم القضية بالتأكيد على قدرته، بيد أنه-وقد أحس من كلام إمامه بأهمية الوظيفة-يعلق الأمر بالرجاء أن يكون عند حسن الظن، إذا ما أتيحت له فرصة العمل تحت لواء الدعوة. ربما قرأ هذا الفتى بعض كتب العلم التى تعينه على أمر الدعوة، وربما جالس بعض العلماء وأفاد منهم بعض حقائق الدين والعلم، بل ربما حصل على صك يمنحه حق الدفاع عن الدين، كما يحدث لكثير من فتياننا اليوم، أو كما حدث فعلا من كثير منهم.

لكن ذلك كله لم يبح له- من وجهه نظره- أن يقول مثلا: نعم بلغت ذلك، وأنا أحق بها وأهلها ، ومن مثلى فى حسن منطقى وجميل عباراتى، وقوة ألفاظى ومؤثرات حديثى؟

كما نرى فى ردود كثير من شباب مغرور لم يدرك أبجديات الدعوة بعد.. فهل نتعلم من السلف الصالح أدب الحوار مع الكبار، والصدق مع النفس قبل التعامل مع قضايا الغير؟

ثالثا: نفسية أشبال الدعوة تحت المجهر القرآنى

لعلك رأيت كيف واجه هذا الشبل من أشبال الدعوة الطامع فى الإنضمام إلى قافلة أسودها نفسه ؛ ولم يخدعها أو يخدع سائله وهو يواجه بمسئوليتة ؛ وقد وضعه ازاء آيات من كتاب الله - عز وجل - ليرى نفسه فى مزآتها ؛ ثم يتحسس قدرته بعد ذلك على النهوض بمهامها وأعبائها ؛ حتى لا يفاجأ بموقف لم يستعد له ؛ فتكون الصدمة عنيفة والمغرم أسبق اليه من المغنم ؛ فيندم فى وقت لا يجدى فيه ندم .

ويتلخص مضمون هذه الآيات الكريمة فيما يلى :

(١) تشديد النكير على قوم نصبوا أنفسهم آمرين بالمعروف وناهين عن المنكر محاولين الصعود بغيرهم إلى درجات الكمال والرقى ؛ بينما هم نسوا أنفسهم وأهملوها فلم ولا يحملونها على هذا المعروف . (٢١٥)

(٢)أنه تعالى قد عاب على من انتسبوا إلى قافلة الإيمان به أن يخالف قولهم فعلهم ؛ أو أن يخالف فعلهم قولهم وبين أنه عيب يجب أن يتبرأ منه المؤمن بالذات ؛ بحكم إيمانه المانع من التغنى بالفضائل قولا ؛ ثم مخاصمتها عملا ؛ وذلك لأنه جالب لمقت الله وغضبه . (٢١٦)

(٣)أنه أتى بمثال دعوى حى موضحا من خلاله أهم خلق من أخلاق الداعية ؛ «متمثلا فى مقولة نبى الله شعيب عليه السلام حيث بين لقومه أنه ينهاهم وهو أول المنتهين عما ينهاهم عنه»(٢١٧)؛ فرارا من عواقب وخيمة تترتب على هذا التناقض ؛ الذى لا يقتصر أثره على الداعية نفسه ؛

---

(٢١٥) يراجع تفسير ارشاد العقل السليم الى مزايا الكتاب الكريم للعلامة ابى السعود العمارى م١جـ١ ص ٩٧، ومعالم التنزيل، للإمام المحدث الحافظ البقرى جـ١ص ٦٨ بتصرف .

(٢١٦) يراجع فى ظلال القرآن - سيد قطب ص ٣٥٥٣ ومابعدها.

(٢١٧) يراجع : تاريخ الدعوة المرحوم د/ جمعه الخولى ص ٢٥٥ دار الطباعة المحمدية ط (١) سنة ١٤٠٤هـ ١٩٨٤م .

بل أن الدعوة لتخسر قضيتها حين لا يتمثلها رجالها ؛ وكثير من الناس يصرخون فى وجوه دعاة غير ملتزمين ؛ أصلحوا أنفسكم أولا؛ لأنهم مثلهم فى حاجة إلى التذكير . بل إنهم أحوج منهم .

والمفروض على الرجل أن يتحسس قواه النفسية والايمانية ليرى :

هل هوا قادر على الوفاء بمطالب الدعوة ؟هل هو بحق صورة لها ودليل عليها ؟

صدق مع الله والنفس :-

ولكن تدبر - من خلال هذا الحوار - صراحة المؤمن الذى لم يستطع أن يخادع نفسه - قبل أن يخدع فيه غيره - تراه فى كل مرة - وقد وضع نفسه تحت المجهر القرآنى الذى نصبه له حبر الأمة ليقيس عليه نفسه - يجيب إجابة الصادق مع ذاته بقوله "لا" .

فلم يتعلل برغبة جامحة ؛ ولا بحاجة ملحة ؛ ولم تشفع له نيته الخالصة ؛ ورغبته الصادقة أن يكونا مسوغا له فى التصدى لعمل لم يؤهل له ؛ ولم تقرر صلاحيته لحمل أمانته ؛ وتحمل أعبائه أو الترشيح له ؛ ولم يعلنها ثورة على ابن عباس لأنه لم ينجحه فى الاختبار .

بل إنه عاد إلى نفسه يستفتى قواه ؛ فكانت نقطة الضعف عنده لا عند ابن عباس .

ويلاحظ دقة سؤال ابن عباس له ؛ إنه لم يقل له : أفهمت هذه

الآيات؟ أو أحفظتها ؛ ولكنه يسأله : أحكمت هذه ؛

أى : أفهمتها فهما يقودك إلى فقه بلاغها وحسن تطبيقها عملا وسلوكا ؛

فلم تكن تعنيه الذاكرة الحافظة ؛ ولا العقل الواعى الذكى بقدر ماكان يعنيه قدرة الرجل النفسية على تحمل أعباء الوظيفة ؛ والفرار من عيوب من تتحدث عنهم هذه الآيات ليسلم له موقفه المراد .

فان الأهم من الحفظ . والأهم من الحصول على المركز الممتاز فى فهم المعلومات وسردها ؛ أن يكون قد وصل به ذكاؤه إلى حصول ثمرة هذه الجهود كلها فيه أولا .

«فكما تكون الدعوة إلى الحق بيانا لمادته ؛ وتوضحيا لقيمته العليا؛ فإنها كذلك لابد أن تكون مثابرة على الإستمرار فى طريقة ؛ ومجاهدة نفسية ؛ وترويضا سلوكيا ؛ كى يستقيم على منهج الدعوة ومبادئها ؛ ليكون قدوة حسنة؛ ومثلا طيبا ترى فيه قيم الدعوة وتشكل تصرفاتها »(٢١٨) . ومن هنا فإن على شباب الدعوة أن يعلموا أن الأهم من الحصول على درجة علمية عالية فى الدعوة ؛« أن يكون عنوانا للدعوة يسبق فعله قوله ؛ ويوافق قوله فعله». (٢١٩)

ومن يدقق النظر يدرك أن هذا الأمر هو موطن الأسوة الحسنة فى رسول الله صلى الله عليه وسلم الذى أمر ونهى وكان أول الملتزمين . (قل إن صلاتى ونسكى ومحياى ومماتى لله رب العالمين لا شريك له وبذلك أمرت

---

(٢١٨) السبيل إلى دعوة الحق أ.د محمد البهى ص ٦٧ مطبعة الأزهر.

(٢١٩) يراجع الدعاه إلى الله فى القرآن الكريم ومناهجهم-أ.د محمد طلعت أبو صير ص ٥١٥ المطبعة العربية الحديثة ط(١) سنة ١٤٠٦هـ-١٩٨٦م

وأنا أول المسلمين)(٢٢٠).

ولذلك فإننا نرى ابن عباس – رضى الله عنه – يعلن نتيجة الفحص قائلا : ابدأ بنفسك . .

مؤكدا أنه لا بد من تدريب نفسية الداعية أولا على العطاء والبذل والتخلص من الأنانية وعبادة الذات وتلبية شهواتها ؛ ليسرى فيها التيار بعد ذلك ؛ ثم تنطلق عاملة آملة ؛ ورحم الله ابن عباس حين أهدى للرجل عيوبه ؛ فأعانه على محاسبتها ومراجعتها والتخلص منها ؛ فأراح الرجل ؛ وأراح الدعوة ذاتها من عبء ثقيل عليها .

اننا لا نريد وعاظا ينمقون الكلام ؛ ويتفوقون فى تصوير واقع الناس تصويرا بديعا مشرقا .

لكننا محتاجون إلى وعاظ وخطباء يغيرون واقع الناس إلى الأفضل دائما ؛ ولن تسلم لهم القدرة على تغيير الآخرين إلا اذا غيروا ما بأنفسهم لتستكمل عدة الكفاح .)

(إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم) (٢٢١)

ورحم الله الشيخ أبا الأعلى المودودى حين قال :

"إن القيام بحق الدعوة وإقدراها حق قدرها لا يكون بالمناظرات الخطابية أو الكتابية ؛ فإنها طرق سطحية للدعوة وضررها أكبر من نفعها ؛ وإنما الطريق الحقيقى المجدى للدعوة أن تكونوا مظاهر مجسدة ؛ ونماذج حية

---

(٢٢٠) سورة الأنعام: آية رقم ١٦٢، ١٦٣.

(٢٢١) سورة الرعد: آية رقم ١١.

للدعوة ؛ فحينما يقع عليكم نظر الناس ؛ يعرفونكم من علو سيرتكم - طهارة أخلاقكم - وصدق مقالكم إنكم السالكون بالناس لسبيل الله ؛ العابرون بهم بيقين خضم معترك الحياة" (٢٢٢)؛وفى ذلك قال النبى صلى الله عليه وسلم عنهم إنهم " الذين إذا رؤوا ذكر الله ".(٢٢٣)

وقوله صلى الله عليه وسلم "خيركم من تذكركم بالله رؤيته"(٢٢٤) فهذه الأسوة هى التى يجب أن تكون نصب أعينكم بشأن إعدادكم أنفسكم؛ وتزكيتكم نفوسكم ؛ فهيا أدركوا أنه "قد أفلح من زكها وقد خاب من دساها".(٢٢٥)

وإذا كانت مهمة الداعية الأساسية هى إفلاح النفوس وتزكيتها فإنه مطالب بداية بإصلاح نفسه هو وإفلاحها وتزكيتها لأن فاقد الشىء لا يعطيه؛ ومن ثم فهى خاصية لا غنى له عن تحقيقها فيه ذاتيا ؛ لأن حسن النية وسعة العلم لا يكفيان وحدهما فى تحقيق الإصلاح المنشود ؛ دون أن يصاحبهما وجود المثل الأعلى فى شخصية الداعية .

«فالناس عادة لا يستجيبون لمنهج مقروءأ ومسموع ؛ وإنما يستجيبون لمنهج متحرك مجسم ؛ ممثل فى حياة دعاة ؛ أو جماعة من البشر ؛ مترجم إلى واقع عملى ؛ تراه العين وتلمسه اليد ؛ وتلاحظ آثاره العقول» (٢٢٦)

---

(٢٢٢) تذكرة دعاة الإسلام ص ٣٧، ٣٧.

(٢٢٣) رواه ابن ماجه فى كتاب الزهد جـ ٢ ص ١٣٧٩ عن أسماء بنت يزيد تحقيق - محمد فؤاد عبد الباقى ط دار احياء الكتب العربية .

(٢٢٤) نفس المرجع - نفس الصفحة بلفظ (خياركم)

(٢٢٥) سورة الشمس آية رقم ٩، ١٠.

(٢٢٦) الإسلام ومشكلات الحضارة : سيد قطب ص ١٨٠ طبعة دار الشروق ط (٣).

الخاصية الثالثة : تربيوية سلوكية :

الداعية مرب فى مجتمعه بالكلمة والقدوة معا ؛ ولسنا نبتدع شيئا - ونحن نكون - أو نعمل على تكوين - شخصية الداعية المتخصص أن نلتمس له شخصية ذات مواصفات خاصة ؛ ففى ذلك سنة متبعة فى العديد من المجالات العملية ؛ فكم من الشركات والمؤسسات التعليمية والتربوية والمهنية ؛ تعلن أنها تريد موظفا أو مدرسا تنطبق عليه وتتوفر فيه شروط بعنيها ؛ وكذلك تفعل جهات كثيرة مثل الكليات العسكرية ؛ والشرطية ؛ والرياضية ؛ واللغوية ؛ وغيرها . وذلك ما يسمونه : بوضع الرجل المناسب فى المكان المناسب . وهذه كلمة حق لأن كل انسان يوضع فى غير موقعه الذى لا يتناسب وما تأهل له لا يمكن أن يكون قادرا تمام القدرة على الإثمار فى عمله ؛ ولا يستطيع القيام بما يناط به من مهام بكفاءة ؛ فنحن لم نرقط ثمرا من لاشجر ؛ أو من شجر يابس .

والدعوة الى أحق بأن يراعى لها من يقوم بها وعليها خير قيام ؛ وأن يعد لها أحسن استعداد ؛ وما أضر بالدعوة إلا الخبط العشوائى وعدم اختيار الكفاءات لها ؛ وإعطائها فضول الأوقات ؛ وغالبية من حثالات الرجال بين صفوف رجالها ؛ وأضعف الرواتب ؛ وأوضع المكافئات ؛(٢٢٧) فتدنى بها ذلك ؛ والحل ينبغى أن يكون غير ذلك ؛ حيث أن الله اختار لها خير البشر فهما وأكملهم عقلا ؛ وأحسنهم خلقا ؛ وأطهرهم سلوكا ؛ وأقومهم تربية ؛ وهم رسل الله الداعين إلى دينه ؛ فنهضوا بها ؛ فلماذا إذا نحن وحدنا نعطيها فضول كل شىء ؟

---

(٢٢٧) فمثلا لو أننا قارنا بين الأجر والحوافز المادية الشهرية لكل من معاون النيابة أو ملازم الشرطة أو حتى جندى الشرطة العامل الأمى لوجدناه فى الأولين يساوى عشرة أضعاف ما يأخذه الداعية من =

الداعية المتخصص ينبغى أن يختار من أذكى الناس ؛ وأفضلهم نقية وأكرمهم عشيرة ؛ وأن يكون بجانب تحليه بالقدر الكبير من العلم الموسع - وهو من لوازم الداعية المختصص - متمتعا ومتحليا بأخص الصفات التربوية والسلوكية الرفيعة مثل : الشجاعة والمروءة ؛ والكرم ؛ وسعة الصدر ؛والمرح ؛واللطافة ؛وحسن المعاشرة ؛ والدعابة لا التهريج ؛ وحسن الخلق والصبر ؛ والحلم والأناة ؛ والرحمة وإتقان التودد إلى الناس والتخلى عن الأنانية والسلبية .

ويعان على ذلك كله بقراءة القرآن متدبرا ؛ ومتأملا ؛ ومتمثلا وكذا سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم وشمائله فى دعوته وتعامله مع الناس ؛ ذاكرا قول الله عز وجل (وقولوا للناس حسنا)(٢٢٨)وقوله تعالى (فيما رحمة من الله لنت لهم ولو كنت فظا غليظ القلب لا نفضوا من حولك)(٢٢٩)وقوله صلى الله عليه وسلم "خياركم أحسنكم أخلاقا"(٢٣٠).

ومن أكثر ما يحتاجه الداعية من جوامع هذه الصفات " الرفق وسعة

= مرتب وحوافز وفى الثالث تقريبا ثلاثة أضعاف.ومثله المدرس، فكليهما لم يساو لا درجه عليا ولا دنيا فى العدل أو الشرطة وكثير من غيرهما فضلا عن الفوارق فى الرعاية الصحية والإجتماعية علما بأن كلا منهما باحث لا يكل ولا يمل كما ينبغى أن يكون منه وإلا فهو مضطر أن يبحث عن لقمة عيش أخرى مهما تكلف فى سبيلها ومهما كان مصدرها ليصل إلى حد الكفاف فى الحصول على لقمه عيش شريفه، وإذا كان أولى الأمر فى البلاد الإسلامية يغدقون على الصنفين الأولين ما يغدقون من الأموال، ضمانا للعدل وتحقيقا للأمن، فلقد نسوا أن الدعوة إلى الله -تعالى- والتربية الناجحة للنشئ والشباب قاسم مشترك بين العدل والأمن فهى التى ترحم المجتمع والقائمين على العدل من كثرة أرتكاب الجرائم وبالتالى فهى سبب رئيسى فى تحقيق الأمن.

(٢٨٨) سورة البقرة آية رقم ٨٣.

(٢٢٩) سورة آل عمران آية رقم ١٥٩.

(٢٣٠) الحديث اخرجة البخارى فى كتاب الأدب برقم ٣٩، مسلم فى كتاب الفضائل برقم ٦٨ والترمذى فى كتاب البر رقم ٤٧، واحمد فى م ٢ ص١٦١، ١٨٩، ١٩٣، ٢٨١.

الصدر" اذ يمتص بها غضبة الجهول ؛ ونزوة المتهور حتى يقضى أمره ؛ وهكذا كان يفعل رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى مع أشد أعداء الدعوة "اليهود" .

"عن عائشة – رضى الله عنها – أن اليهود أتوا النبى صلى الله عليه وسلم فقالوا : السام عليكم ؛ فقالت عائشة : عليكم ولعنكم الله وغضب الله عليكم ؛ قال : مهلا يا عائشة – عليك بالرفق وإياك والعنف، والفحش–، قالت : أو لم تسمع ما قالوا ؟ قال : أو لم تسمعى ما قلت ؟ رددت عليهم فيستجاب لى فيهم ؛ ولا يستجاب لهم فى" .(٢٣١)

إن عائشة ردت على اليهود ؛ والرسول صلى الله عليه وسلم رد عليهم ؛ وفرق بين ردها ورده العظيم ؛ حيث تلطف وتعنفت ؛ فعلمها الرد الجميل ؛ لأنه تربى خالصا على ملاحظة أدب القرآن فى كل جوانب حياته ودعوته ؛ فكان سلوكه معهم واقعا على ما تربى عليه من أدب ربانى لا يغيب عنه لغضبة أو استفزاز من الغير ؛ فنفذ على أرض الواقع أدب ربه بقوله "فاصفح الصفح الجميل" *.

والتربية السلوكية لشباب الدعوة ؛ ليست تربية خنوع او استكانة او وهن ؛ كما أنها ليست تربية استئثار وإذلال وقهر للغير ؛ كلا وحاشا فليس

والترمذى فى كتاب البر رقم ٤٧، واحمد فى م٢ ص١٦١، ١٨٩، ١٩٣، ٢٨١.

(٢٣١) الحديث أخرجه البخارى فى كتاب الاستئذان باب كيف يرد على أهل الذمه السلام م٢ ج٤ ص٩٠ وفى كتاب الأدب باب الرفق فى الأمر كله–وباب لم يكن النبى فاحشا ولا متفحشا م٢ج٤ص٥٤، ٥٥.

(*)سورة الحجر :آية رقم ٨٥.

هكذا يكون الدعاة ؛ إنما التربية السلوكية للدعاة عندنا تقوم أساسا على انضباط النفسية المؤمنة بقضيتها ؛ بحيث لا تفرط فى حق ؛ ولا تنفرط على باطل ؛ وهو ما تتضح معالمه من قوله تعالى :

(فما وهنوا لما أصابهم فى سبيل الله وما ضعفوا وما استكانوا والله يحب الصابرين)[٢٣٢] .

ومن قوله تعالى فى وصف أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم (أشداء على الكفار رحماء بينهم)[٢٣٣] فهى تجعل من الداعية صاحب مبدأ لا يحيد عنه ولا يميد ؛ لأن الدعوة هى كيانه ؛ هى وجوده ؛ هى طموحه وآماله "هى هو" فلا تَعدِ لُها الدنيا كلها بما جمعت ووعت ؛ ومن ثم فلينه لأجلها ؛ وشددته لأجلها ؛ رفقه لأجلها وقسوته لأجلها ؛ فحرصه عليها هو حرصه على حياته هو ؛ فهل سنجد من شباب الدعوة من يحقق فيه هذه الجوانب عند التطبيق ؟ هل ستجد من شباب الدعوة من يجعل دعوته قضية حياته فتكون فى سلوكه أكبر همه ومبلغ علمه ؟

الخاصية الرابعة : ضرورة تحقيق أخلاقيات الإسلام فيه

من أهم الخصائص الواجب توافرها فى الدعاية الى الله فى كل عصر ومصر - مضافا إلى ما سبق من خصائص - أن تتحقق فيه جوانب الأخلاق الإسلامية ؛ فيربى على أخلاق القرآن الكريم .

ونظر لأهمية هذا الأمر وضرورة تحققه فى داعية الإسلام اشتد اهتمام

---

(٢٣٢) سورة آل عمران آية رقم ١٤٦.

(٢٣٣) سورة الفتح آية رقم ٢٩.

المربين فى حقل الدعوة به ؛ وأكدوا عليه ؛ وأعتبروه هو المحور الرئيسى للتغيير الإجتماعى ؛ وإنقاذ الفراش البشرى المتهاوى إلى ساحة النيران حتى أسماء بعض قادة الدعوة المحدثين "بعصا التحويل" تشبيها بالعصا التى تحول إتجاه القطار من طريق إلى آخر ؛ ومن جهة إلى جهة أخرى وهو ما يعنى الأهمية البالغة لتوفر جوانب الأخلاق الحميدة فى الداعية على وجه الخصوص ؛ خصوصا إذا ما أدركنا أن أزمة العالم اليوم لم تعد أزمة اقتصادية ؛ ولا أزمة بشرية فحسب ألخ ؛ أنما هى أزمة نفوس وضمائر ؛ أزمة أخلاق قبل أن تكون أزمة اقتصادية أو سياسية .

وقد وعى هذا الأمر أحد شعراء الحكمة فقال :

لعمرك ما ضاقت بلاد بأهلها: ولكن أخلاق الرجال تضيق

ومن هنا ندرك -كما أدرك من قبل أحد الدعاة العاملين - أن تكوين الأمم ؛ وبناء المجتمعات ؛ وتربية الشعوب ؛ وتحقيق الآمال ومناصرة المبادىء ؛ تحتاج من الأمة التى تحاول هذا ؛ أو من الفئة التى تدعو إليه على الأقل ؛ الى قوة أخلاقية ونفسية عظيمة تتمثل فى عدة أمور أبينها فيما يلى :(٢٣٤)

١ - إرادة قوية لا يتطرق اليها ضعف .

٢ - وفاء ثابت لا يعدو عليه تلون ولاغدر .

٣ - تضحية عزيزة لا يحول دونها طمع ولا بخل .

٤ - معرفة بالمبدأ وإيمان به وتقدير له يعصم من الخطأ فيه ؛ والإنحراف عنه والمساومة عليه والخديعة بغيره .

(٢٣٤) يراجع التربية الاسلامية ومدرسة حسن البنا - د. يوسف القرضاوى ص ٣٠. المطبعة الفنية بمصر ط (٣) سنة ١٤١٢هـ - ١٩٨٢ م نشر مكتبة وهبه .

على هذه الأركان الأربعة التى هى من خصوص النفوس وحدها ؛ وعلى هذه القوة الروحية الهائلة ؛ تبنى المبادىء وتتربى الأمم الناهضة وتتكون الشعوب الفتية ؛ وتتجدد الحياة فيمن حرموا الحياة زمنا طويلا .

وكل شعب فقد هذه الصفات الأربعة ؛ أو على الأقل فقدها قوادة ودعاة الاصلاح فيه ؛ فهو شعب عابث لاه مسكين لا يرتجى فيه خير ؛ ولا يصل الى خير ؛ ولا يحقق أملا ؛ وحسبه أن يعيش فى جو من الأحلام والظنون والوهام "وان الظن لا يغنى من الحق شيئا" .(٢٣٥)

هذا هو قانون الله - عز وجل - وسنته فى خلقه ؛ ولن تجد لسنة الله تبديلا " ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم " وهو أيضا القانون الذى عبر عند التبى صلى اله عليه وسلم فى الحديث الصحيح " يوشك أن تتداعى عليكم الأمم كما تتداعى الأكلة إلى قصعتها ؛ ولينزعن الله من قلوب أعدائكم المهابة منكم ولبقذ فن قلوبكم الوهن "فقال قائل :أو من قلة نحن يومئذ يارسول الله ؟

(٢٣٥) سورة النجم : آية رقم ٢٨ .

قال : لا ؛ إنكم يومئذ كثير ؛ولكنكم غثاء كغثاء السيل "فقال قائل: وما الوهن يا رسول الله ؟ قال :"حب الدنيا وكراهية الموت" .(٢٣٦)

ولعلك تكون قد أدركت ما فى النصوص السابقة من أن سبب ضعف الأمم وذلة الشعوب ؛ وهن نفوسها ؛ وضعف قلوبها وفساد أخلاقها بخلاء أفئدتها من الأخلاق الفاضلة وصفات الرجولة الصحيحة وإن كثر عدد أفرادها وزادت خيراتها وثمراتها.

ومن ثم فإنه إذا كان صلاح الأمم بأثرها موقوفا على صلاح الأمة المسلمة وصلاح الامة المسلمة موقوف على صلاح أخلاق دعاتها وتحقق الخصائص الضرورية اللازمة لها فيهم ؛ فإن عليهم أن يقيموا دولة الاسلام فى صدروهم أولا ؛ لتقم على أرضهم ؛ بالكفاح والعمل ؛ والجهاد الخالص لله عز وجل ؛ لأن سر نجاح كل كفاح وعمل وجهاد ؛ يكمن أول ما يكمن فى تلك التهيئة النفسية ؛ والتعبئة الشعورية ؛ والتربية الأخلاقية ؛ التى تغير الأفراد فتتغير على إثرها المجتمعات من حال إلى حال ؛ كما بين ذلك القرآن حين قرر تلك السنة الإجتماعية التى لا تبدل فى قوله تعالى (إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم) (٢٣٧)

وليس الخلق - كما يفهم كثير من عامة الناس - مجرد لين الجانب وحسن العشرة ؛ وان كان هذا ركنا ركينا فيه كما هو واضح من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم فى قوله "وخالق الناس بخلق حسن"(٢٣٨)وقوله

---

(٢٣٦) الحديث اخرجه داود فى الصحيح حـ٢ صـ٢١٠ وأحمد فى المسند م ٥ صـ٢٧٨

(٢٣٧) سوره الرعد : آيه رقم ١١.

(٢٣٨) الحديث أخرجه الترمذى فى كتاب البر برقم ٥٥ والدارمى فى الرقاق برقم ٤٧ وأحمد فى المسند م ٣ صـ٥ ، م٥ صـ١٥٣ ، ٢٢٨ ، ٢٣٦ ، ١٧٧ ، ١٥٨ .

صلى الله عليه وسلم "إن أحبكم إلى وأقربكم منى مجلسا يوم القيامة أحاسنكم أخلاقا"؛[٢٣٩]الموطأون أكنافا ؛ الذين يألفون ويؤلفون :

كما أنه ليس مقصورا على التعفف عن النساء - غير الحليلات - والخمر - كما يريد أن يفهم آخرون - وان كان هذا من أول ما يحرص عليه الاسلام لقوله تعالى (قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم ويحفظوا فروجهم ذلك أذكى لهـ[٢٤٠]وقوله تعالى (إنما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه)[٢٤١]بل يشمل هذا وذاك ؛ ويشمل ماهو أعمق وأوسع من جوانب الحياة ؛ من ضبط النفس ؛ وكظم الغيظ والصدع فى القول ؛ والأمانة فى المعاملة ؛ والإحسان فى العمل ؛ والشجاعة فى الرأى ؛ والعدل فى الحكم ؛ والصلابة فى الحق ؛ والتصدى للظلم ؛ والعزم على الخير ؛ والأمر بالمعروف ؛ والنهى عن المنكر ؛ والحرص على النظافة ؛ واحترام النظام ؛ والتعاون على البر والتقوى .

ومن ثم فالخلق أو الأخلاق كلمة جامعة لشمائل الدين كله بعيدة المدى فى مدلولها ؛ ولقد أشار إلى هذا المفهوم الرسول صلى الله عليه وسلم حين حدد مهمة رسالته وعمل دعوته فقال : "إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق"[٢٤٢] ولعله يكون أكثر وضوحا من جملة ثناء الله - عز وجل- عليه- صلى الله عليه وسلم - فى قوله تعالى : (وإنك لعلى خلق

---

(٢٣٩) أخرجه البخارى فى م١ حـ٢ صـ٢٧٢ ، م٢ حـ٢ صـ٥٦ كتاب الأدب باب ٣٩ وأحمد فى المسند م ٣ صـ١٦١ ، ٢١٨ ، ١٩٢ ، ١٨٩ ، م٤ صـ١٩٣

(٢٤٠) سوره النورة آية رقم ٣٠ .

(٢٤١) المائده : ايه رقم ٩٠.

(٢٤٢) أخرجه مالك فى الموطأ حـ٢ صـ٩٠٤ وأحمد م٢ صـ٣٨١

عظيم)(٢٤٣)؛ولقد فطنت أم المؤمنين عائشة - رضى الله عنها - لهذه الحقيقة حين أجابت سائلها عن أخلاق رسول الله صلى الله عليه وسلم قائلة: "كان خلقه القرآن(٢٤٤)" أى أن كل ما جاء به القرآن من فضائل ؛ وما أمر به من أوامر ؛ وما حث عليه من صالحات الأعمال ؛ فهو خلقه - صلى الله عليه وسلم - وهذا يعنى أنه صلى الله عليه وسلم كان قرآنا يسير فى الناس ؛ وما صلح عليه أمر الدعوة فى بدئها هو بعينه ما يكفل لها صلاح أمرها فى سائر عصورها .

ومن أهم ما يجمع على الداعية من هذه الأخلاق القرآنية كلها :

(١)الصبر :

الصبر خلق من أبجديات أخلاق الداعية ؛م سواء أكان صبرا على طول الطريق ؛ أم كثرة الأشواك فيه ؛ أم على كثرة قطاعة بطريق الخوف ؛ أم على كثرة قواطعه ؛ فلا بد من الصبر على هذا كله؛ دون مبالاة بإعراض الناس أو سخريتهم أو تثبيطهم أو إيذائهم واضطهادهم ؛ ولا سيما أن الصبر هو العدة عند الجهاد ؛ والذخيرة عند المحن ؛ والمعين على تكاليف الحق حتى قرن الله بين التواصى بالصبر والتواصى بالحق فى آية واحدة فقال (وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر) .(٢٤٥)

يقول شيخ الاسلام ابن تيمية :

"لابد للداعية أن يكون حليما صبورا على الأذى ؛ فإنه لابد أن

---

(٢٤٣) سوره القلم : آيه رقم ٤

(٢٤٤) أخرجه مسلم فى كتاب المسافرين رقم ١٣٩. وابوداود فى التطوع برقم ٢٦ ، وابن ماجه م٢ حـ٣ صـ٧٨٢

(٢٤٥) سوره العصر :آيه رقم ٣.

يحصل له أذى ؛ فإن لم يحلم ويصبر يفسد أكثر مما يصلح [(٢٤٦)] .

كما قال تعالى على لسان لقمان وهو يعظ ابنه :(يا بنى أقم الصلاة وأمر بالمعروف وانه عن المنكر واصبر على ما أصابك إن ذلك من عزم الأمور) [(٢٤٧)].

ولهذا أمر الله الرسل وهم أئمة الدعوة الى الله - عز وجل - بالصبر ؛ كما أمر خاتمهم صلى الله عليه وسلم بما أمرهم به مقرونا بالتبليغ وذلك فى أوائل ما نزل عليه من الوحى فى قوله تعالى (يا أيها المدثر قم فأنذر .وربك فكبر .وثيابك فطهر . والرجز فاهجر ولا تمنن تستكثر ولربك فأصبر) [(٢٤٨)].

فافتتح آيات الإرسال إلى الخلق بالإنذار ؛ واختتمها بالصبر ؛ لأن الإنذار لا غنى معه عن الصبر ؛ ومن ثم أمنه حتى يكون شجاعا فى دعوته وانذاره وتقبله للأحداث التى تقع عليه فقال (واصبرلحكم ربك فإنك بأعيننا) [(٢٤٩)].

وقال تعالى (فأصبر على ما يقولون واهجرهم هجرا جميلا) [(٢٥٠)] .

وقال تعالى (فاصبر كما صبر أولوا العزم من الرسل ولا تستعجل لهم) [(٢٥١)].

---

(٢٤٦) يراجع : الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر - شيخ الاسلام أحمد بن يتميه صـ٤١

(٢٤٧) سورة لقمان : آيه رقم ١٧.

(٢٤٨) سورة المدثر : الآيات من ١-٧

(٢٤٩) سورة الطور :آيه رقم ٤٨ .

(٢٥٠) سورة المزمل : آيه رقم ١٠

(٢٥١) سورة الأحقاف : آيه رقم ٣٥

وقال تعالى (فاصبر لحكم ربك ولا تكن كصاحب الحوت)[٢٥٢].

وقال تعالى (واصبر وما صبرك إلا بالله ولا تحزن عليهم ولا تك فى ضيق مما يمكرون)[٢٥٣].

ولهذا كان الصبر هو أول أساسيات وركائز عمل الدعاة الحاملين أمانة البلاغ عن الأنبياء ؛ولعلك تدرك هذا السر فى نجاح دعوة المخلصين إلى الله عز وجل من تدبرك لقول الله تعالى عن الدعاة الناجحين ممن حملوا أمانة البلاغ عن كليم الله موسى عليه السلام : (وجعلنا منهم أئمة يهدون بأمر لما صبروا وكانوا بآياتنا يوقنون)[٢٥٤]. كما أنه دعاء الممتحنين بتهديد الطغاة (ربنا أفرغ علينا صبرا وتوفنا مسلمين)[٢٥٥].

وهو كذلك دعاء المقاتلين فى الميدان (ربنا أفرغ علينا صبرا وثبت أقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين)[٢٥٦].

وهنا نتساءل هل هناك علاقة بين صبر الداعية وانتصار دعوته ؟

وللاجابة على هذا السؤال أسجل لشباب الدعوة هنا جزءا من حوار دار بين متعجل للنتائج قبل تحقيق أسبابها وعالم داعية حصيف هذ الأستاذ الدكتور / يوسف القرضاوى وقد سجلها فى كتابه "الصحوة السلامية بين الجحود والتطرف" تحت عنوان " حوار حول سنن النصر وأسبابه" فيقول:[٢٥٧]

---

(٢٥٢) سورة القلم : آيه رقم ٤٨ .

(٢٥٣) سورة النحل : آيه رقم ١٢٧

(٢٥٤) سورة السجده : آيه رقم ٢٤

(٢٥٥) سورة الاعراف : آيه رقم ١٢٦

(٢٥٦) سورة البقره : ايه رقم ٢٥٠

(٢٥٧) يراجع : الصحوة الإسلاميه بين الجمود والتطرف صـ ١٩٧ - ٢٠٠ - دار الوفاء للطباعة والنشر بالمنصورة - ط(٣) ١٤١٥هـ - ١٩٩٤م ..

قال بعضهم :"ولكن خصوم أهل الحق لا يمكنونهم من نشر فكرتهم وأداء أمانتهم ؛ بل يزرعون الأشواك فى طريقهم ؛ ويطفئون الشموع بين أيديهم ؛ ويضعون الألغام تحت أرجلهم ".

فأجات الداعية الحصيف : قلت :"وهنا يأتى شرط لا بد منه

لا ستحقاق النصر والتمكين -للدعوة ورجالها -وهو الصبر على الأذى وطول الطريق ؛ والثبات فى مواجهة الإستفزاز والتحدى ؛كما فى حديثه صلى الله عليه وسلم لابن عمه عبد الله بن عباس رضى الله عنهما :

"واعلم أن النصر مع الصبر" [٢٥٨]؛ ولهذا أوصى الله وسوله صلى الله عليه وسلم فى ختام عدد من السور المكية بالصبر ؛ منها ما ختم الله به سوره يونس (واتبع ما يوحى اليك واصبر حتى يحكم الله وهو خير الحاكمين) [٢٥٩] وكذلك خواتيم سور (النحل)و(الروم)و(الاحقاف) و(الطور) وغيرها .

قال صاحبى : ولكن الصبر قد يطول دون أن يقام للإسلام دولة تحكم شريعته ؛ وتحيى أمته ؛ وترفع فى الأرض رايته ؛

قلت ألا يتعلم على يديك جاهل ؟ ألا يهتدى ضال ؟ ألا يتوب عاص ؟ ألا . . . ألا . . . ؟

قال : بلى .

قلت هذا فى ذاته كسب كبير وغنم عظيم ؛ وكل فرد تنتشله من وحل

---

(٢٥٨) رياض الصالحين - للنووى باب المراقبة صـ٢٧ مكتبه اسامه الإسلاميه للطباعة والنشر بمصر .

(٢٥٩) سوره يونس : آيه رقم ١٠٩

الجاهلية إلى صراط الإسلام يقربنا من الهدف الأكبر بل هو نفسه هدف تحقق؛ وفى الحديث الصحيح :"لأن يهدبك الله رجلا واحدا خير لك من حمر النعم ". (٢٦٠)

ثم إن الذى علينا ؛ والذى نحاسب عليه ؛ أن ندعو ونربى ونعمل ؛ وليس علينا أن نحقق النصر ؛ وعلينا أن نبذر الحب ؛ ونرجو الثمر من الرب .. إن الله لن يسألنا : لماذا لم تنتصروا ؟ ولكن سيسألنا : لماذا لم تعملوا؟ "وقل اعملوا فسير الله عملكم ورسوله والمؤمنون وستردون إلى عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون).(٢٦١)

والرجل هنا قد لمس الجراح ؛ فشخص الداء ووصف الدواء وهو الصبر كركيزة أساسية على طريق الدعوة والدعاه تحملا وطلبا للعلم ؛ وأداء وحرصا على دين الله وعباد الله ؛ ودقة فى الفهم أملا فى تحقيق نصر الله وفتحه القريب .

فهل ترى الداعية فى غنى عن التخلق بهذا الخلق بعد ذلك ؟ أو يمكن أن يتحقق على يديه نجاح دعوته ونصر دين إن أهمل أو فرط فى التزامه هذا الحانب الأخلاقى ؟

(٢) الثبات على الحق :

ولعلك قد تتهمنى – لأول وهلة –بأننى أكرر نفسى ؛ بحجة أن الثبات لون من ألوان الصبر ؛ أو أحد أفراده ؛وأنا معك فى أنه يتصل بالصبر ويكمله ؛ غير أن ما أقصده هنا ليس ما قد يدور فى خلدك – لأول

---

(٢٦٠) أخرجه البخارى فى فضائل الصحابه م ١حـ٢ صـ٣٠٠ ، ومسلم فى فضائل الصحابه برقم ٣٥ وأحمد فى المسند م ٥ صـ٢٢٢،٢٣٨ ،وابو داود فى كتاب العلم – باب نشر العلم حـ٢ صـ١٢٦ .

(٢٦١) سورة التوبه :آيه رقم ١٠٥ .

وهلة - فحسب ؛ وإنما أقصد الثبات المطلق حتى آخر نفس فى حياة الداعية؛ لا الثبات المتقطع الذى يظهر ويختفى ؛ لظرف أو تحت ضغط معين؛ كما أنى لا أقصد به الثبات الأهوج المصحوب بالثورة أحيانا وموت العاطفة أخرى ؛ ومن ثم فإنى أريد بالثبات هنا الإستمرار الذى لا يتحقق إلا بالوسطية والإعتدال والإتزان ؛ أو بمعنى أدق وأوضح :" أن يظل الداعية محتفظا بعاطفته نحو الدعوة ومقتضياتها بلا فتور أو قصور أو مجاوزة للحد المطلوب ؛ عاملا مجاهدا فى سبيل غايته ؛ مهما بعدت به المدة ؛ وتطاولت السنوات والأعوام ؛ حتى يلقى الله على ذلك ؛ وقد فاز بإحدى الحسنيين فإما الغاية ؛ وإما الشهادة فى النهاية ". [٢٦٢]

(من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلا)[٢٦٣] فتدبر قوله تعالى (وما بدلوا تبديلا) والقرآن مليىء بأمثال هذا اللون من الثبات على المبدأ الحق دون الحيد عنه ؛ أو التنازل عن جزء منه فى مقابل التهديد والوعيد . ومن أمثلة ذلك ما جاء على لسان سحرة فرعون ؛ بعد أن تخلل الإيمان قلوبهم ؛ إيمانا بالله ورسوله موسى عليه السلام . فاستمع معى إلى نص مادار بينهم وبين فرعون بعد الايمان وقد كانوا من قبل أعوانا له : (فلما جاء السحرة قالوا لفرعون أئن لنا لأجراً إن كنا نحن الغالبين قال نعم وإنكم إذا لمن المقربين . قال لهم موسى ألقوا ما أنتم ملقون .فألقواْ حبالهم وعصيهم وقالواْ بعزة فرعون إنا لنحن الغالبون، فألقى موسى عصاه فإذا هى تلقف ما يأفكون .

---

(٢٦٢) يراجع : التربيه الإسلاميه - د- القرضاوى صـ٣٤ بتصرف

(٢٦٣) سورة الأحزاب : آيه رقم ٢٣

فألقى السحرة ساجدين قالوا آمنا برب العالمين . رب موسى وهارون . قال آمنتم له قبل أن آذن لكم إنه لكبيركم الذى علمكم السحر فلسوف تعلمون لأقطعن أيديكم وأرجلكم من خلاف ولأصلبنكم أجمعين . قالوا لا ضير إنا إلى ربنا منقلبون . إنا نطمع أن يغفر لنا ربنا خطايانا أن كنا أول المؤمنين)[٢٦٤] وفى آيات سورة طه يجيبونه قائلين :

(قالوا لن نؤثرك على ما جاء من البينات والذى فطرنا فاقض ما أنت قاض إنما تقضى هذه الحياة الدنيا . إنا آمنا بربناليغفر لنا خطايانا وما أكرهتنا عليه من السحر والله خير وأبقى . . . .)[٢٦٥]

ومن ذلك أيضا موقف الأنبياء جميعا فى دعوتهم حيال تهديد ووعيد وتدبير السوء لهم ومحاولات النيل منهم، ومساومتهم وإغرائهم من قبل المخالفين لهم، والمحاربين لدعوتهم ؛ كما حدث مع نوح وابراهيم وموسى وعيسى ومحمد ؛ وغيرهم من الأنبياء - عليهم جميعا الصلاة والسلام- من كيد أقوامهم ومكرهم بهم ومحاولة صرفهم عما هم عليه من الدين الحق .

ومنه أيضا ما أثبته القرآن بشأن أصحاب الأخدود وقصتهم مبسوطة فى كتب التفاسير عند تناولها لسورة البروج أذكرها فيما يلى :

أ خرج الحافظ المحدث الامام الشوكاني[٢٦٦] - رحمه الله - عن عبد الرزاق ، وابن أبي شيبة ، وأحمد ، وعبد بن حميد ، ومسلم ، والترمذي ، والنسائي ، والطبراني عن صهيب أن رسول الله صلي الله عليه وسلم قال: " كان ملك من الملوك فيمن كان قبلكم ، وكان لذلك الملك كاهن يكهن

(٢٦٤) سورة الشعراء : ألآيات من ٤١-٥١

(٢٦٥) سورة طه : الآيات ٧٣،٧٢

(٢٦٦) براجع : فتح القدير - الامام محمد بن على الشوكانى م٥ صـ٤١٦ .

له ، فقال له ذلك الكاهن : انظروا لي غلاما فهما - أو قال : فطنا - لقنا فأعلمه علمي ، فإنى أخاف أن أموت فينقطع منكم هذا العلم ولايكون فيكم من يعلمه ، قال : فنظروا له علي ما وصف ، فأمروه أن يحضر ذلك الكاهن وأن يختلف إليه ، فجعل الغلام يختلف إليه ، وكان على طريق الغلام راهب في صومعته ، فجعل الغلام يسأل ذلك كلما مر به فلم يزل به حتي أخبره فقال: إنما أعبد الله ، فجعل الغلام يمكث عند هذا الراهب ويبطئ علي الكاهن ، فأرسل الكاهن إلى أهل الغلام أنه لايكاد يحضرنى فأخبر الغلام الراهب ذلك فقال له الراهب : إذا قال لك أين كنت

فقل له : عند أهلى واذا قال لك أهلك أين كنت فقل لهم : عند الكاهن فبينما الغلام علي ذلك إذ مر بجماعة من الناس كثير قد حبستهم دابه ، يقال إنها كانت أسدا ، فأخذ الغلام حجرا فقال : اللهم إن كان مايقول

ذلك الراهب حقا فأسألك أن أقتل هذه الدابة ، وإن كان مايقوله الكاهن حقا فأسألك أن لاأقتلها ، ثم رمي فقتل الدابة ، فقال الناس : من قتلها فقال الغلام ففزع الناس ، وقالوا قد علم هذا الغلام علما لم يعلمه أحد ، فسمع أعمي فجاء ، فقال له : ان أنت رددت على بصرى فلك كذا وكذا ، فقال الغلام : لاأريد منك هذا ، ولكن أرأيت إن رجع عليك بصرك أتؤمن بالذى رده عليك قال : نعم ، فدعا الله فرد عليه بصره فآمن الأعمى .

فبلغ الملك أمرهم ، فبعث إليهم ، فأتى بهم ، فقال : لأقتلن كل واحد منكم قتلة لاأقتل بها صاحبه ، فأمر بالراهب والرجل الذي كان أعمى فوضع

المنشار علي مفرق أحدهما فقتله ، وقتل الآخر بقتله أخرى ثم أمر بالغلام ، فقال : فانطلقوا به إلى ذلك الجبل فلما انتهوا الى ذلك المكان الذى أرادوا أن يلقوه منه جعلوا يتهافتون من ذلك الجبل ويتردون ، حتى لم يبق منهم الا الغلام ، ثم رجع الغلام فأمر به الملك أن ينطلقوا به إلى البحر فليقوه فيه فانطلقوا به إلى البحر ، فأغرق الله الذين كانوا معه و أنجاه ، قال الغلام للملك : إنك لن تقتلنى حتى تصلبنى وترمينى وتقول إذا رميتنى : بسم الله رب الغلام ، فأمر به فصلب ثم رماه وقال : بسم الله رب الغلام ، فوقع السهم فى صدغه ، فوضع الغلام يده على موضع السهم ثم مات ، فقال الناس : لقد علم هذا الغلام علما ما علمه أحد ، آمنا بالله رب الغلام ، فقيل للملك : أجزعت آن خالفك ثلاثة ، فهذا العالم كلهم قد خالفوك

قال : فخد أخذودا، ثم ألقى فيه حطبا كثيرا وأشعله نارا ثم جمع الناس فقال: من رجع عن دينه تركناه ، ومن لم يرجع ألقيناه فى هذه النار ،

فأبوا إلا الايمان بالله فألقى بهم جميعا فى هذا الأخدود ، وماتوا جميعا شهداء "(٢٦٧) .

وقد قص الله قصتهم في القرآن مشيرا إلى أبرز عناصر القصة فى قوله تعالي (قتل أصحاب الأخدود ، النار ذات الوقود إذ هم عليها قعود، وهم علي مايفعلون بالمؤمنين شهود . وما نقموا منهم إلا أن يؤمنوا بالله العزيز الحميد) .. الخ(٢٦٨).

أرأيت أيها الشاب الداعية ماذا صنع الغلام بثباته على الحق وقوة

---

(٢٦٧) الحديث أخرجه الترمذى فى تفسير سورة البروج برقم ٢، أحمد م٦ صـ١٧، وسلم م ٦ جـ١٨ صـ١٣٠.

(٢٦٨) سورة البروج : الآيات من ٤-٨ .

إيمانه في الملك   أو رأيت كيف غير واقع الناس من الكفر والوثنية إلى الإيمان الراسخ الذى يفضلون فى سبيله مواجهة أبشع المصائر وأفظع ألوان القتل على النعيم بالحياة الدنيا وزخرفها وزينتها

أرأيت الشجاعة فى الحق كما تساوى إن كثيرا من رجالاتنا -اليوم- أقل بكثير من أن يطاولوا هذا الغلام فى ثباته وإيمانه وشجاعته إنه وإيانا أشبه برجلين ذهبا الي ساحة المحكمة أحدهما ذهب لقضيته ، والآخر ذهب متفرجا أو متسليا ، فصاحب القضية يعرض قضية ويدافع عنهاويتشبث بحقه فيها حتى أخر نفس من عمره أما الآخر فهو لاقضية له ولاحق يملأ كيانه يستحق أن ينشغل به أو يخطط له ،وهى آفة الدعاة فى عصرنا ممن سهل عليهم بيعها والتنازل عنها بأبخس الأثمان ، وصارت قضيتهم الأولي والأخيرة ، كم جمعوا وكم يجمعون   والحق أن الوقت عندنا جزء من العلاج ، والطريق طويلة المدى بعيدة المراحل، كثيرة العقبات غير أنها هي وحدها التى تؤدى الى المقصود ، مع عظيم الأجر. وجميل المثوبة .

آفات تناقض خلق الثبات :

وأنبه الدعاة هنا إلى عدد من الآفات التى تصيب خلق الثبات لدى الداعية فى مقتل ، ذلك أن كثيرا من المنتسبين الى الدعوة آفتهم قصر النفس ، وضيق الصدر فينقطعون فى وسط الطريق ، أو يرجعون القهقري أو يستسلمون تحت سلطان الضغط والقهر، آو ينحرفون يمنة أو يسرة بعد أن بعدت عليهم الشقة ، وثقل عليهم المسير وطال عليهم الطريق ، بدعوى رعاية الأبناء والإنشغال بتربيتهم وتكوين حياتهم ، وتأمين مستقبلهم ، أو غير ذلك من الأعذار الواهية ، والتعللات الفاسدة .

ولهذا كان التأكيد على هذا الخلق " الثبات علي المبدأ ، والوفاء بحق البيعة " ضروريا لمن قطعوا على أنفسهم عهد الولاء لله ولرسوله ونشر ما جاء به - صلى الله عليه وسلم - فى ربوع العالم كله وهم الدعاة إلى الله - عز وجل - حتى يستمروا دون توقف أو تردد، وخاصة أن النفس بطبيعتها مولعة بحب العاجل ، وقد خلق الإنسان من عجل ، ولذلك أوحى الله عز وجل لإمام الدعاة صلي الله عليه وسلم - قائلا (فاصبركما صبر أو لوا العزم من الرسل ولاتستعجل لهم)(٢٦٩)

وآفة آخرين أنهم يظلون فى الطريق مادام الريح رخاء والسماء صحوا، والجو صافيا ، فاذا اكفهر الجو ، وتلبدت السماء بالغيوم ، وعصفت الرياح .واشتد البلاء ضعف احتمالهم ، وعلا صراخهم ، وانقطع سيرهم شأنهم فى ذلك شأن من وصفه الله عز وجل بأنه إذا (أوذى فى الله جعل فتنة الناس كعذاب الله)(٢٧٠) أو كالذى (يعبد الله على حرف فإن أصابه خير اطمأن به . وإن أصابته فتنة انقلب على وجهه خسر الدنيا والأخرة ذلك هو الخسران المبين) (٢٧١) وهكذا كل من يعبد الله على حرف .

وهناك من يثبت في الشدائد ثباته فى الرخاء ، ويصبر على البلاء صبره على الهناء ، ولكنه يقل عزمه ويضعف أمام حيل شياطين الإنس ووساوسهم ومغرياتهم وأعراض الدنيا ، فإذا عرض عليه مال ، أو لوح له بمنصب ، سال لعابه ، وفقد توا زنه ، ونسي ما كان يدعو اليه من قبل ، والمال ليس بمرفوض للدعوة والداعية ، والمنصب كذلك مطلوب ، لكن

---

(٢٦٩) سوه الاحقاف : آيه رقم ٣٥
(٢٧٠) سورة العنكبوت : آيه رقم ١٠
(٢٧١) سورة الحج : ايه رقم ١١

المرفوض منهما ما كان مؤكدا خبث مقصد عارضه وسوء نية قاصده ، ويساويه ما يتطرق اليه أدنى شك أنه سيكون على حساب الدعوة الخالصة لله رب العالمين جملة ،أو التغاضي عن بعض مفرداتها ، كالتنازل عن الدعوة إلى تطبيق نظام الاسلام وسيادة شريعته في كل جانب من جوانب الحياة ، ادارة وسياسة واقتصادا وقضاء ...الخ ومحاولة قصر الدين والدعوة اليه وحصر ه داخل أبنية المساجد فحسب ، أو السماح لمن يتحد ث باسمه بتناول موضعات بعينها دون غيرها ، خصوصا عند اذاعتها في وسائل الاعلام مسموعة كانت أم مرئية .

وهنا نقول : ان الواجب علي كل داعية حصيف نبيه - بل على كل من خُول له القيام بمهمة الدعوة الي الله تعالى - أن يتنبه إلى أمثال هذه الآفات ، ومَساربها إلى نفسه ، من البداية أولا بأول - قبل أن يجد نفسه محبوسا بين براسنها - صلى الله عليه وسلم - أسوة حسنة ، مثلا أعلى ، حين عرض عليه المشركون ماعرضوا من المال حتى يكون أغناهم ، الجاه والسلطان حتى يكون سيدا على الجزيرة العربية كلها ..... الخ

كل ذلك فى مقابل التنازل عن دعوته ، فقال كلمته التاريخية المشهورة لعمه : " والله لو وضعوا الشمس فى يمينى والقمر فى يسارى : علي أن أترك هذا الأمر ماتركته حتى يظهره الله أو أهلك دونه[٢٧٢] كما حاولوا استخدام أساليب أخرى معه - صلي الله عليه وسلم - للتخلى عن ثباته ومبادئه الربانية ، أخلاقه القرآنية طالبين منه أن يخصهم بمجلس

---

(٢٧٢) يراجع : السيرة النبويه - أبى محمد عبد الملك بن هشام - تحقيق د. محمد فهمى السرجانى - م١ حـ١ صـ٢٦٨ . دار التوفيقيه للطباعه بمصر

لايدانيهم فيه من كانوا مستضعفين منهم ، قبل إسلامهم ، زاعمين أنهم السادة وهؤلاء عبيد ، ليهدموا بذلك أصلا من أصول الدعوة وهو المساواة بين جميع المدعون فى المنزلة والمكانة البشرية دون النظر الى حظ آحادهم من أعراض الدنيا وزينتها ، فنبه الله - عزوجل إلى خبث مقصودهم وسوء نيتهم نحو الدعوة ورجالها الأول فقال تعالى :

(وأنذربه الذين يخافون أن يحشروا إلى ربهم ليس لهم من دونه ولي ولاشفيع لعلهم يتقون ، ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه ما عليك من حسابهم من شى وما من حسابك عليهم من شيء فتطردهم فتكون من الظالمين . وكذلك فتنا بعضهم ببعض ليقولوا أهؤلاء من الله عليهم من بيننا أليس الله بأعلم بالشاكرين)(٢٧٣)

وقال تعالى (اتل ما أوحي إليك من كتاب ربك لامبدل لكلماته ولن تجد من دونه ملتحدا ، واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه ولا تعد عيناك عنهم تريد زينة الحياة الدنيا ولا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا واتبع هواه وكان أمره فرطا . وقل الحق من ربكم فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر ..الخ)(٢٧٤)

كما ساوموه فى بادئ الأمر أن يكون معهم يعبد آلهتم يوما ، ويكونون معه يعبدون الله يوما ، من باب تقريب وجهات النظر وتلاقى الآراء ، كما يحدث من بعض المحترفين لتهدئة الصحوة الاسلامية فى عصرنا تحت ستار السلام أحيانا والوطنية أو القومية أحيانا أخرى ، والحرية

---

(٢٧٣) سورة الانعام : الآيات ٥١،٥٢،٥٣

(٢٧٤) سورة الكهف : الآيات ٢٧،٢٨ ،صدر الآيه ٢٩ .

ثالثة ...الخ

غير أن القرآن قد نبه على أمثال هذه الأمور، وحسم الموقف فى مقابل هذه المساومات وأمثالها. فقال تعالى(قل يا أيها الكافرون لا أعبد ما تعبدون ولا أنتم عابدون ما أعبد ولا ولا أنا عابد ما عبدتم ولاأنتم عابدون ما أعبد لكم دينكم ولى دين) (٢٧٥).

كما كشف أمثال هذه المؤمرات على الدين ودعاته، فقال عن طائفة من أهل الكتاب:

(وقالت طائفة من أهل الكتاب آمنوا بالذى أنزل على الذين آمنوا وجه النهار وأكفروا آخره لعلهم يرجعون ولا تؤمنوا إلا لمن تبع دينكم) (٢٧٦) فانظر وتأمل وتدبر وقارن بين حيل السابقين ومؤامراتهم على الاسلام ودعوته ودعاته، وبين حيل اللاحقين ومؤمراتهم، تجدها كأنها وجهين لعملة واحدة.

٣- الأمل فى مستقبل الدعوة:

ومعناه الرجاء فى انتصار الاسلام وذيوع صوته، وانتشار دعوته، والثقة بأن المستقبل له، وأن نصر الله قريب، وإن ادلهمت الخطوب، وتفاقمت الكروب، وهو ما يعنى محو اليأس القاتل، والقنوط المدمر الذى يؤدى بدوره الى تثبيط همم الدعاة وتهميش دور قادة الأمة إلى الخير والأمل لازم من لوازم الداعيه-بل قل من لوازم المسلم- لأن الأمل يقابله اليأس والقنوط، وسرعة الجزع والفزع والاستسلام للأحداث، وكما أن الأمل

---

(٢٧٥) سورة الكافرون بآياتها الست

(٢٧٦) سورة آل عمران : آيه رقم ٧٢ وصدر الآيه ٧٣

لازم من لوازم الايمان، فان اليأس لازم من لوازم الكفر، والقنوط لازم من لوازم الضلال ومظهر من مظاهره (إنه لا ييأس من روح الله إلا القوم الكافرين) (قالوا بشرناك بالحق فلا تكن من القانطين. قال ومن يقنط من رحمة ربه إلا الضالون)،(٢٧٧)

ولا شك أن الأمل دافع من دوافع التخطيط لمستقبل الدعوة إلى الله عز وجل ووضع تصور عام لمسيرتها، ولا غرو فى هذا فالواقع يشهد ويثبت أن ما كان حلما بالأمس قد صار اليوم حقائق، وأحلام اليوم هى حقائق الغد. والأمل فى الدعوة إلى الله منشود فى ذاتها وممن ينتفعون بها من البشر فى سائر المجتمعات، لأنه عن طريقها وحدها وبها تحل العقد الكبرى فى العالم من فساد دينى أو اقتصادى أو سياسى ، أو اجتماعى أو أخلاقى، وما لم يكن لدى الداعية أمل فى دعوته ،وطموح يدفعه إلى خوض غمار جميع المشكلات التى تواجهه فى مسيرة دعوته بلاخوف أو تردد .

فمن قبل خاض الأولون من الدعاة الناصحين والأئمة العاملين غمار المشكلات كلها بالأمل فى نصر الله لهم ، وتأييد خطواتهم وتصدوا لكل حرب نصبت لواءها فى وجوههم ، وأعلنت عداءها ، حتى سجل الله لهم شهادة فخار فى القرآن الكريم فقال عنهم (يستبشرون بنعمة من الله وفضل وأن الله لايضيع أجر المؤمنين ، الذين استجابوا لله والرسول من بعدما أصابهم القرح للذين أحسنوا منهم واتقوا أجر عظيم الذين قال لهم الناس ان الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم إيمانا وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل، فانقلبوا بنعمة من الله وفضل لم يمسهم سوء واتبعوا رضوان الله

---

(٢٧٧) سورة الحجر : آيه رقم ٥٦ .

والله ذو فضل عظيم) (٢٧٨) .

فياشباب الدعوة وياعلماءها ، الأمل فيكم وبكم ومعكم وأنتم لستم أضعف ممن كانوا قبلكم ، ممن حقق الله على أيديهم هذا المنهاج فلا تهنوا ولاتضعفوا ولايصيبكم الحزن والاكتئاب ، فيذهب بالتفاؤل والأمل من نفوسكم ، بل ضعوا مستقبل الدعوة نصب أعينكم ، من منطلق ماانطلق منه سلفكم كما رأيتم فى الآيات السابقة .

وحتى يتحقق الأمل فلابد وأن نعد لذلك دعاة لهم إيمان لايتزعزع ، وعمل لايتوقف ، وثقة بالله لاتضعف ، وأرواح أسعد أيامها يوم تلقى الله على الشهادة فى سبيله ، وهو عين ماربى عليه إمام الدعاة صلى الله عليه وسلم قادة الأمة فى غدها رضوان الله عليهم أجمعين .

وبمثل هذه الروح الدافقة كان - صلى الله عليه وسلم - والمربين من بعده على هديه يزرعون فى أشبال الدعوة الثقة ، ويبعثون فيهم الرجاء ، ويحيون الأمل فى نفوس طالما دمرها اليأس والقنوط ، عملا على نصرة الإسلام ، وقد أكد أحد المربين من الدعاة المخلصين والعلماء العاملين - فى العصر الحديث - لتلاميذه ، حتمية النصر للإسلام بأدلة منها :

(أ) الدليل النقلى من القرآن والسنة : حيث الآيات الكريمة والأحاديث النبوية الشريفة الدالة على هذا أكثر من أن تحصى منها قوله تعالى (هو الذى أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره ، على الدين كله) (٢٧٩)

وقوله تعالى (يريدون ليطفئوا نور الله بأفواههم والله متم نوره ولوكره ، الكافرون) وفى آية أخرى يقول (يريدون أن يطفئوا نور الله

---

(٢٧٨) سورة آل عمران : الآيات من ١٧١-١٧٤

(٢٧٩) سورة التوبة : ايه رقم ٣٣، سورة الفتح آيه رقم ٢٨ ، وسورة الصف آيه رقم ٩

بأفواههم ويأبى الله إلا أن يتم نوره ولو كره المشركون) (٢٨٠)

وقوله تعالى (إنا لننصر رسلنا والذين آمنوا فى الحياة الدنيا ويوم يقوم الأشهاد) (٢٨١)

وقوله تعالى (والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وإن الله لمع المحسنين) (٢٨٢)

وقوله صلى الله عليه وسلم " ليبلغن هذا الدين مابلغ الليل والنهار ... الخ " (٢٨٣)

(ب) الدليل التاريخى : وهو أن هذا الدين أشد مايكون رجاله قوة وأصلب مايكون دعاته عودا ، حين تحيط به النوائب ، كما فى حرب الردة ، وحروب الصلبيين والتتار حتى إن التتار الغالبين يدخلون مختارين فى دين المغلوبين، وكذا فى مقاومة الإستعمار والإضطهاد فى مصر وغيرها من بلاد العالم الإسلامى ، وكذا فى فلسطين ، وحرب رمضان / أكتوبر ١٩٧٣ ، وغيرها ، حيث لايخفى تأثير الدعوة فى كل موقف من هذه المواقف التى مرت بها الأمة كسبب رئيسى فى النصر .

(جـ) الدليل الحسابى : " فقد كانت قيادة العالم حضاريا شرقية بحتة يوما على يد الفراعنة والهنود والصين والفرس بلا منازع ، ثم انتقلت إلى الغرب عن طريق اليونان والرومان ثم انتقلت إلى الشرق عن طريق الحضارة

---

(٢٨٠) سوره التوبه : آ يه رقم ٣٢

(٢٨١) سورة غافر: آية رقم ٥١

(٢٨٢) سورة العنكبوت : آيه رقم ٦٩

(٢٨٣) يراجع : تفسير ابن كثير حـ٢ صـ٣٤٩ وقال : أخرجه أحمد فى مسنده عن تميم الدارى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ وأخرجه بمعناه بلفظ معاير أبى داود فى صحيحه حـ٢ صـ٢٠٢، وابن ماجه فى م٢ جـ٤ : صـ١٣٠٤ وكذا مسلم فى كتاب الفتن ، وأخرجه ايضا الترمذى فى صحيحه.

الاسلامية قرونا ، ثم انتقلت إلى الغرب الحديث شرقا وغربا على صراع مرير بينهما أعواما طويلة حتى قضى الإسلام عسكريا على نفوذ أوربا الشرقية متمثلة فى الإتحاد السوفييتى وأفل بسقوطها نجم الشيوعية إلى الأبد باذن الله تعالى ، وانفرد الغرب الأوربى بالسيادة على العالم تكنولوجيا وعسكريا كما نرى اليوم ، وقد باتت ساعة أفول نجمه وشيكة إن اليوم أو غدا ، وهانحن ننتظر أن تعود إلى الشرق مرة أخرى لتشرق شمس الإسلام على العالم من جديد ، خصوصا وقد أفلس الغرب معنويا وروحيا ، ودمره صراع النفس ، وصراع البيت وصراع المجتمع ، وصراع السلام)[٢٨٤]، وليس بمستبعد أن تغزو شمس الاسلام أوربا - الغرب - فى عقردارها ، وتنبع من داخل أرضه خصوصا وأننا فى كل يوم نرى فتحا جديدا للإسلام هناك عن طريق الجاليات الإسلامية ومراكزها التى بدأت تنتشر على ربوع أرض الله هناك ، ولم يبق إلا أن نبعث بالإرساليات المتخصصة فى الدعوة إلى الله والقادرة على المحادثة أو إفهام الإسلام لهؤلاء القوم بلغتهم التى يفهمونها ، فهل إلى هذا من سبيل ؟ غير أن هؤلاء الدعاة يحتاجون إلى دراسة خاصة تمكنهم من المراد ، المهم أن ندرك ونعى أهمية الأمل فى حياة الداعية والدعوة .

٤ - البذل والتضحية مهما كان الثمن :

وهو من أبرز الأخلاق وألزمها - مضافا إلى ماسبق - فى تربية الداعية الناجح ، وقد يعبر عنه بالتضحية من أجل تحقيق الهدف المنشود ، وأعنى به أن يتعود شباب الدعوة فى فترة اعدادهم وتربيتهم على التخلص

---

(٢٨٤) يراجع : التربية الإسلاميه -د. القرضاوى - صـ٣٧ - بتصرف

من كل ألوان الشح والبخل علميا وعمليا ، حتى اذا ما وكل إليهم أمر البلاغ عن الله - عزوجل - ورسوله - صلى الله عليه وسلم - ضحوا فى سبيل دعوتهم بالجهد والمال والوقت ،ولايدخرون وسعا فى نشرها ومد شعاعها ،وتأييد دعاتها فى كل مكان ، ومساعدة أبنائها بالنفس والنفيس، والغالى والرخيص ، حتى يكون شعارهم : اعط ليستفيد غيرك ، فيتخلصوا من الأنانية المشئومة . وازرع ليحصد الآخرون ، فيتخلصوا من الأثرة والشح . واتعب ليستريح الناس ، فيتخلصوا من السلبية واللامبالاة.

وبهذا يستطيع الدعاة بفضل هذا الخلق العظيم - كما استطاع سلفهم الصالح - أن يقوموا بكل ماتتطلبه الدعوة من نفقات وماتستلزمه من مشروعات كدور العلم ، وتحفيظ كتاب الله ورعاية اليتيم وكفالته ، وسد حاجة الفقراء والأرامل والمساكين وإعانة المحتاج ، وإغاثة اللهفان وفض المنازعات والخصومات بكلمة الله ، بدلا من أن يسود مجالس الناس الحكم بغير ماأنزل الله ، وتغليب الأهواء على الدين ، وغير ذلك من كل مايهم أمر المسلمين لأن الرسول - صلى الله عليه وسلم - قال " من لم يهتم بأمر المسلمين فليس منهم " وقال صلى الله عليه وسلم :" الدين النصيحة قلنا : لمن يارسول الله ؟ قال لله ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم " (٢٨٥) وإذا كان الاهتمام بأمر المسلمين على آحاد الأمة واجب فانه فى حق الداعية فريضة ، لأنهم محل عمله ، وميدان دعوته ، ومن ثم فان على الداعية أن لايستهون أمراً أو يستصغره مهما تكن التضحية فى سبيله ضئيلة أو بسيطة ، لأن هذا الأمر قد يستفحل ويعظم ماإن سكت عنه الداعية أو غض

(٢٨٥) راه البخارى فى كتاب الإيمان - باب رقم ٤٢ م١ حـ١ صـ٢٠ ، ومسلم فى كتاب الإيمان برقم ٩٥ ، وابو داود فى الأدب حـ٢ صـ٣٠٦ وذاد لفظ " كتابه " ، والنسائى فى البيعه باب رقم ٣١، والدارمى فى الرقاق برقم ٤١واحمد فى م١ صـ٣٥١ ، م٢ صـ٢٩٧ ، م٤ صـ١٠٢ ، ١٠٣

الطرف من دونه .

كما أن عليه أن لايستصغر همته وكلمته وعطاءه فى إصلاح أمرٍ مًامهما عنظم فقد يكون مااستصغره من الجهد والعطاء والبذل هو باب إصلاح أعاظم الأمور ، وبداية الطريق العملى لحل معضلاته ، ومشكلاته . والأمثلة على هذا كثيرة يكمنك إدراكها بنفسك من الواقع .

٥ - الإستمرار والتواصل :

ونعنى به عدم الفتور أو الاصابة بالخور والهوان والضعف المقعد للداعية أو المثبط لهمته ، وهذا إنما يحدث لبعض شباب الدعوة ،وربما بعض شيوخها ،ربما أحيانا لفقدان الثمرة من الدعوة وعدم سرعة استجابة المدعوين له ، أو عدم التفاتهم اليه أحيانا أخرى ، أولضعف فى دعوته هو وفتور فى عزيمته ثالثة ، أو ربما تعجله للنتائج مع إحساسه بعدم التقصير أو القصور فى حق الدعوة والمدعوين رابعةً ، أوربما محاربته والوقوف فى وجهه للتضييق عليه من أرباب الشهوات والأهواء خامسة ، أومهادنته ومساومته لمحاولة إسكاته وصرفه عن دعوته سادسة ، وهذه كلها أمور أو أسباب تناقض طبيعة الدعوة إلى الله عزوجل وأخلاقها .

ومن ثم فان على الداعية شابا كان أو شيخا ، أن يضع نصب عينيه ، وألا يغيب عن ذهنه قط ، تلكم القاعدة الأخلاقية التى أرساها النبى صلى الله عليه وسلم وهى الإستمرار والتواصل - أو المواصلة - فى العمل - والدعوة من أفضل الأعمال وأعظم المهام - كما رأيت من قبل - فقد قال النبى صلى الله عليه وسلم " أحب الأعمال إلى الله أدومها وإن قل "*

* الحديث أخرجه البخارى فى كتاب الإيمان -باب رقم ٣٢ وفى الرقاق -باب رقم ١٨ ومسلم فى المسافرين برقم ٢١٦ ،٢١٨ ، وفى المنافقين برقم ٧٨، وأبوداود فى كتاب التطوع -باب رقم ٢٧ ،والنسائى فى قيام الليل برقم ١٩، وابن ماجه فى الزهد برقم ٢٨، وأحمد فى المسند م٢ صـ٢١=

بيد أنك تجد فى الأعم الأغلب همة تحرك الصخور والجبال ، وانعطافا وانفعالا وعاطفة شديدة نحو العمل فى بدايته ، فماهى إلا أيام أو شهور على الأكثر ،وتخور الهمة وتضعف العزيمة ، وتزول العاطفة ويذوب الإنعطاف ، ويتلاشى الإنفعال ، وقد ينقطع العمل بالمرة ، وهذه الهبات العاطفية والتشنجات الإنفعالية ،لاتبنى شخصية ، ولايرتفع بها بناء فهى كالبرود سواء بسواء ، ومثلهما القسوة والغلظة والذى يتكلم فى الناس بما يحب أن يقدم من الأمانى المعسولة ويظنها السامع وعودا صادقة ، ثم لايستطيع أن يفى بشئ من ذلك ، يبدو أمام الناس فى ثوب الكاذب المنافق.

والكلمة عند الداعية خصوصا – وعند المؤمنين عموما – لها ميثاقها وشرفها وقيمتها لاتخرج منه إلا بعد التمحيص والتأكد من القدرة على الإلتزام بها ، لذلك أوصى الرسول صلى الله عليه وسلم بأن نأخذ من الأعمال ماكان فى طاقتنا ،ولا نأخذ منها مايشق علينا ، وأن نيسر علي الناس قدر طاقتهم بلاخلل ولاتفريط أو إفراط فى الدين ، حتى يستمر العمل ، ولاتنفذ طاقة الإنسان .

يقول النبى الكريم صلى الله عليه وسلم :

" خذوا من العمل ماتطيقون ، فان الله لايمل حتى تملوا " [(٢٨٦)] لقد مكث النبى صلى الله عليه وسلم إحدى عشرة سنة وهو يواصل جهاده فى مسيرته بصبر دون كلل أو ملل أو تردد أو تقهقروكم تجشم النبى صلى الله

=م٦ ص٤٠،٦١،٦٥،١٢٥،١٧٦، ١٨٠،٢٤١،٢٦٨ ، ٢٧٣ ، ٣٢٢ .

(٢٨٦) الحديث أخرجه البخارى فى كتاب الصوم – باب رقم ٥١– م١حا ص٣٣٧ ، ومسلم فى كتاب المسافرين برقم ٢٢٠ ، وكتاب الصيام برقم ١٧٧ .

عليه وسلم من متاعب فما لانت قوته ، ولا هدأت عزيمته ،وكم لاقى النبى صلى الله عليه وسلم التهديدات من قريش التى كانت تتربص به لقتله والخلاص منه ، وهو صلى الله عليه وسلم صابر محتسب ، قائم بأداء النصيحة إلى قومه .

ولم تصمد المحن أمام صبر النبى صلى الله عليه وسلم ومواصلة الجهاد فى سبيل الدعوة ، وكان أمامه فى الأفق الأمل العريض فى أن يهديهم الله تعالى ، ولعلك تمكث متدبرا دعاءه ، صلى الله عليه وسلم " اللهم اهد قومى فانهم لايعلمون " .

فهل لنا فى المبعوث الأمين سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم قدوة وأسوة ؟ هل لنا أن نلتمس الأعذار لغير المهتدين قبل أن نتهمهم ونلقى بالتبعة عليهم ؟ هل لنا أن نعمل على تصحيح مسار الدعوة ومسيرة الدعاة قبل أن نفترض فى الناس علم مالم يعلموه بعد ؟ هل لنا أن نعمل بلاتوقف وأن نديم الجهاد والدعوة إلى الله بلا تقهقر أو تعلل ؟

فما بالنا ، وقد رأينا غير المسلمين قد فاقوا المسلمين فى العمل المتواصل المثمر ، وما ذلك إلا لأنهم خططوا لما أزمعوا القيام به ، فأجادوا التخطيط ودرسوا العلم فأحسنوا الدراسة ، ونهضوا إلى العمل فأتقنوا وبحثوا فى التنفيذ فاختاروا له أحسن الوسائل ، واستمروا بالجهد الجماعى فى التنفيذ فكان جهدهم مثمرا وعملهم واضحا فهل لنا فى ذلك من عبرة وهل نتخذ من هذه دروسا ؟

فياشباب الدعوة وشيوخها . يامن أنتم أحق الناس غيرة على الإسلام، قوموا وادرسوا وابحثوا ، واستعينوا بمن يتقن فن صناعة الدعاة بل

والرجال ، فالحكمة ليست بنت أحد ، والعلم ليس حكرا على أحد . بل هما ضالة المؤمن ينشدهما أنى وجدهما ،[(٢٨٧)] وحيثما وجدهما أخذهما ، واعلموا أن التواصل والإستمرار فى الدعوة إلى الله عزوجل هما أحسن الوسائل لنهضة الأمة ونجاح عملها وفلاحه وليكن شعارنا (واصل تصل)

الخاصية الخامسة : العناية باختيار شخصية الداعية :

ونعنى بها الصفات الذاتية - الشخصية - للداعية من جهة مايتعلق بمظهره المادى ، أو التكوين الخلقى له ، والإشتراط فيها - ليس فى أكثرها - لبيان الصحة والجواز ، وإنما هى فى أغلبها شروط كمال ووفاء .

ولقد كان من أخص خصائص الرسل وصفاتهم - صلوات الله وسلامه عليهم - الكمال البشرى ، وعدم إصابتهم بالأمراض الخبيثة أو المعدية أو المنفرة وسلامتهم منها .

كما كان من صفة النبى صلى الله عليه وسلم ماذكره الإمام ابن القيم[(٢٨٨)] - رضى الله عنه - فى حديث الهجرة من قول أم معبد لزوجها ، وقد سألها :

من أين لك هذا ؟ والشاة عازب ، ولاحلوبة فى البيت ؟ فقالت : لا والله ، إلا أنه مرينا رجل مبارك كان من حديثه : كذا وكذا ومن حاله كذا وكذا .

فقال : والله إنى لأراه صاحب قريش الذى تطلبه صفيه لى ياأم معبد

---

(٢٨٧) روى الترمذى فى كتاب العلم باب الحكمة ،وابن ماجه فى الزهد ، باب الحكمة برقم ٤١٦٩ م٢جـ٤ صـ١٣٩٥ بسنده عن أبى هريره - رضى الله عنه - قال : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - " الكلمة " الحكمة ضالة المؤمن ، حيثما وجدها ، فهو أحق بها "

(٢٨٨) يراجع : زاد المعاد - للإمام ابن القيم م ١ جـ ٢ صـ ٧٨، ٧٩ طبعة المطبعة العربية الحديثة بالقاهرة نشر دار عمر بن الخطاب بالاسكندرية - «بدون تاريخ ورقم» .

فقالت : ظاهر الوضاءة ، أبلج الوجه . حسن الخلق . وسيم قسيم . فى عينه دعج . وفى أشفاره وطف (تعنى بالدعج أسوداد العين وبالوطف : طول شعر الأجفان) وفى صوته صحل . وفى عنقه سطع ،أحور ،أكحل العين،(٢٨٩) أزوج ، أقرن (٢٩٠) ، شديد سواد الشعر ، إذا صمت علاه الوقار ، وإن تكلم علاه البهاء ، أجمل الناس وأبهاهم من بعيد ، وأحسنه وأحلاه من قريب . حلو المنطق . فصل لانزر ولاهذر ، كأن منطقه خرزات نظم يتحدرن ، ربعة (٢٩١) ، لاتقحمه عين من قصر ، ولاتشنؤه من طول غصن بين غصنين ، فهو أنضر الثلاثة منظرا وأحسنهم قدرا ، له رفقاء يحفون به ، إذا قال استمعوا لقوله ،وإذا أمر تبادروا لأمره ، محفود محشود ،لاعابس ولامفند .. الخ .

هذا فى مجال الصفات الخلقية (بكسر الخاء وسكون اللام) بصفة عامة ، غير أن هناك ماهو وثيق الصلة بالداعية من ذلك .

وهو مايتصل بجانب الإبانة والوضوح .. وذلك لأنه بالضرورة مبلغ يواجه الجماهير ، ويخاطب الجمع الغفير ، كما أنه محاور ومناظر ، ومتحدث ، وناصح ، وواعظ ، وكل ذلك يعتمد فى المقام الأول على القدرة على البيان ، وصدق اللهجة ،ووضوح التعبير .. بل هو شرط رئيسى فى كل ماكان سبيله النطق والإفصاح ، ولذلك يقول الله تعالى (وماأرسلنا من

---

(٢٨٩) أزج : أى طويل الحاجب فى دقة وتقوس . يراجع : المعجم الوسيط - مجمع اللغة العربية بالقاهره -م١ صـ ٣٨٨

(٢٩٠) أقرن : له أطاقه ، وقوى عليه (أى قوى البنيان)- مختار الصحاح - صـ٥٣٣

(٢٩١) الربع : بتضعيف الراء منصوبه ، وسكون الباء ، وهو الوسيط القامه ، وحقة الطيب : المعجم الوسيط حـ١ صـ ٣٢٥

رسول الابلسان قومه ليبين لهم) (٢٩٢)

وقوله تعالى فى خطابه لخاتم الأنبياء والمرسلين صلى الله عليه وسلم فى وصف القرآن وتحديد مهمته ،ومنطق دعوته :

(وانه لتنزيل رب العالمين نزل به الروح الأمين . على قلبك لتكون من المنذرين بلسان عربى مبين) (٢٩٣)

ولذلك يتضح سبب ماذكره المؤرخون من أن عثمان رضى الله عنه عندما عزم على كتابة المصحف الإمام قال : من أكتب الناس ؟

قالوا : كاتب رسول الله صلى الله عليه وسلم زيد بن ثابت .

قال : من أعرب الناس وأفصحهم ؟

قالوا : سعيد بن العاص .

قال : فليمل سعيد ، وليكتب زيد ، وليشهد إخوانهما يعنى : عبد الله ابن الزبير ، وعبد الرحمن بن الحارث بن هشام .

ومن هنا تنبه أكثر العلماء الأثبات ، إلى أهمية اللسان وقدرته على الفصاحة والبيان ،ومن ذلك ماقاله أحدهم (٢٩٤)

(اللسان أداة الداعية الأولى ، فلابد أن تكون الأدلة سليمة ليتسنى له استعمالها على أكمل وجه وأتمه ، وزلاقة اللسان وذربه عنوان الفصاحة ، وطريق البلاغة ،وقد بالغ الناس فى مكانتها حتى عدها بعض المتسامحين ركن البلاغ الوحيد ، وجعل غيرها بالمحل الثانى ، ونحن – وإن كنا لانوافق صاحب هذا القول – إلا أننا لايمكن أن نغفل كون طلاقة اللسان من ألزم

(٢٩٢) سورة إبراهيم : آيه رقم ٤ .

(٢٩٣) سورة الشعراء : الآيات من ١٩٢ – ١٩٥

(٢٩٤) يراجع : للعلامه الشيخ محمدأبو زهره : الخطابه أصولها وتاريخها فى أزهى عصور هاعند العرب صـ ٥٦ – طبعة دار الفكر العربى .

صفات البلاغ - خصوصا اذا ماكان البلاغ عن رب العالمين - كما أنه لايمكن أن ننكر كونها من أشد وأقوى أسباب انتصاره فى ميادين القول .

ولعلك تدرك هذا جيدا من خلال دعاء نبى الله وكليمه موسى عليه السلام وقد كلفه الله عزوجل بالبلاغ عنه والذهاب إلى فرعون كما هو واضح من قول الله تعالى (إذهب إلى فرعون إنه طغى . قال رب اشرح لى صدرى . ويسر لى أمرى . واحلل عقدة من لسانى يفقهوا قولى . واجعل لى وزيرا من أهلى هارون أخى . أشدد به أزرى وأشركه فى أمرى كى نسبحك كثيرا ونذكرك كثيرا إنك كنت بنا بصيرا . قال قد أوتيت سوء لك ياموسى)(٢٩٥)

فتدبر الأسس اللازمة للداعية . وتأمل كيف وقعت عين موسى عليه السلام على الجوانب الشخصية التى لاغنى له عن الكمال فيها ، حتى إنه يستهل إلى الله عزوجل وينشد تحقيقها ضمانا لعدم القصور أو التقصير من جانبه ؟ وقد استجاب الله عزوجل له ، فأزال مابه من عقد .

ومن ثم فحرى بالدعوة أن يُختار لها ، وألا يلقى فى محرابها سقط الناس ، من أصحاب الآفات والعاهات المنفرة ، والأمراض الخبيثة فهؤلاء يحتاجون إلى مصحة يتعالجون بها ، فكيف يوكل لمن هو بحاجة إلى من يعالج مرضه ، ومن هو مشغول بنفسه أن ينشغل بغيره ليعالج أمراضه وعلله النفسية والروحية والإجتماعية وهومن داخله ناقم على أفراد مجتمعه من أصحاء الأبدان ، فالعقل السليم فى الجسم السليم ، واللسان السليم لايحميه إلاعقل سليم وقلب سليم وجسد صحيح .

إنه على الرغم من معافاة الله - عزوجل - لموسى عليه السلام

---

(٢٩٥) سورة طه : الآيات من ٢٤ - ٣٦ .

واستجابته لدعائه بحل عقدة لسانه ، إلا أن فرعون اللعين لم ينس له ماضيه ولم يتورع من التهكم به ، لأن لغته المصرية لم تكن بينة بالقدر الكافى ، لغيا به عنها فترة بقائه فى أهل مدين ومكثه بمدين فترة طويلة أكسبته فيها لغة أهلها ، وأسقطت من لسانه كثيرا من الألفاظ والعبارات المصرية ، مما جعله يتخذ من هارون عليه السلام مترجما له ولسانا عنه ، ورغم هذا لم يتورع فرعون من التهكم به ، والتعلل عليه فى محاولة منه لانتقاصه أمام العامة وصرف الناس عنه أوالانبهار به وبدعوته ،وقد أثبت الله عزوجل ذلك فى القرآن الكريم حكاية عن لسان فرعون فقال (أم أنا خير من هذا الذى هومهين ولايكاديبين)[(٢٩٦)] هذا فى موقف فرعون من كليم الله موسى عليه السلام - الذى أزال الله عقدة لسانه وشرح له صدره ، وأنزل عليه وحيه ، فما بالنا - والمتعللون كثيرون والمعيرون أكثر ،والفراعنة فى كل زمان ومكان أعتى من إمامهم - لو أصيبت الدعوة وملئت ساحتها بمن عمتهم العاهات المنفرة ، والآفات المدمرة ؟ ترى هل يكون ذلك فى مصلحة الدعوة والدعاة ؟ أعتقد يقينا أن لا ، لأن العظائم كفئوها العظماء، والدعوة الى الله أعظم المهام ، وأعظم الأمور كلها ومن ثم فلا ينهض بها إلا أكفاؤها من أعاظم الرجال ، ولو لم يكن موسى - عليه السلام - أبلغ فى عظمته من فرعون وسلطانه وجبروته وطغيانه وتهكمه وتمرده وتعلله ، ماكان ليصل معه إلى ماوصل إليه ، ويقضى على كل تعللاته ونفوذه وبهتانه ولو كان كما قال فرعون عنه ورماه به لأعياه عيبه ، وأخرسه نقصه، ولأسقط فى يده من توه . ولتحطمت نفسه على صخرة مرضه ، لكن الواقع

---

(٢٩٦) سورة الزخرف : آيه رقم ٥٢

قد كذب دعوى فرعون وأبطل فريته .

وبهذا نكون قد ألممنا بالقدر المناسب - ولاأقول الكامل - لهذا المبحث مما يلزم الداعية من خصائص وصفات تسمو به الى الكمال وتعينه علي بلوغ المرام ، واذا كنت قد بسطت القول فى بعض هذه الخصائص ، فما ذاك إلا لأن الداعية لاغنى له عنها بحال ، حيث تقع منه موقع الجسر الطبيعى المؤدى إلى التأسى به ، والصراط المستقيم لقبول الدعوة منه ، والسير إلى الله فيها على هداه .

وعلى قدر ما ينال - أويحقق لنفسه - من تلك الخصائص والصفات ، وعلى قدرما يوفق اليه من هذه الشيم يكون إحرازه للنجاح ، وتحقيقه لمراده بوصوله إلى الغاية المقصودة ، والأمل المنشود ، والنتيجة التى يسعى إلى تحقيقها .

مناهج تقديم الدعوة :

بعد أن انتهينا من ذكر أهم الخصائص التى لاغنى للداعية أن تتوفر فيه ، كان - ولابد - لزاما علينا أن نتعرف على مناهج تقديم الدعوة وتصنيفها بحسب أصناف المدعوين ، فالدعوة إلى الله - عزوجل - وإن كانت واحدة فى مادتها . إلا أنها تختلف فى منهاج تقديمها نظرا لظروف المدعو وطبيعته الدينية والفكرية والسلوكية والإجتماعية والسياسية والثقافية ،وهى تنقسم فى إطارها العام إلى قسمين :

١ - منهج تقديم الدعوة للمسلمين .

٢ - منهج تقديم الدعوة لغير المسلمين .

اولا : القسم الأول : منهج تقديم الدعوة للمسلمين :

سوف نبدأ بالحديث عن منهج تقديم الدعوة للمسلمين ، ولعل من بيننا من يتعجب كيف نوجه الدعوة للمسلمين - وهم مسلمون قد تشبعوا بتعاليم الإسلام ، وتعرفوا على أصوله وربما جم غفير من فروعه - وهل المسلمون بحاجة لأن نقدم الدعوة لهم ، حيث يظن تقديم الدعوة مستبعدا بين يدى من يعرفها ؟ وأن هذا يعد من قبيل تحصيل الحاصل الذى هو مقرر بطلانه ، وأنه كالخض فى الماء لايولد دسما أو ثمينا ، أو أنه مخالف للعادة ، لأن العادة أن من يعرف الشئ لايعرف له ، وإلا كان من قبيل تفسير الماء بالماء.

وحتى يزول هذا التساؤل الذى ربما سبب لدى الكثيرين لبسا ، نحيل السائل أو المتعجب الى تدبر قول الله تعالى (يأيها الذين آمنوا آمنوا بالله ورسوله والكتاب الذى نزل على رسوله، والكتاب الذى أنزل من قبل)[٢٩٧]

---

(٢٩٧) سورة النساء : آيه رقم ١٣٦

فالله تعالى ينادى المؤمنين - بوصفهم مؤمنين - ثم يقول لهم (آمنوا) فلا يستقيم القول إلا بأنه تعالى يناديهم بزيادة الايمان والثبات عليه والإستمساك به والإعتصام بحبله ، وشحذ هممهم للنهوض بمعانى هذا الإيمان وأخلاقه ، والأخذ بجميع شعبه ، وإقامة كل شعائر الدين والوقوف عند حدود تنفيذ أوامره واجتناب نواهيه ، دون تباطؤ أو تلكؤ أومزايدة ، على حسب الطاقة والوسع .

ويبسط شهيد الإسلام سيد قطب فى ظلاله(٢٩٨) هذا المعنى مبينا المقاصد التى تستفاد من هذا التعبير القرآنى المعجز بقوله : (إن الله عزوجل يدعوهم دعوة ثانية إلى الايمان بعناصر الإيمان الشامل ومفردته ، بالله وملائكته ، وكتبه ورسله واليوم الآخر ، ولكل عنصر من هذه العناصر قيمته فى تكوين العقيدة الإيمانية ،وقيمته فى تكوين التصور الإسلامى المتفوق على جميع التصورات الأخرى التى عرفتها البشرية - قبل الإسلام وبعده - وهو ذاته التفوق الذى انبعث منه كل تفوق آخر ، أخلاقى أو اجتماعى أو تنظيمى سلوكى فى حياة الجماعة المسلمة الأولى والذى يحمل عنصر التفوق دائما لكل جماعة تؤمن به حقا وتعمل بمقتضياته كاملة إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها) .ويقول الإمام القرطبى(٢٩٩) " نزلت فى جميع المؤمنين ، والمعنى : يا أيها الذين صدقوا أقيموا على تصديقكم واثبتوا عليه "

---

(٢٩٨) يراجع : تفسير الظلال - سيد قطب م ٢ حـ٥ صـ٧٧٤ .

(٢٩٩) تفسير القرطبى م٢ صـ٢٠٩٧ طبعة ونشر دار الغد العربى ط(١) ١٤٠٩هـ ١٩٨٩م

وله نظائر فى القرآن كثيرة تدل عليه منها قوله تعالى (ويزيد الله الذين اهتدوا هدى)[٢٩٩] وقوله (ويزداد الذين آمنوا إيمانا) [٣٠٠]

وقوله تعالى عن فتية الكهف (وزدناهم هدى) [٣٠١] وقوله تعالى (وتزودوا فإن خير الزاد التقوى) [٣٠٢] وقوله تعالي (وذكر فان الذكرى تنفع المؤمنين) [٣٠٣].

ومن ثم فدعوة المسلمين تكون من باب التذكير النافع فى زيادة الهداية وازدياد الايمان ، وليست من قبيل الدعوة إنشاء أو ابتداء ، وهى من هذا الجانب لاغني عنها لأهل الإيمان ،بل هى لازمة من لوزامه فيهم ولهذا فقد قلنا بتقديم الدعوة للمسلمين - بالرغم من اسلامهم - ولمزيد من التوضيح يمكننا حصر أسباب استمرار تقديم الدعوة الى المسلمين فيما يلى :

١- نقلهم من حالتهم الراهنة الي حالة أفضل وزيادة فى الايمان .

٢ - تعريفهم بالاسلام فى حالته الصحيحة ، خاليا من أفكار المشوهين بعد أن أبعدتهم عنه عوامل من ثقافات وافدة ، وعادات متراكمة بحسب تداخل الأمم فى بعضها على مر عصور الاسلام ، ولاسيما بعد انحطاطا المسلمين عن المعانى السامية فى دينهم بسبب محاصرة العالم الآخر " المعادى للإسلام لهم عسكريا ،تفوقه عليهم ماديا ، وحاجاتهم للمادة ، وكذا تكنولوجيا ، وانبهار كثير من المسلمين بتقدم الغير عليهم فى هذه المجالات، وإحباط النفسية المسلمة لدى البعض الآخر ، واستسلام فريق

(٢٩٩) سورة مريم:آية رقم ٧٦

(٣٠٠) سورة المدثر آية رقم ٣١.

(٣٠١) سورة الكهف آية رقم

(٣٠٢) سورة البقرة آية رقم ١٩٧.

(٣٠٣) سورة الذاريات آية رقم ٥٥

ثالث لهذا التفوق والسعى فى ركابه طمعا فى الحصول على حاجتهم وليكن مايكون .

٣ - تنشيطهم من حالة الركود الفكرى والجمود الشعورى ، وإهمالهم للعديد من قضايا الاسلام والمسلمين فى العالم كأمة واحدة ، بل قضية الاسلام ذاته وعدم الانفعال لها .

٤ - دعوتهم إلى أن يتعرفوا جيدا على مايريده منهم الدين .

٥ - التعرف علي وضعهم بين الأمم ايجابا كان أو سلبا ، والتعريف بالجوانب الايجابية للعض عليها والتمسك بها ، وكذا التعريف بالجوانب السلبية والتقصيرية للوقوف عليها معرفة أسبابها حتى يتسنى معالجة السلبية وتلافى أوجه القصور والخطأ فى مسيرة الأمة أفرادا وجماعات أقطارا وشعوبا ، ووضعها على الصراط المستقيم ، صراط الله الذي له ما في السماوات وما فى الأرض ، كما كان سلفها الصالح (رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه) [٣٠٤] فكانوا كما وصفهم الله (خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله)[٣٠٥] ولكى يتحقق فيها وبها الوسطية والإعتدال إعمالا لقول الله تعالى (وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكون شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا)[٣٠٦] فبها يقيم الله الحجة على العالمين فى إفراطهم أو تفريطهم، وبالرسول-صلى الله عليه وسلم- يقيم الحجة عليها إذا انحرفوا أو حُرّفوا عن طريقه ومنهاجه والإقتداء به فى كل شئون الحياة بشقيها ديناً ودنيا.

(٣٠٤) سورة الأحزاب آية رقم ٢٣

(٣٠٥) سورة آل عمران آية رقم ١١٠

(٣٠٦) سورة البقرة آية رقم ١٤٣.

٧-العمل على إظهار ذلك كله سلوكا عمليا فى الحياة، استشعارا وتمثلا وفهما، بعقل مدرك واع.

٨-أنه لا غنى عن تقديم الدعوة مطلقا نقية صحيحة واضحة لأطفال المسلمين وناشئتهم وفتيانهم وشبابهم على طول الزمان وعرضه، حتى لو أفترضنا جدلا بلوغ الكبار مبلغ الكمال علما وعقلا وسلوكا وإن ندر وجود هذا حتى اليوم على المستوى الجماعى، بل والمستوى الفردى أيضا، وإلا لما وجدنا حاصلا على أعلى الدرجات العلمية ومتقلدا أرقى المناصب التعليمية أو الوظيفية لا يعرف عن الدين أو منه فوق ما يدرك الأمى أو العامى.

منهج تقديم الدعوة للطفل المسلم:

أطفال المسلمين هم المدخر الاحتياطى أو بالمصطلح العلمى «المخزون الاستراتيجى للأمة الاسلامية» ولمسيرة النور الالهى فى الحياة كلها جيلا بعد جيل، وهو العمق الذى تتمدد فيه وتبسط دواعيها عليه، ولهذا كان تركيز الإسلام ودعاته على تربيته والقيام على تنشئته خير قيام، حتى يشب وهو يعرف قضيته ومهمته، وما خلق لأجله، فيتنامى وعيه، ويكتمل إدراكه للمهام التى أناطها الإسلام به.

ولقد خلق الله عز وجل كل مولود على فطرة الإسلام التى فطر الله عليها كل مخلوقاته، وإنما عوامل البيئة والنشأة الإجتماعية الخارجية هى التى تُحوّر الطفل حسب ما ينتظم البيئة من معتقدات وأفكار، ومذاهب وفلسفات.

ولقد نبه الرسول صلى الله عليه وسلم على خطورة البيئة والمجتمع فى تكوين الطفل وتأثيرها عليه في كل جوانب حياته، فقال: "كل مولود يولد على الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه.كما تنتج البهيمة

جمعاء، هل تحسون فيها من جدعاء"؟ (٣٠٧)

ولتأثر الطفل بما ينشأ عليه، وبما هو كائن فى بيئته، قلنا بوجوب دعوة الفطرة-الإسلام- له بحسب سنه، ووفق ما يرقى إليه فهمه مستخدمين الوسائل والأساليب التى تناسب حاله وعقله، وتصرف همته إلى المراد له.

أ- تقديم الدعوة للطفل قبل سن التعليم:

الطفل قبل سن المدرسة، إما أن يكون في حضانة أهل منزله ورعايتهم وملاحظتهم صباح مساء لا يبرحهم، وإما أن يودع سحابة النهار فى رياض الأطفال ودور الحضانة ثم يعود آخر النهار ليقضى بقية اليوم إلى جوار والديه. فإن كانت الأولى فلابد من توفر أمور لا غنى عنها فى تكوين شخصية هذا الطفل المسلم هى:

أولا : تقديم الدعوة للطفل داخل البيت المسلم:

١- تحرى الدقة فى القول أو أو كل كلام يتعرض الطفل لسماعه لأنه فى سنة المبكرة خزانة يحفظ عن أهله محاور لغتهم، وأساليب عرضها، ومدلولات ألفاظها.فما تسمعه الأذن يحكية اللسان ومن ثم وجب كون لسان الأبوين ومن حولهما وبيئة الطفل عفا نقيا طاهرا يتورع عن قالة السوء، ويلتزم آداب الاسلام وتعاليمه فى الحديث ويجافى السباب والشتائم، وبذئ الألفاظ، وتناول الناس بالقيل والقال، والغيبة والنميمة والكذب.

٢- تحرى الإنضباط السلوكى بما يتوافق ومنهج الإسلام فى الأعمال الصالحة حتى يشب الطفل وقد رأى فى أبويه التزاما بأركان الدين، وحر صا على إنفاذ مراد الله-عزو جل-منه، فتصلح نفسه وتستقيم لمحاكاته لوالديه

(٣٠٧) الحديث اخرجه البخارى فى الجنائز-باب رقم ٩٣،٧٩ وفى تفسير سورة الروم باب رقم ١،وفى كتاب القدر-باب رقم ٣.م جـ٤ ص١٤٤، ومسلم فى القدر أيضا برقم ٢٥،٢٢ والترمذى كذلك فى القدر برقم ٥، ومالك فى الموطاجـ١ ص٢٤١ حديث رقم ٥٢.

وتغرس بذلك فى نفسه صورة المسلم المثالى التى ينشدها الإسلام فى الناس، ويصير بحيث إذا أُمِرَ أطاع، وإذا نُهِىَ أنتهى، وإذا دُعِىَ أجاب وإذا أستؤمن حفظ، وإذا أسترعى رعى، وإذا استُنْصِر فى الله نصر، وإذا عاهد وفى....الخ.

٣- الالتزام الكامل من الأبوين بالقيم الأخلاقية القرآنية، التى تعين الطفل على رؤية مثل أعلى له فى الكمال الأخلاقى مبكرا فيصير الأمر بالنسبة له-بعد ذلك سهلا هينا-فيتعلم كيف يكون قويا فى دينه، صلبا فى إرادته، صابرا فى رسالته، مصابرا في محنته، شاكرا فى منحته، محبوبا فى بيئتة وقورا فى جماعته، شجاعا في كلمته، رحيما فى معاملاته، موقرا لأهل الفضل، كريما فى غير مضيعة، عزيزا فى غير مفخرة، ذليلا فى غير منقصة ليس بفظ ولا غليظ ولا صخاب ولا سباب ولا عياب ولا عيار ولا فتان ولا قتات ولا متكبر ولا جبار ولا ظالم ولا طاغية ولا خوان ولا كذاب ولا أفاك ولا مداهن ولا فحاش ولا ......الخ.

٤- محاولة تجنب الأخطاء، وتلاشيها تماما وعدم الإستهزاء بحدوثها أو وقوعها أمام الطفل، لأنه يُهَوِّن على الطفل فى المستقبل حين يشب ويكبر ارتكاب الجرائم والوقوع فى الأخطاء بل والاصرار عليها.

٥- محاولة إكساب الطفل روح الاسلام كعامل رئيسى فى رسم الخريطة الفكرية الصحيحة له فيتعود المثابرة والفاعلية ويتربى على الطموح والأمل وعدم اليأس، ويتخلى عن الجمود والجحود، ويتعلم السماحة مع الغير فلا يصادر عليه رأيا ولا فكرا حتى وان لم يقتنع به، فليس لأحد سلطان عليه، فى الفكر، وكذلك هو ينبغى أن لا يفرض سلطانه على أحد.

٦- تعويد الطفل حب الغير، وحب الخير للغير، وترويض نفسيته على الأخوة فى الله ولله لا على أخوة المصلحة التى تجعل منه إنسانا حسودا حقودا أنانيا جحودا.

ثانيا: تقديم الدعوة لطفل الحضانة:

قلنا ان الطفل قبل سن المدرسة، إما أن يكون فى منزل عائلته كل يومه وليلته، أو أن يودع سحابة النهار فى رياض الأطفال ودور الحضانة، ثم يعود آخر النهار إلى منزل والديه، وقد تحدثناعن الأولى فيما سبق:-

أما إن كان فى الثانية فيلزم له بعض الوسائل والأساليب حتى يغدو شخصية إسلامية فاعلة ومؤثرة(٣٠٨)، ولابد أن يقوم ذلك على دعامتين هما أساسه:

أ-المربون: الذين يقومون على تربية الأطفال وهم فى دور الحضانة أو رياض الأطفال، وحتى يربوا لنا هذا الطفل تربية إسلامية حية سليمة، يلزم أن يكونوا هم على ما يلى:

١- أن يكونوا من الشخصيات الإسلامية النشطة المحبة للإسلام القائمة على حدوده.

٢- أن يلتزم بتنفيذ الشعائر الإسلامية بدقة وصدق فى أنفسهم عن اقتناع وطواعية وليس بدافع لمصلحة تجُنَى من وراء ذلك، لأن مثل هذا الأخير لا يغرس فى الطفل الشخصية الإسلامية المطلوبة،

٣- البعد عن الأفعال والأقوال الجاهلية التى تبعد الطفل عن الإسلام مع

---

(٣٠٨) يراجع للمزيد فى هذا: منهاج التغيير الإسلامى- للشيخ أبو الأعلى المودودى ص٢٠ وما بعدها

تحقيق العبودية الكاملة لله تعالى.(٣٠٩)

٤- أن يكونوا على قدر كبير بمعرفة أصول الدين وقواعده العامة مع ربط ذلك بواقع العصر الذى يعيش فيه الطفل.

٥- أن يبذل جهده وغاية طاقته مع الطفل، حتى تبرز فيه أمام الطفل صفة الإخلاص ومراقبة الله عزو جل فى العمل، فتتحقق فيه القدوة الصالحة والمثل الأعلى للطفل.(٣١٠)

ب- عملهم مع الطفل: ذلك كان بعض ما يتعلق بالمربى فى نفسه، أما مع الطفل فيلزمه:

١- أن يقدّم الإسلام للطفل فى كل شئ يعرضه عليه أو كل وسيلة يعلمه بها، يبرز له عظمه الإسلام وسمو قدره، حسب فهم الطفل وإدراكه فمثلا إذا أعطاه لعبة على هيئة طائرة يذكر له عظمة خلق الله لذلك الطائر وأنه من مخلوقات الله وأن الله هو الذى يرزق ويطعم هذا الطائر كما أنه خلق الانسان وهو الذى يطعمه ويحفظه وهو رب هذا الكون وخالقه ،وعلى الإنسان أن يعبده وحده .أن يعبده وحده..واذا أعطاه حلوى يقول له: هذه الحلوى هى من نعم الله علينا وأن الإسلام الذى جاء به محمد صلى الله عليه وسلم أحلى من هذه الحلوى وستعرف ذلك عندما تكبر..الخ.

"ولا زال النصارى يستعملون مثل هذه الوسائل لإبعاد الأطفال عن الإسلام وتحبيبهم فى النصرانية، مثل تحبيب الصليب إليهم، ولقد كان المنصرون الذين يعملون باسم هيئات الإغاثة الإنسانية فى بعض قرى

(٣٠٩) يراجع: الأهداف الرئيسية للدعاة إلى الله- أحمد القطان، وجاسم مهلل ص١٠١ دار الدعوة بالكويت (ط١) ١٤٠٩هـ، ١٩٨٩م.

(٣١٠) يراجع للمزيد فى هذا: أصول التربية الاسلامية-د. سعيد إسماعيل على ص٦٢-٨٢ دار الفكر العربى بالقاهرة- مطبعة المدنى بمصر-سنة ١٤١٣هـ-١٩٩٣م

السودان-جبال النوبة فى غرب السودان- كانوا يعطون للاطفال لعبا كلما ركّب الطفل اللعبة وعلى أى هيئة ركبها تأتى على شكل صليب، ذلك حتى ينغرس حب الصليب فى روح الطفل فيعبده.(٣١١).

وفى مشهد آخر يحكيه أحد الدعاة(٣١٢)-وهو من الدعاة العاملين-قصة شاهدها بنفسه عن أفاعيل المنصرين وأساليبهم الماكرة التى يدبرونها لأطفال المسلمين.، فيقول:-

منذ(٣٠) شهرا وفى شتاء ليلة من ليالى انجامينا-عاصمة تشاد- وجدت بجوار إحدى المدارس الإبتدائية العامة مشهدا وقع على كالصاعقة وأقلقنى طوال اليوم والليلة وإلى الآن، لقد وجدت ثلاثة أشخاص-رجلين وامرأة- والثلاثة يرتدون أحسن الملابس ويتحدثون الفرنسية والعربية وجدتهم يقتربون من تلامذة المدرسة، ثم أخذوا ستة أطفال جانبا وحدثوهم طويلا عن الأمل والخوف والسعادة والرغبة فى الحياة، وكيف أن غداً سعيدا ينتظرهم إذا هم سمعوا كلامهم، ثم أخرجت السيدة قطعا من الحلاوة التى تبدو حلاوة فى الشكل ولكن طعمها شديد المرارة مقزز، فما أن تدخل الحلاوة المرة فى فم الطفل حتى يلفظها ثم يقولون له هذه الحلاوة من (محمد) (٣١٣) ثم يعطونه حلاوة لها طعم حلو المذاق، وما أن يلتهم الطفل الحلاوة حتى يقولون له: أن هذه الحلاوة من (المسيح) وهكذا(٣١٤)

٢- أن يغرس فيهم حب الإسلام ويعلمهم الاعتزاز به ويشجعهم على

---

(٣١١) يراجع: منهج تقديم الدعوة-د- محمد زين الهادى -عمان- مركز الكتاب للنشر ط(١) ١٩٩٣م

(٣١٢) هو الشيخ حسين إمام المسلمين ورئيس المجلس الأعلى للشئون الاسلامية فى تشاد.

(٣١٣) يقصدون الرسول محمد-صلى الله عليه وسلم-

(٣١٤) جريدة المسلمون العدد رقم (٣٣٠) ذو القعده ١٤١١هـ ، مايو ١٩٩١م

ذلك بكل و سيلة يجدها تعينهم، وأن يذكر لهم أمجاد الاسلام بذكر قصص أبطال الإسلام وكيف كانوا ينصرون الدعوة وتوجد كثير من الكتب التى تعين على ذلك يعطيها لمن يقرأ منهم ويقصها على من لا يقرأ، ويبتعد بهم عن القصص الخرافية والخيالية ولا سيما القصص المستوردة من البلاد غير الاسلامية

٣- أن لا يستعمل لهم فى التعليم وسيلة محرمة شرعا حتى لا يعودهم على المعاصى منذ صغرهم .

٤- يبتعد بهم عن اللفظ الذى فيه بذاءة ولو على سبيل الطرفه، لأن ذلك يترسب فى مخيلة الطفل .

٥- لابد من تحفيظهم شيئا من القرآن على حسب استطاعتهم وإن أمكن حفظه كله أفضل وأولى مع تعليمهم قواعد الإسلام وأسس معرفة الله وصفاته وأسمائه والملائكة والرسل وكيفية الصلاة والطهارة ، كل ذلك بوسائل سهلة وخفيفة ولو استعان بالوسائل المصورة مثل (الفيديو)لكان أفضل وأيسر .

٦- أن يبتعد بقدر المستطاع عن التلقين النظرى والوعظى لأن الطفل يمل ذلك ، ولا يستطيع متابعته لمدة كافية ، حيث إنه فى هذه السن يكون ضعيف القدرة على التركيز والمتابعة وليستعيض عن ذلك بالوسائل الجذابة ذات الأشكال الناصعة - كما ذكرنا ذلك - مثل استعمال جهاز السينما المتحركة والفيديو ، والأناشيد الملحنة تلحينا خفيفا جذابا فمثلا ، بالنسبة لأشرطة الفيديو والسينما ، يصور لهم أطفالا فى إحدى الحدائق التى بها طيور وبعض الحيوانات ولو عن طريق (الدبلجة) المصورة وهم يلعبون ويجرون وسط الحيوانات والطيور وفى الخضرة ، ثم يأتى بآخرين فى هذا الجو وهم يصلون وآخرون يتوضئون والبعض يقرأ القرآن - قصار السور -

وآخرون يعرضون على زملائهم أركان الإيمان ومحاسن الأخلاق .. الخ .

وهذا الإنتاج الكبير يحتاج إلى مال يمكن أن توفره الجمعيات الدعوية ثم تبيعه لتلك المدارس بأسعار مخفضة لتعم الفائدة .

بهذه الطريقة ونحوها تكون دعوة الطفل فى هذه المرحلة .

٢- منهج تقديم الدعوة للطفل فى سن الدراسة :

أما اذا كانت السن أكبر من ذلك ، هن سن المدرسة ، فإن العمل يكون أوسع من ذلك لتقدم فهم الطفل ونمو وعيه حيث يفهم ما يقال له نظريا ويدرك كثيرا من المعانى والأفهام التى تلقى عليه .

فيركز له فى دعوته على الكتب المنتقاة التى تنمى فيه الشعور بشخصيته الإسلامية ، وما ذكرناه فى الفقرة السابقة من كتب القصص الإسلامية التى تحكى سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم وجهاده وصحابته بأسلوب يناسب سن الطفل القارئ والتى تفيد فى هذا المجال ، مع ابعاده عن القصص غير الاسلامية وهو فى هذه المرحلة التكوينية حيث إنه لا يستطيع أن يميز الصالح من الطالح .

وفى الجانب المدرسى يلزم تحرير الكتاب فى البلاد الإسلامية مما علق به من رواسب الماضى، حيث كان معظم العالم الإسلامى يرزح تحت نير الإستعمار ، فإن تلك المناهج التى تقوم على الثقافة والفكر الأجنبى يجب تصفيتها وتنقيتها وغربلتها، حتى يتحرر عقل الناشئة من النظرة الفوقية لغير المسلم وينطلق من عقدة (الخواجة)[٣١٥] وحتى تكون عندنا مناهج إسلامية وطنية تبنى لنا جيل الغد المعتز بدينة وانتمائه الإسلامى ، فلابد

---

(٣١٥) يراجع هذا يتوسع فى : من التعبية إلى الأصاله - الأستاذ أنور الجندى - الباب الثالث الفصل الأول صـ٧٧- ٩٢ - ط دار النصر للطباعة والنشر - نشر دار الاعتصام

من فك ارتباط العقل المسلم من التبعية الذيلية ، والإتجاه به ليبنى بناء إسلاميا نظيفا ، حرا فى تفكيره غير مربوط بعقد الأجنبي الفوقية والمسلم الدونية، حتى ينطلق ذهنه فى البحث والإكتشاف والتنقيب معتمدا على ماوهبه الله من قدرات وطاقات خلقها الله فى الكائن الحي الذى خلقه فى أحسن تقويم وكرمه وفضله على كل مخلوقاته ، وحتى نصل إلى أن تكون هذه المعارف مسلمة لربها مسبحة له فى الظاهر كما هى مسبحة له فى الخفاء فى حقيقتها قبل أن يطمس معالمها الإنسان بكفره بنعم الله (قتل الإنسان ما أكفره من أى شئ خلقه من نطفة خلقه فقدره ..) (٣١٦).

فإن فعلنا ذلك ، فإنه سوف يأتى للأمة الإسلامية جيل غير هذا الجيل المخضرم المخدر بالجرعات المنومة التى يرددها أطفالنا فى الكتب الدراسية المنهجية ، وإن لم نفعل - والعياذ بالله - فإننا سنظل هكذا تتقاذفنا أمواج ثقافات الأمم من الداخل وتقذفنا أسلحتهم من الخارج ، كلما طوروا سلاحا جربوه فينا بما يجروننا إليه من فتن واحتراب .

هذا بالنسبة للجانب المدرسى ومناهجه ، أما بالنسبة للإعلام فان الشكوى الآن قائمة مما يعرض للطفل المسلم من قصص ومسلسلات أطفال كلها أو معظمها مستوردة من بلاد غير إسلامية ، حيث تحكى واقعا لاصلة له بالإسلام ، إن لم يهدم الإسلام أو يشوه حقائقه فى ذهن الطفل المسلم ، فكثير من أفلام الكرتون المدبلج وغيرها تعرض أفكارا تخالف مبادئ الإسلام عامة ، سواء فى طريقة الحوار أو فى العادات والتقاليد أو فى اللباس - للنساء - فنجد مثلا ، عند الغربيين أن الكلب يكون معهم فى

---

(٣١٦) سورة عبس : آيه رقم ١٩،١٨،١٧

كل لحظة ويقدرونه ويجلونه ويعطونه مكانة تدخل فى روع الطفل أنه مخلوق عظيم ، فيأكل معهم وينام معهم وينقذهم من المهالك .

وكذلك نجد دائما الفتى والفتاة يكونان صداقة مع بعضهما ويختليان ببعضهما ويتناجيان فى تلك الخلوة بالحب والوجد .. وطريقة السلام تخالف التحية الإسلامية، وطريقة الأكل تكون باليسرى وبدون ذكر اسم الله، ومعاملة الوالدين لأبنائهم ليس فيها شئ له صلة بالإسلام، ولا يقوم على احترام الإبن لوالديه . وهكذا نجد كل مايأتى مستوردا فى هذا الجانب يبعد الطفل المسلم عن دينه ويقربه من نمط الحياة الغربية ، بل ومعتقداتها أيضا، ولهذا نجد الطفل المسلم يعرف الكثير عن أبطال الغرب وعلمائه ولا يعرف واحدا على الألف من ذلك بالنسبة للمسلمين والسبب هو بعض ماذكرنا .

والعلاج لهذه الظاهرة النشاز ليس بالأمر الصعب ، فان الدول الإسلامية عامة والعربية خاصة تملك المال اللازم لتمويل البدائل الإسلامية ، كما تملك الخبرة التى تجعلها تنتج الكثير من تلك الأفلام المستوردة إنتاجا محليا يدفع عن ابناء الأمة كثيرا من الشرور والبلايا ، التى أقلها التبعية الثقافية والفكرية ، كما يُمكنُ أن تقوم بهذه الأعمال الفنية التربوية شركات إسلامية تنتج تلك الأفلام فتكسب من جهتين من جهة تنمية المال الإسلامى ومن جهة الناحية التربوية للأجيال الإسلامية مع ضمان سلامتها من التبعية والذيلية للغرب .

فالدعوة هنا للطفل تقوم على عرض الإسلام له بالوسائل المسلية الخفيفة التى لا تعتمد على الوعظ الرتيب المكرر ، وإن كان لابد من شئ من الوعظ والكلام فيلزم فى النصائح أن تكون قليلة ومفهومة وممكنة

التنفيذ غير مصطدمة بحاجات الآخرين الضرورية .. فالوالد أو المعلم - الداعية - الذى يظل يلقى على ولده أوامر تقيده فى كل حركاته وسكناته وتشعره بالذل والحرمان ، يجعل منه عدوا لهذا الدين لا ينتظر منه إلا رد الفعل للعصيان وسوء السلوك .(٣١٧)

ومادمنا نتحدث عن منهج التربية الاسلامية - للطفل فى المدرسة - فمن البديهى أن يكون منهج التوجيه والتلقين هو المنهج الربانى ، أى أن أو أمرنا ونواهينا وتوجيهاتنا لأطفالنا ينبغى أن تكون مستمده من الله ورسوله و - فى حاله غياب النص - لاتكون مصطدقه بأوامر الله ونواهيه وتوجيهاته ، فلا نأخذ توجيها تنا لأطفالنا من الجاهلية المحيطة بنافى كل الأرض سواء فى القيم أو التصورات أو الأخلاق أو التقاليد أو أنماط السلوك ؛

وليس مؤدى ذلك أن نغلق قلوبنا وأفكارنا عن تجارب البشرية المفيده، كلا ! ليس ذلك من أوامر الإسلام ، فالحمكة ضالة المؤمن أنى وجدها فهو أولى الناس بها ؛

ولكن مؤداه أن نحذر أن تفتنا الجاهلية - المعاصرة - ولو عن بعض ماأنزل الله إلينا :" وأن احكم بينهم بما أنزل الله ، ولاتتبع أهواءهم،واحذرهم أن يفتنوك عن بعض ماأنزل الله إليك (٣١٨)

مؤداه ألانستقى الأصول من أى مكان فى الأرض ، إلا من كتاب الله وسنه رسوله ، أما التطبيقات - أى طريقة التنفيذ والأداء -فلا بأس

(٣١٧) يراجع : كيف ندعو الناس ؟ الأستاذ / عبد البديع صقر صـ١٢٦ طبعة المكتب الاسلامى بيروت -ط (٥)

(٣١٨) سورة المائده : آيه رقم ٤٩

باقتباس أي شيئ نافع نجده فى أي مكان فى الأرض بحيث لايكون متعارضا مع الأصول المستمدة من كتاب الله وسنه رسوله - صلى الله عليه وسلم مع يقين فى أنفسنا أن هذه الجاهلية - المعاصر ة - لاتملك من ناحية الأصول إلا أحد شيئين :-

١ -إما قيما ومباءئ ومفاهيم مشابهة لمانى الاسلام ، فلنأ خذها إذن من مصدرها الربانى الأصلى .

٢ - وإما قيما ومبادئ ومفاهيم مخالفة ،فلا يمكن بحال من الأحوال أن يتحقق منها الخير ، وإن بدت للوهلة الأولى لامعه ومصقوله براقه !!

أما طرق التطبيق والأداء فقدنجد عند غيرنا الكثير ممايننفع ، فلا بأس من أخذه من هنا أوهناك ، لاباس - مثلا -أن نتعرف على طريقتهم فى تعويد الأطفال علي الصدق وعلى الأمانه وعلى الشجاعة ، وعلى الإعتماد علي النفس .. الخ فكلها قيم إسلاميه أصيله ، نتوصل إلى تطبيقها من كل طريق نافع ، وأما ماعدا ذلك من إطلاق العنان للطفل بلا توقف عند المحظور ، وكذا الجو المتحلل من القيم فلا (٣١٩) ودعوة الوالدين لأبنائهم ينبغى أن تقوم على حسن التربية وتنمية السلوك الإسلامى الحميد فيهم ، وذلك بعدة وسائل وأساليب نلخص منها مايلى :

١- بالنسبة لأجهزة الإعلام المرئى منها والمسموع يلزم الوالدين حسن اختيارها لأبنائهم وتنقيتها من كل دخن وشائبة ، لأن هذه الأجهزة لها خاصية الجاذبية العظمى بالنسبة للطفل فى هذه السن الضعيفة التميز لما

---

(٣١٩) يراجع : منهج التربية الإسلاميه - الأستاذ / محمد قطب جـ٢ صـ١٢٩،١٣٠ - دار الشروق بالقاهره - ط٩ سنه ١٤٠٩ هـ ١٩٨٩ م

هو غث وثمين .

ولما كان معظم هذه الاجهزة تعرض برامج تضعف عليها الرقابة الدينية، فتقع مسئولية المراقبة على الوالدين وذلك بتحصينهم ضدما يعرض فيها وهو لا يتلاءم مع قواعد الإسلام وذلك بأن يعودهم على النقد المباشر لما هو غير سليم ويقال لهم : إن هذه الاجهزة تعرض لكم أشياء بعضها يفيدكم وبعضها لا يفيدكم ، فالذى يفيدكم هو كذا وكذا ، والذى لايفيدكم هو كل ما يخالف الإسلام ، ويحكون أمثلة حية على ذلك من واقع ماهو مشاهد .

ولا أرى أن يكون العلاج بمنع هذه الأجهزة من دخول البيت كما يفعل بعض الدعاة ، لأن منعها أو منع الأطفال منها نهائيا يسبب لهم انعزالا عن حياة المجتمع ثم يصيبهم الإنبهار عندما يشاهدون هذه الأجهزة فى أى مكان تتاح لهم فيه الفرصة ، فيقبلون عليها وهم لا يميزون بين صالح وطالح ، ومن هنا يقع التأثير حيث يكون الذهن خاليا من التوجيه والحصانة ولكن عندما يعاملون بمثل ماذكرناه آنفا فانهم يكونون مناعة ضد هذه الأجهزة ويكونون متشبعين منها وعارفين بما فيها ، وتكون عندهم حاسة النقد الذاتى لها .

والتركيز هنا يكون على الأم أكثر ، لكثرة جلوسها فى البيت - غالبا - ولالتصاق الاطفال بها ، فيلزمها أن لاتشاهد هى ما تمنعهم منه حتى لا تضعف القدوة ويشعرون بالإزدواجية .

٢- على الوالدين أن يشتريا لأبنائهم بدائل إسلامية تعليمية وترفيهيه تكون مما يغرس الإيمان فيهم وينمى فيهم الشخصية الإعتزازية بدينها ،

سواء أكان فى مجال جهاز (الفيديو) أو أشرطة (الكاسيت) ويمكن هنا أن يستعان بالتسجيل من التليفزيون والإذاعة ما يفيدهم فى التربية الاسلامية ويعرض لهم من حين لآخر لملء الفراغ فى حالة خلو التليفزيون من البرامج الجيدة ، فتكون هذه التسجيلات بديلا جيدا ، ولقد جربت هذه الطريقة مع بعض الأطفال فكانت لها نتائج طيبة وحميدة على فهمهم وسلوكهم .

ومما هو مؤسف أننا نرى بعض الآباء المتدينين يتساهلون فى تربية أبنائهم متجاهلين المؤثرات فى نفسية الطفل اليافع ، فتجدهم تحت ضغط الأطفال - يشترون لهم أشياء للتسلية وهى تخالف تعاليم الإسلام ، بحجة أن هؤلاء صغار وغير مخاطبين بأمور الدين فنجد أشرطة الفيديوالتى بها الرقص الخليع الماجن المختلط حيث يراقص الرجال النساء وهن شبه عاريات تفوح رائحة العهر من حركاتهم ويحاصرونهن فى حركات مائعة أو يشترون لهم أجهزة تعلمهم أمورا تخالف هدى الاسلام وأجمع على تحريمها علماء الأمة الإسلامية .. كل ذلك بحجة صغر السن وقد غرب عن بالهم أن هذا الفعل سينغرس فى ذاكرتهم الخالية . (٣٢٠)

٣- يلزم الوالدين تعويد أبنائهم شعائر الاسلام مثل الطهارة وآداب الأكل والشرب والنوم واللباس - خاصة البنات - وأن يصلوا معهم ليتعودوا ذلك، ويؤخذ الإبن بعد السابعة للمسجد .

٤- أخذهم فى غير أوقات الدراسة - بعد العصر - لمدارس تحفيظ القرآن ، إن وجدت وإلا يلزم الأب أو الأم أن يُحفّظانهم ما يستطيعان من القرآن الكريم وشيئا من الفقه وأسس الإسلام .

(٣٢٠) براجع : منهج تقديم الدعوه - د. محمد زين الهادى ص٤٠

٥- على الأم والأب أن لا يتكشفا أو يبرزا الأعضاء المغطاة أمام أطفالهم الصغار مهما صغرت سنهم ابتداء من الثالثة فما فوق لأن ذلك يعودهم على عدم الحياء الذى هو مطلوب شرعا .

٦- تشجيعهم على كل الأنشطة الرياضية حتى يشبوا وهم أقوياء شجعان ويبعدون من حياة الرخاوة والترف التى تلين عود الطفل وتجعله عاجزا عن ممارسة حياته المعيشية إلا بشق الانفس .

ويلزم تعويدهم وتعليمهم أن الرياضة من شعائر الاسلام وحث عليها الدين ومارسها الرسول صلى الله عليه وسلم والصحابة بإقراره :

(علموا أولادكم الرماية والسباحة وركوب الخيل وفى رواية مقاتلتكم). (٣٢١)

٧-الطفل فى هذه السن شفاف وله القدرة الكبيرة على المحاكاة وتقمص كل مايراه ويعجب به ، ولهذا لابد من التأكيد له على الإنتماء إلى الإسلام وتعريفه به وتحبيبه إليه ، وكذلك يجب أن يمنع منعا باتا اعطاؤه فى هذه السن أى نموذج حضارى - غير إسلامى - أو عدوى وافدة ، كذلك تفعل الأمم الآخرى التى تواجهنا فى حلبة الصراع الحضارى وليس من الحكمة أبدا أن نحدث أطفالنا عن نابليون وبسمارك وروسو وسقراط - باعتبارهم أبطالا ومفكرين بما يثير فيهم الإعجاب - ولا يكون هذا إلا بعد أن تنضج عقليته الطفل وتتضح القيم الإسلامية لديه ، كذلك من الخطر إعطاء الطفل نماذج من حضارات الغرب إلى جانب نماذج من حضارته الإسلامية ، فإن ذلك من

---

(٣٢١) مسند الإمام أحمد م١ صـ٤٦

شأنه أن يشوش ذهن الطفل ويدخله فى حيرة . لاسيما وأن الحضارة الغربية لها قدرة الحضور ،[٣٢٢] بسبب تمثلها فى اجهزة الاعلام التى تغذى عقل الطفل ، حيث معظم ما يعرض عامة وللطفل خاصة ، فى هذه الأجهزة المستورد من الغرب خاصة فى التليفزيون والسينما والفيديو . وبهذه الكيفية يتعاون البيت مع المدرسة فى دعوة الطفل للإسلام وأخذه إلى الله بما يرضى الله عنه ويخرجنا من العهدة التى عهد بها إلينا عندما جعلنا خلفاء فى أرضه ونحقق العبودية له تعالى .

ثالثا : منهج تقديم الدعوة للشباب :

أما المرحلة التى تلى تلك السن فهى مرحلة الشباب ، وهى سن طموح وجموح حيث ينظر الشاب إلى غده المشرق ويتطلع إلى مستقبل مزهر وضاء .. ويشعر بكينونته ويريد أن يحقق استقلاله وذاتيته ، ولهذا فهو يحتاج إلى نوع خاص من المعاملة عند دعوته إلى الخير وتقديمه له .

فهو إن كان ابنا يلزم أن يعامل معاملة الأخ الأصغر وإن كان طالبا يعامل معاملة من يدرك مصالحه ويناقش مناقشة هادئة وجادة تشعره بشخصيته ، فإنه يكره - وهو فى هذه السن - أن يقال له : أنت صغير أو قاصر الفهم أو العقل أو كل تعبير لا يحقق له ذاتيته وكينونته .

فمن الناحية النظرية الفكرية تقدم له الدعوة على النحو الآتى :

١- يعطى بعض الكتب الاسلامية المبسطة المختصرة التى تساعده على فهم الإسلام فى العقائد والفقه والأخلاق وتاريخ الإسلام المكتوب بأقلام عالمة

---

(٣٢٢) يراجع : البدائل الإسلاميه - الأستاذ / أنور الجندى صـ٩٨ نشر دار الاعتصام - بدون تاريخ ورقم

ونظيفة تعينه على فهم الدين وزيادة ثقافته الإسلامية وتغرس فيه حب الاسلام وتعرفه بسيرة سلفه الاسلامى الصالح الذين هم نموذج المسلم الحامل لوعاء الاسلام ولوائه ، شريطة أن يكون فيها ذلك التنوع ، وأن تخلو من التعقيدات اللفظية والمعانى الغامضة وأن لاتكون من الكتب المطولة التى تمل قراءتها بل لا تتجاوز الأربعين إلى التسعين صفحة .

٢- يرشد إلى عدد من المجلات والدوريات والصحف اليومية أو الأسبوعية ذات الطابع الإسلامى خاصة التى تعنى بشئون المسلمين والثقافة الإسلامية والتراث الاسلامى الصافى ، فهذه تكون له درعا واقيا من خطر السموم التى تبثها الصحف والمجلات غير الإسلامية سواء أكانت الخليعة منها أم الجادة ذات الأفكار المنحرفة ، والأولى هى أقرب إلى جذب الشباب وهو فى مرحلة اهتزاز العاطفة وثورانها .

وحبذا لو كانت المجلات والصحف الإسلامية ذات مادة جذابة مع عنصر التشويق ، وإخراج ملفت لنظر الشباب حتى يجدوا فيها مايبعدهم عن المجلات الخليعة التى تستخدم جسد الأنثى لجذب الشباب إليها لإغوائهم .

٣- الوسائل الإعلامية المرئية مثل التليفزيون والفيديو والشرائح المصورة ، يلزم أن تكون مادتها المعروضة ذات نمط يناسب هذه المرحلة من حيث المستوى العقلى والعاطفى وحرارة الشباب المتدفق التواق لكل جديد وكل ما يقال إنه عصرى .

وهذا هو الباب الذى ولجت منه وسائل الإعلام غير الإسلامية .

هذه المواد الاعلامية المصورة وغيرها التى ذكرناها هنا لاتكون فى استطاعة الداعية الفرد العادى بل لا بد أن يستعين على ذلك بالمؤسسات التى تعنى بشئون الدعوة سواء أكانت جهات رسمية أم منظمات تطوعية مثل منظمة الدعوة الإسلامية ورابطة العالم الاسلامى .. وغيرهما .

غير أننا نجد بعض الدعاة أصبحت لديهم المقدرة المادية التى سمحت لهم باستعمال الوسائل الإعلامية المصورة مثل الشرائح والفيديو والسينما المتجولة يعرضون فيها نماذج دعوية ذات قدرة كبيرة على جذب الشباب مثل الداعية المشهور فى جنوب أفريقيا (أحمد ديدات) والشيخ (عبد المجيد الزندانى) والشيخ (محمد متولى الشعراوى)

فى هذه النماذج الإعلامية تقدم الصلوات المصورة بطريقة حية وعملية فقهية، ابتداء من كيفية الطهارة ومرورا بأداء حركات الصلاة ومناسك الحج كما تقدم المحاضرات والندوات الموجهة توجيها دعويا ، يقوم على إعدادها دعاة مقتدرون ، وتقدم برامج عن خلق الكون وما فيه من دلالات على قدرة الله تعالى من أمثال البرنامج الذى يقدمه الدكتور أحمد شوقى وبرنامج الدكتور مصطفى محمود .

هذه البرامج وغيرها تقدم فى الأندية الرياضية والثقافية وفى مواسم اللقاءات الشبابية والمنتديات والمعسكرات الكشفية ، وكل مكان يجتمع الشباب تشارك فيه الدعوة من خلال تلك الوسائل العلمية الخفيفة ذات الجاذبية العالية .

٤- ربط الشباب المسلم ببرامج روحية والعمل معه على تزكية النفس والتجرد لله تعالى ، وذلك بوسائل منها :

أ- جمعهم - بقدر المستطاع وفى رفق - على ورد صباحى وآخر مسائى يتكون من تلاوة جزء من القرآن الكريم صباحا - ثم قراءة الأوراد - الاذكار ذوات العدد من الماثور - بعد الجزء القرآنى، وفى المساء -إن تيسر أن يكون ذلك جماعيا للتشجيع فلا بأس ، ثم يكون الورد المنفرد فى غير حالات الإجتماع وعند النوم وكتب الأوراد والأذكار كثيرة جمعها العلماء والمشايخ .

ب - يكون إفطار جماعى فى بعض الأحيان للإجتماع الروحى وإحياء الرباط والتواصل بين الشباب المدعو والداعية .

جـ - بث المعانى الأخلاقية وغرس الفضائل ومحاسن الأخلاق بينهم مثل الكرم والشجاعة ونكران الذات والإيثار والتضحية والتسامح والمروءة كل هذه المعانى لها نصوص من الكتاب والسنة يحسن أن يطلع عليها الشباب ليعوها لتكون لهم سندا وعونا .

ولما كان بعض المدعوين صلتهم بالدين ضعيفة يستحسن أن تعالج قلوبهم بذكر الله لتعمر بالإيمان ولينفى الذكر عنها الخبث والران، ولتطمئن وتسكن : (الذين آمنو ا وتطمئن قلوبهم بذكر الله ألا بذكر الله تطمئن القلوب) (٣٢٣)

وقال صلى الله عليه وسلم فيما ذكره ابن شاهين فى الترغيب فى الذكر من مسند عبدالله بن عمر :

" إن القلوب لتصدأ كما يصدأ الحديد ، قيل : ماجلاؤها يارسول

---

(٣٢٣) سورة الرعد : آية رقم ٢٨

الله؟ قال : كثرة تلاوة كتاب الله تعالى ، وكثرة الذكر لله عز وجل) (٣٢٤)

ويقول أحد العلماء (ذكر الله للإنسان كالماء للسمك فانظر كيف يعيش السمك بعيدا عن الماء ..) (٣٢٥)

د- هذه الأمور من شأنها أن تعودهم رويدا رويدا الإنتصار على النفس ومغالبة الهوى وإغواء الشيطان ومحاولة تغيير النفس بالمران والمراس والدربة تدريجيا من غير تعنيف ومشقة حتى يتم التغيير المطلوب . (إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم) (٣٢٦)

وهذه من الدرجات المتقدمة فى منهج تقديم الدعوة وليس من الميسور الوصول إليها فى زمن وجيز ، بل تأخذ وقتا لا يعلم طوله وقصره إلا رب القلوب ومقلبها ، ولكن شأن الداعية هو الدأب المستمر والصبر الجميل على طول الزمن وملاقاة المحن وتكبد الشدائد ، فان تربية القلوب ليست كتربية الدواجن ، تتعلق بالعلف الذى يملأ البطون ، بل هى تغيير قلبى وانقلاب فكرى وتحويل عقلى ، بمعنى أنها تغنى بالداخل أكثر من عنايتها بالخارج ولهذا فقد ورد أن الرسول من الرسل يأتى يوم القيامة ومعه الشخص والشخصان ويأتى الآخر وليس معه أحد .. كما جاء فى حديث عمران بن حصين عن عبدالله بن مسعود رضى الله عنهما أنه قال :(٣٢٧) تحدثنا ليلة

---

(٣٢٤) براجع : كنز العمال فى سن الأقوال والأفعال - للعلامه : علاء الدين بن حسام الدين الهندى البرهان فورى - كتاب الأذكار - باب الذكر وفضله حـ٢ صـ٢٤٠ - نشر مؤسسة الرساله - بيروت سنه ١٤٠٩هـ ١٩٨٩م - حديث رقم ٣٩٢٤ .

(٣٢٥) يراجع : الأهداف الرئيسه للدعاة إلى الله - الشيخ : أحمد القطان وجاسم المهلهل صـ١٤٥ -دار الدعوه بالكويت -ط(١) سنه ١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م

(٣٢٦) سورة الرعد : آيه رقم ١١ .

(٣٢٧) يراجع : مسند الإمام أحمد بن حنبل م١ صـ٤٢٠

عند رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أكثرنا الحديث ثم رجعنا إلى أهلنا، فلما أصبحنا غدونا على رسول الله صلى الله عليه وسلم : فقال : عرضت على الأنبياء بأممها وأتباعها من أممها فجعل النبى يمر ومعه الثلاثة من أمته والنبى ومعه العصابة من أمته ، والنبى ومعه النفر من أمته ، والنبى ومعه الرجل من أمته والنبى وما معه أحد ، حتى مر على موسى ابن عمران ، صلى الله عليه وسلم فى كبكبة من بنى اسرائيل فلما رأيتهم أعجبونى قلت: يارب ، من هؤلاء ؟

فقال : هذا أخوك موسى بن عمران ، ومن معه من بنى اسرائيل .

قلت : يارب ، فأين أمتى ؟

قال : انظر عن يمينك فاذا الظراب ، ظراب مكة قد سد بوجوه الرجال

قلت : من هؤلاء يارب ؟

قال : أمتك .

قلت : رضيت رب .

قال : أرضيت ؟

قال : نعم .

قال : انظر عن يسارك .

قال : فنظرت فاذا الأفق قد سد بوجوه الرجال .

فقال : رضيت ؟

قلت : رضيت .

قيل : فان مع هؤلاء سبعين الفا يدخلون الجنة لاحساب لهم ، فأنشأ عكاشة بن محصن – أحد بنى أسد بن خزيمة .

فقال : يانبى الله أدع الله أن يجعلنى منهم .

فقال : اللهم اجعله منهم ، ثم أنشأ رجل آخر .

فقال : يارسول الله ادع الله أن يجعلنى منهم .

فقال : سبقك بها عكاشة .

وفى هذا الحديث دلالة وإشارة ، بل وفيه منهج للدعاة بأن يكون ديدنهم التأنى والروية حتى تورق الثمار ، كما فيه بشارة لهم بأن هذا الدين سيكون أكثر الأمم أتباعا .

هـ- إثارة كوامن الفطرة فيهم ببعث النخوة الإسلامية الكامنة فى كل مسلم . وهو أسلوب استعمله القرآن الكريم بطرق متعددة واستعمله الرسول صلى الله عليه وسلم وميزته أنه يحرك فى الإنسان دوافع الحماية والذود عن العرض والتمسك بالدين، ويثير كوامن الأخلاق الكريمة التى غطتها عوامل خارجية تربوية وبيئية فتثار الفطرة السليمة فى الشخص بأن يعاود الداعية هذا الأسلوب مرات عديدة لأن عملية الإزالة تحتاج لزمن (٣٢٨)

رابعا : منهج تقديم الدعوة لمن تعدوا مرحلة الشباب

إن الانسان عندما يتعدى عمره سن الشباب نجده يميل للهدوء والإتزان العقلى والتحليل الموضوعى للأمور ، ذلك لعدة عوامل ، من أهمها ازدياد المسئولية التى تحتاج إلى قدرمن الروية والتفكر فى أمورها ولاكتمال النمو العقلى فيما بعد سن الشباب ، ولهذا فان الوسائل والأساليب المستخدمة مع هؤلاء الناس تختلف فى بعض جوانبها عن تلك المستخدمة مع الشباب وكذا التعامل معهم فى الحوار والدرس والمحادثة حيث يحتاجون إلى

---

(٣٢٨) يراجع : فن نشر الدعوه مكانا وزمانا -د. محمد زين الهادى - صـ١٦٥ نشر دار العاصمة - الرياض - ط (١) سنه ١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م

الكلمة المرنة التى تخاطب فيهم العقل وتحترم سنهم وتراعى خبرتهم فى الحياة فهم وإن كانوا قد تخطوا مرحلة الشباب ، لكنهم لم تعوزهم الحيوية والنشاط والحركة التى تجعل المجتمع يستفيد منهم ويؤدون دورهم المنوط بهم.

ومن الوسائل الدعوية المفيدة فى منهج تقديم الدعوة للناس ، بث الثقافة الاسلامية فى المدعو عن طرق متعددة منها : الدروس المنتظمة فى العقائد والعبادات تكون ثلاث أو أربع مرات فى الأسبوع حسب الحاجة والوقت الذى يسمح بذلك ، مع حثهم والعمل معهم ومساعدتهم على تكوين مكتبة إسلامية متنوعة المعارف والعلوم لترسيخ أسس الإسلام وفروعه ومعارفه لدى المدعوين وتحصينهم من الإنحراف وراء التيارات الفكرية الأخرى ، كما يلزم تشجيعهم على الإطلاع العام فى الدوريات والمجلات الإسلامية بصورة خاصة ، لتنمى فيهم الإحساس بالوطن الإسلامى الكبير وليعيشوا هموم الأمة الاسلامية كلها ، اقتداء بقول الرسول صلى الله عليه وسلم (مثل المؤمنين فى توادهم وتعاطفهم وتراحمهم كمثل الجسد الواحد اذا اشتكى منه عضو تداعت له سائر الأعضاء بالسهر والحمى)[٣٢٩]

ويوضح لهم أنه (لايمكن أن يعيش المسلم إسلاما صحيحا كاملا منعزلا عن إخوانه المسلمين غير متأثر بما يحدث لهم وما يتعرضون له من ضربات وفتن على يد أعداء الإسلام فى أجزاء متفرقة من العالم الإسلامى .

وحول هذه المعانى يستمر الحوار مع المدعو حتى يتولد عنده الشعور

(٣٢٩) الحديث اخرجه البخارى فى كتاب الأدب .باب رقم ٢٧ ،ومسلم فى كتاب البرر باب ٦٦، والإمام أحمد فى المسند ٤ صـ٢٧٠

بالمسئولية العامة نحو الإسلام والمسلمين ويخرج من عزلته) (٣٣٠)

ثم يوضح له أن الإسلام ليس بالدين القاصر على العبادات فقط كما هو الحال فى النصرانية وغيرها من الملل المنحرفة ، بل هو دين شامل لكل نواحى الحياة جاء لتعميرها وتنظيمها ، وهكذا كان عمل الرسول - صلى الله عليه وسلم - وأصحابه ومن بعدهم من السلف الصالح ، حتى جاء عهد الانحطاط على مدى عصور وعهود طويلة ، وتراكمت عوامل كثيرة على المسلمين أو صلتهم إلى تقليد الغرب فى حصر الدين فى طقوس الكنيسة فقط ، وإبعاده عن كل نواحى الحياة الأخرى ، بما يسمى بالعلمنة ،(٣٣١) وهى بدعة تناقض الإسلام شكلا ومضمونا .

ويبين لهم - ترغيبا - أن العلم الشرعى لابد منه لصحة العمل إذ لا يصح عمل بلا علم وكل كلام بغير علم وكل عمل بغير علم هو هراء لاقيمة له ، ولايثاب عليه صاحبه ، والداعية خاصة والمسلم عامة ينسب عمله إلى الدين ، وكذا سلوك المسلم ومظهره ، فانه يحمله غير المسلم على دينه ويجعله مطعنا فى الدين نفسه ، ولقد صد كثيرين من غير المسلمين عن الإسلام عمل المسلمين وسلوكهم غير الإسلامى وهم يتسمون بالإسلام ، ولأن غير المسلم لايعرف أن سلوك المسلمين ليس حجة على الإسلام ولا يعرف أن المسلمين فى كثير من أعمالهم وسلوكياتهم لايمثلون الإسلام ولايمتثلونه ،فلا يحاكم الاسلام بأقوال وأفعال وسلوكيات المسلمين ، وإنما يحاكم الإسلام

---

(٣٣٠) يراجع :" الدعوة إلى اله - محاضره القيت بالاتحاد الإسلامى العاملي للمنظمات الطلابية صـ٢٠ نشر دار القرآن الكريم بالرياض ط (١) سنه ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م .

(٣٣١)نشأة العلمانيه ودخولها المجتمع الإسلامى-د.محمد زين الهادى صـ٨٣ نشر دار العاصمه بالرياض

بالرجوع إلى نصوصه وأصوله ، ولهذا فقد مدح الله العلم والعلماء وشنع على الذين يقولون بغير علم والذين يقولون القول ويخالفونه بعملهم . (٣٣٢)

يقول الله تعالى ممجدا العلماء (شهد الله أنه لا إله إلا هو والملائكة وأولوا العلم قائما بالقسط لا اله الا هو العزيز الحكيم) (٣٣٣)

وقال تعالى (قل هل يستوى الذين يعلمون والذين لايعلمون إنما يتذكر أولوا الألباب) (٣٣٤)

والرسول صلى الله عليه وسلم يصنف الناس على أساس العلم ، وان اختلفت فيه مشاربهم ولكنهم جميعا يردون حياضه :

عن أبى بكرة قال : (٣٣٥) سمعت النبى صلى الله عليه وسلم يقول :" اغد عالما أو متعلما أو مستمعا أومحبا ،ولاتكن الخامسة فتهلك قال : قال لى مسعر زدتنا خامسة لم تكن عندنا ، والخامسة أن تبغض العلم وأهله ".

ونفس تلك الخطط تمارس مع متقدمى السن والشيوخ عند الدعوة ،مع مراعاة فارق السن التى تميل إلى الهدوء والتعقل - كما ذكرنا سابقا - وأنها فى نفس الوقت ليست سهلة الإنقياد والمطاوعة فهى تحتاج لكثير من الحكمة والحنكة والدربة والمداراة ، مع التركيز لهم على الدروس المنتظمة أكثر من غيرها ، مع كثير من اللين عند الدعوة وحذر شديد فى المعاملة وإبعاد كل مايذرى بهم أوما ينتقص من قدرتهم .

---

(٣٣٢) يراجع : منها ج الحياه (الإسلام)-د. محمد زين الهادى صـ٨٣ -نشردار العاصمه بالرياض

(٣٣٣) سوره آل عمران : آيه رقم ١٨

(٣٣٤) سورة الزمر : آيه رقم ٩

(٣٣٥) يراجع : مجمع الزوائد ومنبع الفوائد - للهيثمى حـ١ صـ١٣٢ -باب فضل العالم والمتعلم وقال رواه الطبرى فى الثلاثه (الصغير - والأوسط - والكبير) والبزار ،ورجاله ثقات

خامسا : الخطوات العملية لتقديم الدعوة لعموم الناس :

نريد هنا أن نذكر شيئا من طرائق الدعوة بشئ من التفصيل على نحو آخر نسير مع المدعو خطوة خطوة أولا بأول ، فأول مانبدأ به فى الدعوة هو التعريف .

أولا : التعرف على البيئة :

التعرف أنواع ، فمنه التعرف على البيئة المكانية ،[٣٣٦] ونقصد به الحالة التى عليها الناس فى هذا البلد إن لم يكن الداعية من أهله ، حيث يلزم التعرف على مافيه من عادات وتقاليد موروثة ومدى أثرها على الجماعة ومدى تمسك الناس بها ، وهل هى عادات تخالف الإسلام أم توافقه؟ وإن كانت تخالف الإسلام فهل الناس يعرفون أنها تخالف الإسلام أم لا ؟ وهل مخالفتها صغيرة أم كبيرة ؟ وبعد التعرف الجيد على النمط السلوكى للناس وللنشاط البشرى بصفة عامة ووسائل المعيشة ونوعها وأنماط الحرف والمهن لأغلب السكان ، ثم التعرف على الحالة الثقافية لهم ونوع الثقافة السائدة وهل هى على النسق الغربى أم تسوّد الثقافة الإسلامية ؟ أم أنها خليط ؟ وفى الحالة الأخيرة أى الثقافتين أغلب ؟ وما المنهج الذى يتحكم فى شئون الدولة وتُسير حياة الناس على أساسه ؟

ثم يلزم التعرف بعد ذلك على الإتجاهات السلوكية من الناحية النفسية ، يستقرئ ذلك من تصرفات الناس وتخاطبهم وتعاملهم مع بعضهم، وهل يميلون إلى الإنفعال والتشنج والسرعة أم هم على تمهل من

(٣٣٦) يراجع فى ذلك بتوسع : فن نشر الدعوة مكانا وزمانا - د. محمد زين الهادى العر مابى صـ ٢٢،٢١ .

أمرهم وسعة فى صدورهم ؟ وهل أمزجتهم حادة وصارخة أم يسودهم البرود والسكينة(٣٣٧) حتى يأخذ الداعية لكل حالة مايناسبها من عدة .

ثانيا : التعرف على درجة التدين عندهم :

وأعنى به مدى أثر الدين على حياة الناس ،ومدى قربهم من الإسلام ومدى تمسكهم بهديه ، وهل التمسك بالدين متروك لخاصة الناس باجتهادهم الفردى أم للدولة دخل فى ذلك ، بمعنى هل الدولة تقيم على الناس المتطلبات الشرعية ، مثل القصاص والحدود وعامة الجنايات والمخالفات التى يرتكبها الناس ، أم تترك ذلك للأحكام غير الإسلامية على النمط العلمانى الغربى ؟

لأن كل ذلك له أثر كبير على المدعو وعلى الداعية على حد سواء ، ولكى يعرف الداعية حدود دعوته وأى الأمور يمكن أن يقدم على الآخر.

ثالثا : التعرف على التيارات الدعوية السائدة :

هنا يلزم الداعية أن يتحسس هل توجد جماعة أو جماعات دعوية تقوم بنشاط وسط الناس أم لا ؟ فان كانت موجودة يلزمه التعرف على المنهج الذى تسير عليه والوسائل والأساليب التى تستخدمها فى الدعوة ، وهل هذا المنهج ومستخدماته هو المناسب لهؤلاء المدعوين وللبيئة المستخدم فيها ؟ وهل يوجد فرق كبير بين منهجه ومنهجهم ؟ وهل يكمنه أن ينسق العمل معهم ؟ وهل هم يعملون جميعا أم هم جماعات دعوية متفرقة ؟ وهل بينها تباين أو اختلاف فى الرأى أم هى متحدة ؟ (٣٣٨)

وإن كان بينهم اختلاف فهل يمكنه أن يزيل هذا الخلاف حتى يتحد

(٣٣٧) يراجع:السلوك الإنسانى: د. انتصار يونس -صـ١٣٦-٢٠١ طبعه دار المعارف بمصرط(١) سنه ١٩٨٤ م

(٣٣٨) يراجع : كيف ندعوالناس؟ - الأستاذ : عبد البديع صقر صـ٢٨

العمل الدعوى ؟ وهو مايلزمه أن يقوم به حتى لايكون هو فرقة أخرى تزيد من كثرة تصدع العمل الدعوى بل يعمل أولا على رأب الصدع وجمع الشمل وتقارب وجهات النظر ، بمعنى أنه عليه أن يبدأ بدعوتهم هم قبل دعوة الناس عامة لأنه مادام يوجد جهد دعوى ولم يثمر فإن الخلل ربما كان فى المنهج المستخدم فى الدعوة وما يستعمل فيه من وسائل وأساليب وبالتالى فإن الإستمرار على هذا المنهج المعوج لايأتى بالنتيجة المرجوة ويلزمه أن يذكرهم بأنهم جميعا مسلمون ودعاة إلى الله تعالى ، ومايبنغى أن يؤدى بهم الاختلاف فى الفروع إلى الفرقة والقطيعة ولايبعد بهم الفهم فى النص والاجتهاد فيه عن الأصل ، وهو جمع كلمة المسلمين ، وأن يذكرهم بأن الاختلاف فى الفهم هو وضع بشرى لابد منه وهو من نعم الله علي بنى الإنسان أن جعل أفهامهم متفاوتة مثل ماأمزجتهم وأذواقهم متباينة .

وليذكر هم باختلاف أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فى بعض الآمور الفرعية الاجتهادية ،" مثل حادثة الصلاة فى بنى قريظة واختلافهم يوم أحد فى الخروج لملاقاة العدو خارج المدينة أو البقاء فيها والتحصن بداخلها ، (٣٣٩) ومع ذلك كله لم يعنف بعضهم بعضا ولم يكفر بعضهم بعضا ولم يفعل ذلك معهم النبى صلى الله عليه وسلم ، ولهذا فليسعنا ماوسعهم ، ولنعمل مع بعضنا فى الأسس التى لاخلاف حولها كما عملوأهم حتى - أوصلوا الينا هذا الدين صافيا نقيا محفوظا مصونا ،وليذكرهم بقول أحد الدعاة المعاصرين (٣٤٠):" نعمل فيما اتفقنا عليه ويعذربعضنا بعضا فيما اختلفنا فيه " .

---

(٣٣٩) يراجع : السيرة النبويه -لابن هشام المعافرى م٢ حـ٣ صـ٤ ، ١١٨

(٣٤٠) يراجع : مذكرات الدعوه والداعيه - الإمام الشهيد : حسن البنا

رابعا : التعرف على المدعوين :

التعرف على المدعوين - سواء أكانوا أفرادا أم جماعات - هو البداية الفعلية للدعوة ،والانتقال بها من الجانب التنظيرى إلى الناحية العملية .

وأول من يبدأ به التعرف هو الجار ، حيث تلزم زيارته فى داره وتعرفه بنفسك تعريفا كاملا حتى يستأنس بك ويألفك ، ولا بأس بذكر مكانتك العلمية على أن يكون ذلك بطريقة تنم عن التواضع ، لا التكبر والخيلاء ، لأن ذلك ينفر أكثر مما يجذب ؛ كأن تقول له : أخوك فلان الفلانى أعمل فى كذا ودرست فى مكان كذا .. وربما يكون التعرف عن طريق المسجد ؛ وهذا له طريقان : أحدهما : أن تستأذن الإمام لتحدث الناس فى بعض القضايا التى تهمهم وتقلقهم ويبحثون لها عن حل ؛ مما يجعل الاهتمام لقولك ويلفت الانتباه نحوك ، بل ويدخلك إلى قلوب الناس ، فيبدأون بالأسئلة فيمايهمهم وتصبح أنت الذى تقضى لهم فى الأمور التى تحتاج لرأى أو فتوى شرعية ؛ وتكون موضع ثقتهم وتصير لك حظوة عندهم ؛ ومن هنا فقد أصبحوا شبه جاهزين لتلقى الدعوة ؛ ثم بعد ذلك تعقد لهم دورسا مسائية تشمل كل الأمور التى يحتاجون اليها .[٣٤١]

الطريق الثانى : فى التعرف عن طريق المسجد هو اللقاء العابر بعد انتهاء الصلاة ويكون إما داخل المسجد ؛ أو خارجة فتلتقى بهذا فتسلم عليه وبالآخر؛ ثم تعرفهم على نفسك ومكانتك ؛ ثم تدعوهم لزيارتك فى المنزل فان تأخروا فى الحضور ذهبت إليهم فى منازلهم بنفسك ؛ ويفضل أن

---

(٣٤١) الدعوة إلى الله على بصيرة :د. عبد النعيم محمد حسنين . ط١ - نشر دار الكتب الإسلاميه - ط (١) سنه ١٤٠٥هـ - ١٩٨٤م .

يكون محور الحديث أولا حول الأمور العامة مما يهم أهل البلد وكذلك المنكرات العامة لدى المسلمين ؛ والحديث عن الأسباب التى توقع الناس فيها وكيفية علاجها وليكن الحديث بشىء من العقوبة خاليا من التكلف بعيدا عن الانفعال .

وبعد مرات عديدة إذا لم يقلعوا عما يرتكبون من أخطاء دينية سواء فى العبادات أم المعاملات أم الإعتقاد يشارلهم من بعيد عما يشابهها ويماثلها ويعرض بهم تعريضا ..فان نجح معهم هذا الأسلوب فيها ونعمت ؛ وإلايلزم الدخول معهم فى نقاش وحوار حول أكبر المخالفات عندهم ويكون ذلك بدافع الأخوة والحرص عليهم وتساق لهم الأدلة والبراهين التى يمكن أن تقنعهم وتصلح من شأنهم ؛ وأن تترك لهم الفرصة الكاملة لإبداء رأيهم وإيرادأفكارهم ؛ ففى هذا تطييب لخاطرهم وتعرف على أفكارهم التى يضمرونها ، لأن الإنسان عندما يسترسل فى الحديث ؛ غالبا يخرج ما بداخله من أفكار وآراء فى أثناء الحديث ولا سيما إن كان من أصحاب الإنفعال ؛ فيستفيد الداعية بهذا من عدة نواح .

وليبعد الداعية عن الإستبداد برأيه والإستعلاء على الآخرين حتى لو كانوا أقل منه ثقافة ومكانة وعلما .

خامسا : اقامة جسر العبور :

من الأساليب الدعوية القوية أن تعمل على بناء جسر ممتد على النهر الذى بينك وبين الآخرين تعبر عليه بسهولة ويسر ؛ وذلك بأن تعمل على انشاء ما يربط بينك وبين المدعوين بصفة دائمة .

«ومن أفضل ذلك العمل على إنشاء رابطة فكرية تقرب آراء كم من

بعضها تصلح أن تكون أساسا للتعاون بينكم ؛[٣٤٢]وتقوم هذه الرابطة بإحياء وتنشيط الأفكار والآراء المشتركة بينكم ؛ وإماتة تلك تجعلكم تختلفون وذلك بعدم ذكرها والإعراض عنها والإبتعاد عن الخوض فى الخلافيات وكثرة الجدل وطول المراء لأن الجدل من أسباب الفرقة كما هو من أسباب الضلال كما جاء عنه صلى الله عليه وسلم :[٣٤٣](ماضل قوم بعد هدى كانوا عليه إلا أوتوا الجدل ؛ ثم تلا هذه الآية (ما ضربوه لك إلا جدلا بل هم قوم خصمون) .

ويكون تقريب الآراء بالمداومة على الصلات الطيبة بينكم ؛ مثل التزاور من حين لآخر ؛ والمهاداة التى تذهب ما بالقلب من كدركما قال صلى الله عليه وسلم [٣٤٤](تهادوا فان الهديه تذهب وغر الصدر ؛ وفى رواية الترمذى (حر الصدر) بالحاء بدل وغر) .

ومنها التغاضى عن الهفوات والهنات ونزغات النفس التى تبدر منهم وخاصة ساعات النقاش [٣٤٥]فعلى الداعية أن لا يكون متلكئا ومتصيدا لعثرات الناس ولا يكون لجوجا خصما .. وهناك كثير من الدعائم التى تصلح لربط الداعى بمدعويه نضرب عنها صفحا خوف الملال بكثر التطويل .

ثم إنه إذا رفض الرجوع عن موضوع معين ولم يقتنع بما أوردته له من أدلة فيجب تركه والانتقال إلى موضوع آخر مما تدعوه إليه ؛ سواء أكانت

---

(٣٤٢) يراجع : كيف ندعو الناس ؟ - الاستاذ : عبد البديع صقر صـ٣٠

(٢٤٣) أخرجه الترمذى فى كتاب التفسير باب تفسير سورة رقم ٤٣ وابن ماجه فى المقدمه م١ حـ١ باب رقم ٧ وأحمد فى المسند م ٥ صـ٢٥٢ والآيه رقم ٥٨ من سوره الزخرف

(٣٤٤) أخرجه أحمد فى المسند م٢ صـ٤٠٥ ، والترمذى فى الولاء ،والهبه

(٣٤٥) يراجع : المتهج العلمى للدعوة الإسلاميه - د. محمد زين الهادى صـ٨٣ مركز الكتاب للطباعه والنشر بالقاهره -ط(١) سنه ١٤١١ هـ - ١٩٩١م

الدعوة لترك شئ أو لفعله .

وهكذا تستمر الدعوة مع المدعو حتى ييسر الله له الهداية ويخرجه من الظلمات إلى النور ؛ ذلك بفضل الله ثم بفضل الجهد المستمر من قبل الداعية الواعى المتمرس بالدعوة .

سادسا : أولويات تقديم الدعوة :

الناظر بعين البصيرة الى المنهج الإسلامى فى الدعوة إلى الله يجده يضع معايير وموازين للدعوة بحسب الأهم فالمهم . متدرجا بها خطوة تلو الأخرى لا تقديم ولا تأخير نجد ذلك المنهج واضحا فى نزول القرآن الكريم حيث نزل منجما تنجيما متدرجا يسير بالناس من أسهل إلى سهل ؛ ومن أهم إلى مهم ؛ حتى اكتمل نور الإسلام وختم التنزيل .

ومن هنا لزم الداعية أن يراعى ذلك المنهج فى دعوته الناس إلى صحيح الدين وصافيه . فعليه أن يعرف أن الدعوة الإسلامية شعبتان :

ثابتة لا تتغير ولا تتبدل حتى يرث الله الأرض ومن عليها .

ومتغيرة متطورة حسب ما يستجد للناس ؛ فهى جديدة متجددة .

أما الثابتة فهى أسس هذا الدين وعموده الأساسى وقيمه الراسخة التى تقعد عليها القواعد وتبنى عليها الأطر وتشرع على أساسها الشرائع وتبنى عليها الأفكار والنظريات وتقاد بها الأمم إلى التقدم والرقى ؛ وهى التى لا يختلف عليها الدعاة إلى الله ؛ نذكر منها :(٣٤٦)

١ - الايمان بالله تعالى .

٢ - الايمان باليوم الآخر والملائكة والقدر ؛ خيره وشره .

---

(٣٤٦) يراجع : كيف ندعو الناس ؟ الأستاذ / عبد البديع صقر صـ ١٢٧

٣ - الايمان بالأنبياء ؛ كافة ونبينا محمد صلى الله عليه وسلم خاصة والتصديق بكل ما جاء به القرآ الكريم وما صح عن الرسول صلى الله عليه وسلم .

٤ - التجمل بمكارم الأخلاق عامة والبعد عن الرزائل التى تذرى بالانسان كافة .

أما الشعبة الثانية ؛ فتتمثل في الفروع القابلة للاجتهاد والبحث والمناقشة والأخذ والرد ؛والتى هى من قبيل النظر فى النص وتفسيره وتحليله حسب القواعد والاصول المعروفة فى ذلك، فهذه فهى ليس لأحد أن يكفر فيها أحدا ولا أن يعنف عليه ؛ وهو الذى يتغير بتغير الظروف والأحوال الذى يسميه العلماء " تبدل الاحكام بتبدل الأزمان والأحوال.[٣٤٧]

ولهذا نقول إن على الداعية ان يبدأ بماهو أهم ، ومايشعر أه يهدم الدين أويضر بالمدعوعلى ضررا مباشرا ؛ فان أول ما بدأ به الرسول صلى الله عليه وسلم الدعوة هو ازالة المعبودات من دون الله فكان أكبر شئ هو الشرك بالله تعالى ولهذا بدأ بالدعوة إلى إفراد الله بالعبادة ؛ ثم تلا ذلك بقية المأمورات والمنهيات مثل الصلاة ..... الخ

وكان أول مفتاح يدخل به المرء الإسلام هو الإقرار بوحدانية الخالق -جل جلاله- فى الذات والصفات والأفعال ؛ ثم الإعتراف ببعثة محمد صلى الله عليه وسلم ثم تدرجت الدعوة بعد ذلك بالناس رويدا رويدا تمشى بهم على تمهل وتؤدة .

وكذا ينبغى أن يكون المنهج مع كل مبتدئ فى كل شئ أو عمل حتى

---

(٣٤٧) زاد المعاد من هدى خير العباد - الإمام ابن القيم حـ١ صـ١٨٥

يألف ويتعود ويتمرس ؛ فان كل أمر يحتاج إلى دربة وألفة والجسد يلفظ كل ماهو جديد عليه وغريب ؛ فما بالك بالعقائد والأفكار وتغيير العادات والسلوكيات أشد على المرء من خلع ضرسه بدون تخدير ؛ فعلى الداعية أن يخدر قبل أ يباشر خلع المفاسد أو تغيير العادات وليعلم أن هذا هو منهج الاسلام وهى سنة الله فى خلقه ؛ وهو الذى يعلم دواخل النفوس التى خلقها؛ فأنزل إليها تشريعه تدريجا ليعلمنا ذلك وليجعله سنة ومنهجا نمضى عليه (لاتبديل لخلق الله ذلك الدين القيم ولكن أكثر الناس لا يعلمون)(٣٤٨)

لا يعلمون هذا المنهج فيستنكفون السير عليه ؛ ولو عرفوا المصلحة وراءه لما حادوا عنه قيد أنملة .

وهذه السيدة عائشة ترد ذلك العراقى لهذا المنهج ؛ فانظر معى إلى توجيهها فى الحديث التالى : (٣٤٩)

(عن يونس بن مالك قال : إنى عند عائشة أم المؤمنين رضى الله عنها إذ جاءها عراقى ؛ فقال : أى الكفن خير ؟ قالت : ويحك وما يضرك قال : ياأم المؤمنين . أرينى مصحفك ؛ قالت : لم ؟قال : لعلى أؤلف القرآن عليه فانه يقرأ غير مؤلف ؛ قالت : ما يضرك، أبه قرأت قبل؟ إنما نزل أول مانزل سورة من المفصل فيها ذكر الجنة والنار ؛ حتى إذا ثاب الناس إلى الإسلام ؛ نزل الحلال والحرام ؛ ولو نزل أول ما نزل لا تشربوا الخمر ؛ لقالوا : لا ندع الخمر أبدا ؛ ولو نزل أول ما نزل ولا تزنو ؛ لقالوا : لا ندع الزنا أبدا؛

---

(٣٤٨) سورة الروم : آيه رقم ٣٠

(٣٤٩) فتح البارى بشرح صحيح البخارى - كتاب فضائل القرآن -باب رقم ٦حـ٩ صـ٣٩

لقد نزل بمكة على محمد صلى الله عليه وسلم وإنى لجارية ألعب (بل الساعة موعدهم والساعة أدهى وأمر)[٣٥٠]وما نزلت سورة البقرة والنساء إلا وأنا عنده . قالت فأخرجت له المصحف فأمليت عليه أى السور).

فقد بينت له أن لا يتعجل فى أخذ التشريع على عجل- ولا سيما أنه ليس من أهل ذلك- ولا يستعجل على جمع القرآن، وكأنها رأت فيه عجلة وغلوا ، وأخبرته أن من أول ما نزل ليس هو الأحكام بل التبشير والتحذير وما يتصل بتنبيه الناس ولفت أنظارهم حتى يتهيئوا ويستعدوا نفسيا وعقليا وجسديا ثم أخبرته أنه ما نزلت السور التى بها الأحكام إلا مؤخرا ؛ بعد أن تزوجها النبى صلى الله عليه وسلم .

إننا على ضوّ تلك القواعد التى ذكرناها ؛ من حيث أسس الدين وفروعه ؛ نذكر بعض الأمثلة التطبيقية فى تقديم الأولويات فى الدعوة ؛ وما يمكن أن يكفربه الانسان ؛ وما هو دون ذلك من الأمور الهينة بالنسبة لغيرها . فلو وجدنا إنسانا يقول بأشياء ويفعل ويعتقد اعتقادات ويتلبس بأخرى يتزيابها . فاننا ننظر فى جملة ذلك كله بالنسبة للدين ؛ فنبدأ بأكبرها هدما للدين ؛ وإن كان بعضها متساويا لامانع من الترتيب أن أمكن ذلك ؛ وأن استطعنا واستطاع هو ان يترك مجموعة من المنكرات والإنحرافات دفعة واحدة يمكن أن نعينه على ذلك .

فمثلا ذلك الإنسان [٣٥١]وجدنا ينكر بعض المعلومات من الدين بالضرورة ويثبت أخرى تماثلها ؛ فهو يثبت وجود الله ووحدانيته ويقر برسالة النبى محمد صلى الله عليه وسلم ولكنه يزعم أن الصلاة يمكن أن ترفع عن

---

(٣٥٠) سورة القمر : آية رقم ٤٦ .

(٣٥١) المدعو (محمود محمد طه) بالسودان، وقد قتل بسبب ذلك مرتدا .

بعض الناس إذا وصلوا درجة معينة ؛ محتجا ببعض النصوص متأولا لها تأويلا متعسفا مثل قوله تعالى (فاذا قضيتم الصلاة فاذكروا الله قياما وقعودا وعلى جنوبكم فاذا اطمانتتم فأقيموا الصلاة إن الصلاة كانت على المؤمنين كتابا موقوتا)(٣٥٢) .

فحرف قوله : كتابا موقوتا ؛ بمعنى مؤقتا له زمان ينتهى به ؛ فى حين أن الآية سيقت من خلال الصلاة الخوف ؛ فانها تؤدى فيها الصلاة بغير صورتها المعتادة مع الإمام ؛ فذكرهم الله تعالى بأنهم إذا اطمأنوا فليقيموها على وجهها الأكمل وفى أوقاتها المحددة المعينة وهئتها التامة .(٣٥٣)

ومع انكاره للصلاة بتلك الكيفية ؛ يعمل بعض المنهيات مثل أن يأكل بالشمال ويحلق لحيته ويجرثوبه خيلاء . .

شخص مثل هذا لا يمكن أن نبدأ معه من أسفل القائمة كأن نقول له : يلزمك أن تطلق لحيتك أو أن تقصر ثوبك أو أن تأكل بيمينك . . بل نبدأ معه مما هو أكبر من ذلك ؛ من الصلاة التى هى رأس الاسلام وعموده الفقرى الذى لا يقوى على الصلاح بدونه .

أما إن كان انحرافه فيما هو أكبر من ذلك ؛ كأن يكون فى العقيدة التى هى مفتاح الإسلام وأساس صلاحه بداية ونهاية فنبدأ معه من هنا ونؤخر ماسوى ذلك لعدم صلاحه بدونها .

والانحراف العقدى أنواع عديدة ربما تفوق الحصر ولكن ضابطها كلها هو المنهج الاسلامى الصافى المتمثل فى القرآن والسنة النبوية الصحيحة وسيرة السلف الصالح ؛ ونذكر على سبيل المثال بعض أنواع الإنحراف

(٣٥٢) سوره النساء : آيه رقم ١٠٣

(٣٥٣) يراجع : تفسير القرطبى م٣ حـ٥ صـ٣٧٤ ، وفى ظلال القرآن : سيد قطب م٢ حـ٥ ص٧٤٩

العقدى التى تخرج صاحبها عن الدين الحق ؛ كما يلى :

النوع الأول : هو الإنكار الصريح الواضح لما هو معلوم من الدين ضرورة ألمحنا له سابقا ؛ من انكار وحدانية الله أو وجوده كلية أو جوب الصوم أو حل الربا . سواء أكان الإنكار صراحة أم تلميحا كما سنذكر ذلك فى الإعتقاد القولى المنطوق .

النوع الثانى : هو الاعتقاد المتعلق بالفعل الذى يقوم به الإنسان ويظهره للعيان ؛ وأمثلته كثيرة منها :

السجود لغير الله تعالى ؛ سواء أكان المسجود له صنما أصم أبكم أم بشرا مقدسا مبجلا أم عظيما ذو سطوة أو كبيرا ذو خطوة ؛ والسجود المخرج عن الملة ما كان سجود عبادة ؛ لا سجود تسلط وإكراه ؛ بل ما كان سجود اعتقاد بالنفع أو الضرر من دون الله .

ومن تلك الأنواع الفعلية ربط الصليب وتعليقه فى العنق ؛ كما يفعل النصارى عباد الصليب ؛ ومن المؤسف أن نجد بعض شباب الإسلام يفعلون ذلك تقليدا للنصارى زاعمين وظانين أنها الحضارة انهزاما منهم .(٣٥٤) ومن ذلك لبس أزياء غير المسلمين التى لها دلالة عبادية وعلامة دينية مقدسة عندهم ؛ مثل زى الأحبار والرهبان والقساوسة أو البوذيين فان كل واحد من أصحاب الأديان الباطلة المنسوخة بالاسلام له زى دينى خاص لا يلبسه عامة الناس فمن لبس هذا الزى وتزيابه يعتبر مقلدا لهم فى معتقداتهم . أما ما يلبسه عامة الناس من الأزياء القومية الشعبية فلا تعتبر ضارة فى العقيدة؛ فقد كان الرسول - صلى الله عليه وسلم - تأتيه ملابس من جهات كافرة كثيرة فكان يلبسها ما لم يكن بها شئ محرم لذاته .(٣٥٥)

النوع الثالث : ما كان بالايماء أو التلميح ؛ مثل أن يسخر من بعض الشعائر الإسلامية أو يستهزئ بمن يبرز تلك الشعائر كان يسخر ممن يطلق لحيته أو يؤذن أو يصلى أو امرأه تلبس الزى الاسلامى .

وللأسف فان بعض المسلمين-المتعلمنين المغترين - يفعلون ذلك تقليدا لأعداء الإسلام بل بعضهم يسب الدين ويسب الشعائر الإسلامية.(٣٥٦)

(٣٥٤) مثل من يلبسون السلاسل الذهبيه والفضيه ،أو قرطا فى إحدى الاذنين أويطلقون لشعورهم العنان ، أويلبسون أساور ذهبيه أوفضيه ،وكذا من يربطون شعر رؤسهم كالنساء والبنات .. الخ

(٣٥٥) لقدنهى سيدنا عبد الله بن عمرو عن لبس الثوبين المعصفرين(أى المرسوم عليه شبه العصافير وأمثالها) وقال فى الحليه يخالطها الحرير وهى السيراء (إنما يلبس هذه من لاخلاق له فى الآخره) هذا فى المحرم ،أما فى غيره ، فقد لبس النبى - صلى الله عليه وسلم - مستقه من سندس أهداها إليه ملك الروم ، ثم أرسل بها بعد ذلك هدية إلى النجاشى ، كما لبس جبه روميه ضيقة الكمين انظر : صحيح الترمذى - كتاب اللباس حـ٤ صـ٢١٠ وقال : حسن صحيح ، وأبوداود فى كتاب اللباس : باب من كرمه رقم ٤صـ٤٧ رقم ٤٠٤٧

(٣٥٦) يراجع : هكذا فلندع إلى الإسلام - د. محمد سعيد رمضان البوطى صـ٧٦ نشر مكتبة الفارابى بدمشق " سوريا . (بدون تاريخ ورقم)

تلك جملة عامة من الأمور الأساسية التى يكفر بسببها المرء وما سوى ذلك فليست مجالا لأن يتناطح عليها الدعاة ويتجاذبون الناس بشأنها مبعثرين عليهم معتقداتهم مزعزعين أنفسهم فى أمور فرعية اجتهادية قابلة للرأى ولا بد من أن يختلف عليها أصحاب الفكر

أو هى دون الكبائر التى تخرج صاحبها عن الإسلام ؛ فلا ينبغى أن يعنف فيها الناس ولا يذم فيها الدعاة بعضهم بعضا ولا يكون فيها تغليظ ولا يحدث بسببها تنفير من الدين ربما أدى إلى ارتكاب ما هو أفظع منها .

إن منهج تقديم الأولويات منهج إسلامى راسخ ؛ وهو منهج القرآن الكريم كما قدمنا – ومنهج الرسول صلى الله عليه وسلم فى دعوته مارسه عملا وكرره قولا ووافق عليه تقريرا .

ولكن مع ذلك نجد بعض الدعاة يراعون هذا المنهج فى تقديمهم الدعوة إلى الناس ؛ فيكيلون لهم الصاع دفعة واحدة يريدونهم أن يتخلوا عما ألفوه سنين عديدة درجوا عليه منهجا وسلوكا أمدا من الدهر ، وورثوه كابر عن كابر . . إنه الإدمان والإدمان لا يقتلع دفعة واحدة ؛ بل محاولة اقتلاعه دفعه واحده تسبب ضررا وتلفا قد لا يتدارك .

إن العجلة فى الدعوة لا تصلح ولا تُصلِح ولهذا عندما شكا بعض الصحابة للرسول صلى الله عليه وسلم ما يلا قونه من عذاب وكأنهم تباطؤا النصر عندما قالوا للرسول صلى الله عليه وسلم : إلى متى نحن فى هذا العذاب وسألوه أن يدعو الله لهم ؛ غضب النبى صلى الله عليه وسلم من هذه العجلة وعدم الصبر لعلمه أنها تسبب للمسلمين ارتباكا فى النفس وتدهورا فى عمل الدعوة ؛ لأن العمل الذى ينتج عن العجلة لا يأتى بثمرات

ذات قيمة ؛ إن لم ينعكس مرتدا دون فائدة وهو الذى نزل عليه القرآن منجما حسب الحوادث والمستجدات للناس يأخذهم على مهل .

وهذا هو خباب يحكى لناما حدث عندما سألوا الرسول عن ذلك:(٣٥٧)

(عن خباب بن الأرت قال : شكونا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو متوسد برده فى ظل الكعبة فقلنا : ألا تنتصر لنا ؟ فقال : قد كان من قبلكم يؤخذ الرجل فيحفر له فى الأرض فيجعل فيها ؛ فيجاء بالمنشار فيوضع على رأسه فيجعل نصفين ؛ ويمشط بأمشاط الحديد من دون لحمه وعظمه ؛ فما يصده ذلك عن دينه !! والله ليتمن هذا الأمر حتى يسير الراكب من صنعاء إلى حضرموت لا يخاف إلا الله والذئب على غنمه ؛ ولكنكم تستعجلون) .

وقد يصادق الداعية شخصا أوأشخاصا منغمسين فى المعاصى وهم بطبيعة الحال ليسوا من عالمه الذى يرتاده ويعتاده ؛ فهؤلاء يحتاج معهم إلى نوع خاص من التألف والتقرب حتى ينكسر الحاجز الذى بينه وبينهم وتزول الوحشة وتسود الألفة وهذا أول درجات منهج تقديم الدعوة لمثل هؤلاء . . فعليه إن لقيهم أن يبدأ هم بالتحية حتى ولو لم يردوها عليه وإن وقفوا أولقيهم بطريق ما أن يصافحهم وهو هاش باش مبتسم وليحذر العبوس أمامهم أو السخرية منهم واضطهادهم أو الإعراض عنهم كأن يقول لهم : أنتم لستم من أهل الشروإن فيكم خيرا وفيكم فطرة سليمة وليصغى

(٣٥٧) فتح البارى بشرح صحيح البخارى -للإمام ابن حجر العسقلانى - كتاب الإكراه باب رقم (١) من اختار الضرب والقتل والهوان على الكفر حـ١٢ صـ٣١٥

لحديثهم إن حدثوه بإبراز الإحترام لهم .(٣٥٨)

ولقد كان الرسول صلى الله عليه وسلم يحقق تلك المفاهيم فى دعوته ويحث الدعاة عليها ؛ ولنسق جملة من تلك التوجيهات النبوية :

قال صلى الله عليه وسلم (وتبسمك فى وجه أخيك صدقة)(٣٥٩)

كما يلزم الداعية أن لا يغلظ القول للمدعوين وأن يقول لهم قولا حسنا لينا ؛ ولقد جعل القرآن القول اللين الطيب أفضل من الصدقة التى يعطيها صاحبها وهو عابس :

(قول معروف ومغفرة خير من صدقة يتبعها أذى والله غنى حليم)(٣٦٠)

ولقد سار الرسول صلى الله عليه وسلم على هدى القرآن فى ذلك ونحن معشر الدعاة مطالبون بالاقتداء به والأخذ بسنته .

(لاتحقرن من المعروف شيئا وأن تكلم أخاك وأنت منبسط إليه وجهك إن ذلك من المعروف ..) (٣٦١)

والناظر إلى القرآن يجده يجعل الكلام الطيب إلى الناس نوعا من أنواع الهداية والتوفيق الذى يتمناه كل مسلم :

(وهدوا إلى الطيب من القول وهدوا إلى صراط الحميد) (٣٦٢).

والمسلم لايكره أخاه المسلم لمجرد أنه عاص ولكن يكره منه عصيانه

---

(٣٥٨) يراجع : المنهج العلمى للدعوة - د. محمد زين الهادى صـ ٢٤ .

(٣٥٩) أخرجه الترمذى فى صحيحه - كتاب أبواب الرو الصدقه - باب رقم (٣٦) جـ٣ ص٢٩ .

(٣٦٠) سورة البقرة : آية رقم ٢٦٣ .

(٣٦١) أخرجه أبو داود - كتاب اللباس - باب رقم ٣٤ ماجاء فى اسبال الإزار .

(٣٦٢) سورة الحج : آية رقم ٢٤ .

لله تعالى ويكره له أن يورده الموارد فيهلك ولهذا فهو لايبادره ولايباشره بذلك الكره أمامه بحيث ينفر منه ولايقبل دعوته بل يكنى ويورى .

ولقد كان الرسول صلى الله عليه وسلم يبغض الكافرين والمنافقين لكفرهم ونفاقهم ، ولكنه لايظهر لهم ذلك بصورة تجعلهم يشمئزون منه ويفرون عنه ، فكان يزورهم ويصلهم ، بل ويجلس معهم ويجلسهم معه ، يتألفهم بذلك ويحببهم فى الدعوة ويدعو لهم بالهداية حتى هدى الله كثيرا منهم .

انظر إلى هذا الحديث الذى ترويه عنه أم المؤمنين عائشة رضى الله عنها :(عن عروة بن الزبير أن عائشة أخبرته أنه استأذن على النبى صلى الله عليه وسلم رجل فقال : ائذنوا له فبئس ابن العشيرة أو بئس أخو العشيرة ، فلما دخل ألان له الكلام فقلت له : يارسول الله ، قلت ماقلت ، ثم ألنت له الكلام ؟ فقال : أى عائشة : إن شر الناس منزلة عند الله من تركه أوودعه الناس اتقاء فحشه) .(٣٦٣)

وقد أخذ أصحابه هذا الاسلوب ونهجوا نهجه ، فهذا أبو الدرداء يقول:(إنا لنكشر – نبتسم – فى وجوه أقوام وإن قلوبنا لتلعنهم) (٣٦٤)

وعلى الداعية أن يجلس مع هؤلاء وهو قوى الإيمان قوى الشخصية معتز بدينه مظهر لشعائر الإسلام أمامهم ، فيكون لهم نعم الجليس الصالح الذى يقتدى به ويحتذى حذوه ، ولايتعزلهم مكانيا وإن اعتزلهم شعوريا ، وليصبر علي فعلهم . وقولهم المؤذى، لقول الرسول صلى الله عليه وسلم:(المؤمن الذى يخالط الناس ويصبر على أذاهم خيرمن الذى لايخالط

---

(٣٦٣) فتح البارى بشرح صحيح البخارى – ابن حجر – كتاب الأدب – باب المداراه مع الناس رقم (٨٢) جـ ١٠ ص ٥٢٨ .

(٣٦٤) المرجع السابق : نفس الكتاب – نفس الباب – جـ ١٠ ص ٥٢٧ .

الناس ولايصبر علي أذاهم) (٣٦٥)

فليس بسليم ذلك الرأى القائل باجتناب مثل هؤلاء ، فان النبى صلى الله عليه وسلم ماكان يتجنب أحدا قط ، بل كانت دعوته شاملة لكل الناس برهم وفاجرهم ، صحيح أنه يتخير معه للدعوة الصالحين ليكونوا قدوة لغيرهم أماعموم من تقدم اليهم الدعوة فهم سواد الناس وخاصتهم على السواء ..

ولانقول لمن يدعو الناس تجنب تلك الفئة إلا اذا كان ضعيف الشخصية هزيل الايمان يخشى عليه من أن ينحرف معهم ، عندئذ نقول له : أنت لاتصلح للدعوة أصلا مادمت لاتستطيع أن تقى نفسك من تأثير السيئين فيلزمك أن تلتفت إلى نفسك أولا فترعها وتروضها ثم تتجه لخارجها .

وكما ذكرت ، فليكن لهم الجليس الصالح الذى يفيدهم ويتأثرون به ، دون أن يسحبوه إليهم ، وأن يعرض لهم الدعوة بطريق غيرمباشر ، فى شكل نكات وكلمات تخرج عفوية لايكترث هو إليها ، فانها تصل إليهم وتدخل فى بؤرة الاشعور عند مثير مشابه ، فتعمل عملها عنئذ .

ولايتعمد الوعظ والتقاط الأخطاء وليتجنب الرد المباشر كما يتجنب الضحك عند الخطأ لأنه يحرج الشخص ويجعله ينطوى على نفسه ويحصل له رد فعل عكسى لماهو مطلوب ، فاذا حان وقت الصلاة حفزهم لذلك ، ثم يقوم هو يصل ولايغلظ عليهم إن تثاقلوا وإنما يكرر ذلك أمامهم مرارا حتى يستحيوا منه بكثرة فعل ذلك أمامهم ، وهم مضطرون لانتظاره لما كان

---

(٢٦٥) سن ابن ماجه - كتاب الفتن - باب رقم (٢٣) ، والترمذى فى كتاب القيامه باب رقم (٥٥) واحمد فى المسند حـ٢ صـ٤٣)

يعمله معهم ، أما وعظهم وتوبيخهم بصورة تستفز مشاعرهم فلا يجدى هذا الأسلوب بل يجلب الصدودوالنفور ، فان تكرار الفعل يحمل على محاكاته وتقليده من الحيوان الأعجم فضلا عن الإنسان العاقل ذى البصيرة .

وقد يعترض معترض بقوله : كيف تجلس مع قوم لايؤدون الشعائر ولاتعظهم وتكلمهم وكيف تسكت عن قول الحق ، والساكت عن الحق شيطان أخرس ؟

نقول : لم أقل إنه يلزمه أن يسكت ،بل قلت يكلمهم ويقول لهم : قوموا نفعل كذا وكذا .. ولكن لايعنف ولايكرر الوعظ حتى لايملوا لأن القلوب ولاسيما مثل هؤلاء تمل مثل هذا الوعظ الرتيب المتكرر ، بل لايدخل الوازع فيهم، ثم لانقول إنه يجلس معهم الى مالانهاية له ، بل يؤقت ذلك بوقت محدد ، وبزمن ينتهى عنده ، ثم يتركهم بعد ذلك إذا لم يستجيبوا على أن يعاود عليهم الكرة مرة أخرى .

وليعلم الدعاة أن نوحا عليه السلام مكث يدعو قومه ألف سنة إلا خمسين عاما ، ثم لم يتركهم ولم يدع عليهم إلا بعد أن أعلمه الله بأنه لن يؤمن منهم إلامن قد آمن .

(وأوحى إلى نوح أنه لن يؤمن من قومك إلا من قد آمن فلا تبتئس بما كانوا يفعلون [٣٦٦]) أما الداعية فليس له ذلك ، فلا يقول : أتركهم نهائيا لليأس منهم ، لأنه لايُوحَى إليه ولايعلم الغيب ، بل عليه العود والتكرار الفينة بعد الفينة . ويفضل لمن هو على هذه الشاكلة أن لايُكلِّم فى الملأ من الناس بما ينكره ولايظهره أمامهم الا اذا كان يجاهر بذلك ، ماخلا

---

(٣٦٦) سورة هود : آيه رقم ٣٦

ذلك فالأفضل أن ينفرد به الداعية ثم يضرب له الأمثال المقربة لما هو عليه لأن سوق المثل أوقع فى النفس وأقرب لعدم اللجاجة والمكابرة ،فتمثل له بأن شخصا كان يعمل المعاصى وأدمنها ،زمنا طويلا حتى ظن أنه هالك وأن الله لن يغفر له ، فتاب إلى الله ، فتاب الله عليه ، ثم تحدثه بسعة رحمة الله ومغفرته وحلمه ، وتسوق له الآيات الدالة على ذلك مثل قوله تعالى (قل ياعبادى الذين أسرفوا على أنفسهم لاتقنطوا من رحمة الله إن الله يغفر الذنوب جميعا إنه هو الغفور الرحيم) [٣٦٧] .

(وإنى لغفار لمن تاب وآمن وعمل صالحا ثم اهتدى) [٣٦٨]

ومن الأمثلة التى تساق له حديث [٣٦٩]الشخص الذى قتل تسعة وتسعين نفسا فسأل راهبا هل له من توبة ؟ فزعم الراهب أنه ليس له من توبة ،فقتله فكمل به المائة . ثم سأل عالما عن التوبة بعد قتله المائة فقال له: ومن يحول بينك وبين التوبة ؟ فأمره أن يخرج من أرض المعاصى - يهاجر - ويعبد الله فى غيرها ، فتاب ، فتاب الله عليه .

وسبب القنوط هو الاعتقاد - لسبب من الأسباب - أن الله لايغفر له إما لكونه إذا تاب لايقبل الله توبته ويغفر ذنوبه ، وإما بأن يقول :إن نفسه لاتطاوعه على التوبة بل هو مغلوب معها وليس بغالب لها ، فهو ضعيف الارادة قوى الشهوة رقيق الايمان [٣٧٠]

والداعية لايجامل العصاة ويجاريهم الا للحق وليس عليه ، فاذا كان

(٣٦٧) سورة الزمر : آيه رمق ٥٣ .

(٣٦٨) سورة طه : آيه رقم ٨٢

(٣٦٩) أخرجه مسلم فى صحيه - كتاب التوبه - باب رقم ٤٦ ، وأحمد فى المسند م ٣ صـ٧٢

(٣٧٠) يراجع للمزيد : احكام عصاة المؤمنين - للامام أحمد بن تيميه الحرانى -صـ٢٣- دار الكلمة الطيبه ط (١) سنه ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م .

فى مجاراته ومداراته إبطال للحق وطى له، وظهور للباطل ونشر له، فلابد من قول الحق والجهر به حتى لايظهر الباطل ويختفى الحق، وحتى لايتهم الداعية بأنه يداهن الحق ولايقوله ، كما أنه إن كان ممن يتأثر بذلك سلبا فلابد أيضا من المجاهرة له بالحق أمامه وأمام الملأ .

والخلاصة أن المجاملة تكون لمصلحة الدعوة لالمصلحة الناس الذاتية ، وعموما التشهير بالناس والتشنيع عليهم ليس من حكمة الدعوة فى شئ . ولقد أخطأ بعض الدعاة المنهج السليم فى إثارتهم حفيظة الناس وحميتهم ، وذلك باطلاق كلمة (الكفر والشرك) على من صدرت منهم مخالفات شرعية ، سواء نتيجة جهل أوطيش عرضى زائل ، فبدلا من أن يهدهم زادهم بذلك صداً وعنادا ، ثم جلبوا على أنفسهم نفس ماأطلقوه على خصومهم ، فكفروهم هم أيضا وكانت النتيجة شق الصف الإسلامى بدلا من جمع الشمل، وهذا ليس من منهج الرسول صلى الله عليه وسلم فى الدعوة بحال من الأحوال ، كما أنه منهج خاسر بكل الموازين ولعل السبب فى ذلك هو ضعفه فى فقه الدعوة وزهادة حصيلته العلمية .

وكان ينفع فى كثير من الحالات أن يظهر الداعية أمامه فعلا يخالف فعل المدعو الذى ينكره عليه (٣٧١) . والمدعوهنا بين عدة خيارات فهو إما أن يستحى ويسكت لما عرف من فعل الداعية أنه على خطأ ، ثم يبدأ فيتحول ، سواء أكان التحول تدريجيا أم دفعة واحدة حسب قوة شخصيته ، أو أن يسأل الداعية هل كنت على خطأ عندما فعلت كذا أو قلت كذا ؟ وهنا تكون الفرصة مواتية للداعية ليرشده إلى الطريق السليم والمنهج القويم ومن

---

(٣٧١) هكذا نلندع إلى الإسلام - د. البوطى - صـ٨٠

هنا يبدأ معه المرحلة التعليمية الإرشادية .

وبهذا يكون قد هيأ له المناخ الملائم لتقبل الدعوة والإقبال عليها وهو راغب ومقتنع ، أما سبه وشتمه وتضليله وجعله مشركا شركا أكبر .

فلا يدفعه هذا إلى الإقبال على فكر الداعية ، بل تأخذه الحمية بعيدا متطرفا جانحا إلى كلام يخالف مايدعو إليه الداعية ولو كان حقا صريحا أبلج ، بسبب رد الفعل المعاكس فى النفس (٣٧٢)

وليعلم الداعية أنه ليس بقاض يحاكم الناس ويصدر فى حقهم سكوك الكفر والإيمان ، وليس هو حاخاما ولاقسيسا ليصدر صكوك الغفران .

وقرارات الحرمان على عباد الله ، وإنما هو داع إلى الله يبلغ كلام الله وكلام رسوله صلى الله عليه وسلم إلى الناس ويقول عقب ذلك : اللهم اشهد فقد بلغت، وليس عليه سوق الناس من أنوفهم إلى الإيمان بالحق ، ولكن عليه البلاغ والتعريف بماهو حق وما هو باطل ، وأمر الهداية متروك لرب الخلق وأمر الحكم والقضاء متروك للقضاة ،وليسعه قول الله لرسوله صلى الله عليه وسلم :

(ليس عليك هداهم ولكن الله يهدى من يشاء) (٣٧٣)

(أفأنت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين) (٣٧٤)

وليعلم الدعاة جميعا أنه ليس من مهامهم الدعوية السيطرة علي

وهوأن تمتنع عن فعل معن ترى أنه خطأ فى حالة ، عمل غيرك له لتدل على عدم موافقتك عليه وقد فعله النبى - صلى الله عليه وسلم - مثل : امتناعه عن أكل الضب ، وامتناعه عن فرق شعره عندما علم أن المشركن يفعلون ذلك ...وغيره

(٣٧٣) البقره : آيه ٢٧٢

(٣٧٤) يونس :آيه رقم ٩٩

قلوب الخلق و امتلاك نواصيهم ، وانما هم مذكرون بالله وعقابه، مرشدون الى رضوانه . (فذكر إنما أنت مذكر . لست عليهم بمسطير) (٣٧٥)

صحيح على الداعية أن لايتقاعس عن الحق ولايتراخي عنه قولا وعملا ، يقوم به كاملا ظاهرا للعيان فى خاصة نفسه وفى أهله وعائلته خاصة زوجته وأولاده ومن له الولاية عليهم لكي يكونوا قدوة لغيرهم وأسرة يتأسون بهم ويشدون من أوزرهم ، فان الحق يحتاج الى المؤازرة والمعاونة ، وله - كما أسلفنا - أن يدعو الناس له ليحثهم عليه ويبينه لهم بحججه وبراهينه القوية الدامغة التى تزيل كل غبش وران .

وليعلم أن ليس كل الناس سواء فى قبول الحق والإذعان إليه ، فمنهم من تأخذه العزة بالإثم ، ومنهم من يستحى أن يترك ماكان عليه دفعة واحدة ويحتاج إلى وقت ، ومنهم المرتاب الشكاك الذى يحتاج لتكرار الدعوة والبيان ليزول ارتيابه ، حتى يهتدى لصوابه ، ومنهم من يبادر متى ما ظهر له الحق ثم ينهض به ، كما فعل أبو بكر الصديق رضي الله عنه عندما دعاه النبى صلى الله عليه وسلم فبادر وأجاب من غير تردد ، ولعل للثقة فى شخص الداعية أثرعلى استجابة المدعو ، فكلما كان الداعية ثقة عند الناس كانت استجابتهم أسرع والعكس صحيح .

يقول الرسول صلى الله عليه وسلم عن أبى بكر فى سرعة استجابته للدعوة (مادعوت احدا إلى الإسلام الاكانت فيه عنده كبوة ونظر وتردد إلاماكان من أبى بكر بن قحافة ماعكم عنه حين ذكرته له وما تردد فيه)(٣٧٦).

(٣٧٥) سورة الغاشيه : آيه رقم ٢١، ٢٢

(٣٧٦) يراجع : السيره النبويه : لأبى محمد عبد الملك بن هشام المعافرى م١ حـ١ صـ٢٣٢

وعلي الداعية دراسة نفسيات المدعوين وسلوكياتهم وأوضاعهم الاجتماعية ومواقعهم بين الناس ، ونظر الآخرين إليهم ونظرهم الى الاخرين ذلك ليعطى كل إنسان حقه ، وبعد لكل الاسلوب والمنهج الذى يناسبه فى الدعوة وليستعمل معه الوسيلة التى تجذبه لما دعاه إليه . فان كان المدعو صاحب مكانة مرموقة بين الناس ينبغى أن يعيطه حظه منها وينزله مكانته

وأن يعمله أنه لم يدعه لشئ يحط من قدره بل يرفعه عاليا ساميا ، كما فعل الرسول صلى الله عليه وسلم مع أبى سفيان فى فتح مكة عندما جاء ه أحد الصحابة فقال يارسول الله : إن أبا سفيان رجل يحب الفخر فاجعل له شيئا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

(من دخل دار أبى سفيان فهو آمن ومن دخل المسجد فهو آمن ومن أغلق عليه داره فهو آمن ..) (٣٧٧)

كما أن صاحب المكانة إذا أخطأخطأ ليس به ذم للدين ينبغى أن لايعنف عليه ، بل يسامح ويومئ له بذلك إيماء بعيدا أو يفعل الداعية فعلا يخالف فعله أو قولا يخالف قوله ، يريد بذلك أنه أخطأ ، كما لاينبغي أن يذكره بالخطأ فى الملأ من الناس لمكانته بينهم .

فقد قال صلى الله عليه وسلم فى ذلك (اقيلوا ذوى الهيئات عثراتهم إلاالحدود) (٣٧٨) .

فلا ينبغى أن يأتى الداعية إلى الناس ذوى المكانة والهية بين قومهم

---

(٣٧٧) صحيح مسلم : كتاب الجهاد - باب فتح مكه - رقم ٨٦، وشرح النووى على صحيح مسلم م٥ ج١٣ صـ١٧١

(٣٧٨) أخرجه ابو داود فى كتاب الحدود - باب درء الشبهات ، وأحمد فى المسند م٦ صـ١٨١

ويقول لهم : أنتم جاهلون أو جاهليون أو لاتفقهون شيئا .. أو انكم طواغيت ، أو أنتم مشركون خارجون عن الإسلام . فانه إن فعل ذلك فقد سد باب الدعوة بينه وبين المدعوين من قومه ، وجعل بينه وبين الجميع برزخا لاتتعداده دعوته إليهم .

وانه لمن المؤسف أن نجد بعض الدعاة ينهجون هذا المنهج ويسلكون ذلك السبيل غير الماهد ، ظانين أنهم يصدعون بالحق ويجهرون ويجأرون به والجهر بالحق صحيح ولكنه يحتاج إلى إناء يقدم فيه مايناسبه يجذب الناس ولايصدهم ، يألفهم ولاينفرهم ، إن الصيد لانى يغلف الدواء المرفى غلاف عازل للمرارة ، كيلا يعافه المريض ، والمدعو عنده نوع من المرض وان لم يحس به .

صحيح أن الحق فى ذاته - لمن يعرفه - ليس بمر ، ولكنه علقم لمن لايعرفه ، فانه لو ذاق حلاوته لما تخلف عنه ، فعلى الداعية أن يوصله لهذه حتى يتذوقها .

ولم يكن الرسول صلى الله عليه وسلم يغلظ للناس فى القول ولايرهقهم فى العمل بل كان ينهى أصحابه وأهله أن يفعلوا شيئا من ذلك لعلمه أن قلوب البشر لاتستمال إلا بما هو أقرب إليها ، ولاشئ أقرب الى القلب من الرفق والكلمة الطيبة ، بل كان صلى الله عليه وسلم رفيقا فى دعوته حتى مع أشد أعداء الدعوة اليهود ، والمنافقين الذين ينخرون فى الإسلام نخر السوس فى العود ، يبن ذلك نهيه لعائشة عندما سبت اليهود فى الحديث التالى : (٣٧٩) (عن عائشة رضي الله عنها أن اليهود أتوا

(٣٧٩) الحديث اخرجه البخارى ومسلم ، وأبوداود ، وابن ماجه ، وأحمد فى م٦ ص٢٢٩ - وقد سبق تخريجه

النبى صلى الله عليه وسلم فقالوا : السلام عليكم . فقال عائشة : عليكم ، ولعنكم الله وغضب الله عليكم ، قال مهلا ياعائشة ، عليك بالرفق ، وإياك والعنف والفحش ، قالت أو لم تسمع ماقالوا ؟

قال : أو لم تسمعى ماقلت ؟ رددت عليهم ، فيستجاب لى فيهم ، ولايستجاب لهم فى).

وفى ختام هذا المبحث حول تقديم أولويات الدعوة نذكر ماقاله أحد العلماء : (٣٨٠) (ينبغى مراعاة التدرج فى الأولويات وفى تنفيذها فى كافة المجالات فلا تتوقع من إنسان عادى مثلا أن يلتزم بالإسلام قبل أن تبين له محاسنه ويتأكد من جدوى هذا الالتزام فى دنياه وأخرته ، واذا حصلت القناعة بجدوي الالتزام فلا تتوقع منه أن يقوم الليل ويصوم الدهر فى بداية التزامه بل لابد من التدرج والاكتفاء بالفروض فى البداية ثم تتلوها السنن الراتبة ثم النوافل ، ثم التدرج فى أمور التربية والسلوك وهكذا) .

---

(٣٨٠) جريده المسلمون – العدد (٣٤٢) فى ١٣ صفر ١٤١٢هـ – ١٩٩١/٨/٢٣ م من بحث للدكتور : مانع حماد الجهنى – آمين عام الندوه العالميه لشباب الإسلام

تقديم الدعوة بحسب الأماكن

أولا : أهمية التعرف على المكان والمدعو فى تقديم الدعوة :

إن للمكان أثر بالغ الأهمية فى تقديم الدعوة وذلك لما للمكان وخصوصيته من أثر على العاملين فيه ؛ كما أنه يطبع بصماته على نوعية مرتاديه ؛ ويدل على تكوينهم العقلى والفكرى ؛ كما يدل على مدى تدينهم؛ وإن كانت الدلالة هنا لا غير قاطعة، خاصة فى بعض الأماكن التى لا يتضح فيها الفرق جليا بين المتدين وغيره ، غير أن بعض الأماكن لها علاقة كبيرة بصلة مرتاديها بالدين وعدمه .(٣٨١)

ولخصوصية المكان قلنا بتخصيص طرائق ووسائل وأساليب خاصة لكل مكان بحسب ذلك حتى تؤتى الدعوة أكلها .

ولقد كان النبى صلى الله عليه وسلم يتتبع الأماكن التى تجمع الناس فيعرض عليهم الدعوة ويخاطب أهل كل مكان بحسب ما يناسبهم من أسلوب . بل ويتخير لهم المكان الملائم .

فقد اختار لأصحاب البيعة من أهل المدينة مكانا يناسب سرية الدعوة والحفاظ عليهم وعلى الداعية على حد سواء ، اختار لهم العقبة ليجتمع بهم هناك ، فأتوا خلسة متسللين تسلل القطا ، مستخفين حتى اجتمعنا فى الشعب عند العقبة ، ونحن ثلاثة وسبعون رجلا وامرأتان من نسائنا .... الخ (٣٨٢)

وكان الرسول صلى الله عليه وسلم فى عرضه الدعوة يسأل الناس

---

(٣٨١) يراجع : فن نشر الدعوة مكاناوزمانا - د. محمد زين الهاديى صـ٢١

(٣٨٢) يراجع : السيرة النبوية لابن هشام - م ١ حـ٢ صـ٣٩ تحقيق د. محمد فهمى السرحانى دار التوفيقية للطباعه بالقاهره.

سواء أكان المسئول فردا أم جماعة عن بلده ، ومكانه بل وقبيلته حتى يأخذ لكل ذلك ما يتلائم معه من وسائل وأساليب ، وهذا ما فعله مع وفد الأنصار آنف الذكر ،

قال ابن هشام : قال ابن إسحاق [٣٨٣] (خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الموسم الذى لقيه فيه النفر من الأنصار ، فقال لهم : من أنتم؟ قالوا : نفر من الخزرج : قال : أمن موالى يهودا ؟

قالوا : نعم . قال : أفلا تجلسون أكلمكم ؟ قالوا : بلى . فجلس معهم فدعاهم الى الله عز وجل ، وعرض عليهم الإسلام ، وتلا عليهم القرآن) .

ومما نلاحظه على دعوة الرسول صلى الله عليه وسلم لهم أنه تعرف عليهم تعرفا كاملا ، حتى الذين يوالونهم ويعاهدونهم ليعرف هويتهم السياسية ووجهتهم الدينية ، بعد أن عرف المكان الذى أتوا منه ، وهذا التعرف الكامل على المدعو هو من ضرورات الدعوة ومن أساليبها الهامة التى لاينبغى أن يغفلها الداعية .

كما أنه إذا كان الداعية يعرف هوية المدعو ، عليه أن يبدأ بعد ذلك بالخطوة التالية وهى : تعريف المدعو بنفسه وبدعوته تعريفا كاملا ، ليرغبه فيما يدعوه إليه ، كأن يقول له : أنا فلان أعمل بكذا وجئت لكذا وأود أن نتعاون فى أمر كذا أو هل لك أن تدخل معى فى كذا أو معنا فى كذا ..

وهذا ماكان يفعله الرسول صلى الله عليه وسلم . نذكر من ذلك دليلا على قولنا .

---

(٣٨٣) المرجع السابق م١ حـ٢ صـ٢٩ إسلام الأنصار

قال ابن هشام : قال ابن إسحاق [٣٨٤] لما قدم أبو الحيسر - أنس بن رافع - مكة ومعه فتية من بنى الأشهل ، فيهم اياس بن معاذ ، يلتمسون الحلف من قريش على قومهم من الخزرج ، سمع بهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأتاهم فجلس إليهم ، فقال لهم : هل لكم فى مما جئتم له ؟ فقالوا له : وما ذاك ؟

قال:أنا رسول الله، بعثنى إلى العباد ،ادعوهم إلى أن يعودا إلى الله ولا يشركوا به شيئا ،وأنزل علىّ الكتاب.ثم ذكر لهم الإسلام وتلا عليهم القرآن. فهنا نرى الرسول- صلى الله عليه وسلم -لم يسألهم كما سأل غيرهم لعلمه بذلك . فانتقل إلى الشق الآخر ، وهو تعريف الداعية نفسه ودعوته لهم ، ثم عرض الأدلة على ذلك .

وربما يصادف الداعية شخصا أو أشخاصا معهم بعض الأفكار أو المعتقدات يودون عرضها لغيرهم ويدعون إليها ، فيحتاج الأمر إلى المحاجة والمقابلة والمفاضلة بين ماعنده وبين ما عند الداعية وهنا تبرز أهمية الأسلوب وقال : إن هذا لقول حسن . [٣٨٥]

هكذا استعمل معه الداعية الأول أسلوب الحجة والإقناع الهادئ ثم إنه لم يقل له ماعندك شئ ، أو أن الذى عندك لا يصلح ، وذلك لأن الذى كان عنده فى المجلة هو الحكمة التى آتاها الله لقمان، فهى أمر حسن فعلا، ولكن ذكر له أن الذى آتاه الله للنبى الخاتم أفضل مما آتاه للقمان الحكيم.

ولهذا نقول : إن سب وشتم وتسفيه ما عند الآخرين جملة ليس بالمنهج السديد ، وليس من أساليب الدعوة حتى ولو كان هو كذلك ، لأن كل إنسان

(٣٨٤) المرجع السابق م١ حـ٢ صـ٢٨ (إسلام إياس بن معاذ وقص أبي الحيسر)

(٣٨٥) المرجع السابق : م١ حـ٢ صـ ٢٧، ٢٨

إذا سببت ما يعتقده قبل أن تعطيه البديل المقنع فانه سوف ينفر ويعرض وينأى بجانبه وتكون - أيها الداعية -

قد أقمت بينك وبينه حجرا محجورا ، بل يقال له : هذا حسن - إن كان كذلك - ولكن تعالى انظر ماعندى فانك ستجده أفضل ، أو تقول له : هذا يمكن أن يتحسن - إن كان شيئا ذا بال - إذا انضم إليه غيره ، فتعال انظر ماعندى لتصل إلى الأفضل ونتعاون معا عملا وبحثا حتى نصل للحق واليقين .

ولقد كان النبى صلى الله عليه وسلم يتخير الأماكن ، كما يتخير الأشخاص المدعوين ، لأنه المكان الطيب ينبت الطيبين ، والمكان - البيئة - الخبيث يلد الخبيثين :

(والبلد الطيب يخرج نباته بإذن ربه والذى خبث لايخرج إلا نكدا كذلك نصرف الآيات لقوم يشكرون). (٣٨٦)

ولهذا فقد كان الرسول صلى الله وعليه وسلم ما يسمع بشخص أو أشخاص لهم فكر وشرف إلا تصدى له أو لهم ودعاه إلى الله وبين له الحق الذى جاء ه من الله وعرض عليه ما عنده . (٣٨٧)

وكذلك كان الداعية الأول الذى بعثه الرسول صلى الله عليه وسلم إلى المدينة مصعب بن عمير ، كان يتخير الأماكن التى يبث فيها الدعوة وينادى فيها بكلمة الحق ، بل استعان بمن يعرف تلك المواضع ويخبر أهلها ويعرف أحوالهم وسلوكياتهم ، استعان بأسعد بن زرارة . (٣٨٨)

(٣٨٦) سورة الأعراف : آيه رقم ٥٨

(٣٨٧) المرجع السابق م١ حـ٢ صـ٢٦(عرض الرسول - صلى الله عليه وسلم - نفسه على العرب فى المواسم .

(٣٨٨) المرجع السابق م١ حـ٢ صـ٣٣

ليدله علي تلك الأماكن ويعرفه بروادها وبأفكارهم وعقائدهم ومدى تقبلهم للدعوة وعدمه ، وما أفضل الأساليب التى تساق لهم وما أحسن الوسائل التى تقدم لجذبهم للدعوة ، وماذا يحبون وماذا يكرهون . ومن هم الذين يمكنه أن يبدأ بهم ؟ حتى يكونون عونا له فى الدعوة فكان أن دله على بنى عبد الأشهل ، حيث كان لهم ناد يجتمعون فيه فى حائط لهم أقاموا فيه دار للمنتدى ، كما ذهب به الى دار بنى ظفر ... وغيرها من الأماكن التى توقعا أن تساند الدعوة ، فكان أن أسلم على إثر حوارات متعددة بين مصعب بن عمير وأسعد ابن زرارة من جانب ، وبين أصحاب تلك الأماكن من جانب آخر ، نتج عنه إسلام قادة الرأى في يثرب، فأسلم بعد حوار طويل نوعا ما أسيد بن حضير ثم أسلم سعد بن معاذ ثم توالى إسلام القوم تبعا لذلك حتى تكون مجتمع ناصر الدعوة ، وأقام دولة الاسلام التى نستظل بفيئها إلى يوم القيامة إن شاء الله .

وإذا كان الرسول صلى الله عليه وسلم كان يذهب داعيا إلى أماكن تجمع القبائل وإلى دورهم ومواردهم وأسواقهم ، فإننا نجد فى عصرنا الذى نعيشه أماكن عديدة يمكن للدعاة أن يرتادها قاصدين الدعوة إلى الله بين زوار تلك الأماكن .

وهذه الأماكن منها ماهو مستديم وثابت ومنها ماهو موسمي ومؤقت كما أنه لكل مكان يلزم الداعية أن يعرف من يرتاده أولا وقبل الذهاب اليه ليأخذ له مايناسبه .

أماكن الاحتفالات

أولا : الاحتفالات الاجتماعية :

والاحتفالات أنواع منها احتفالات العرس وهذه تتميز بنوع خاص من أنواع الطرب واللهو ، المجلوب من الغرب والذى ابتليت به غالية المجتمعات الإسلامية العربية منها والأعجمية فتقام الإحتفالات مصحوبة بالأغانى الماجنة المزداة بواسطة الموسيقى الغربية الصاخبة كما يكثر الرقص المختلط الذى يخاصر فيه الرجل المراة.

وكل تلك الأمور المذكورة لايقرها الشرع بصورتها المذكورة. تحتاج من الدعاة أن يستعملوا حكمة الدعوة لإزالة هذا النوع من الإحتفال، ونذكر بعض الخطوات العملية منها:

(١) أن يعمد الدعاة أنفسهم لاقامة هذا النوع من الأحتفال بصورة أخرى تغير النمط المألوف، لها، على أن يتدرجوا فى ذلك ولا يطفروا فيه طفرات بعيدة لا يستطيعها المسلم العادى، وتكون صعبة التنفيذ عليه مما يجعلها مثالية لا تجارى.

فمثلا يمكن أن تلحن قصائد وأناشيد تحث على الزواج وتدفع الشباب وترغبهم فيه، وتدعو إلى نبذ المغالاة فى المهور والبذخ والإسراف ولا بأس أن تكون مصحوبة بالضرب على الدف، وتؤدى عن طريق منشدين من ذوى الأصوات الجميلة الجذابة، وأن النساء يكن بمعزل عن الرجال، فهذه الطريقة بالإضافة إلى أنها شرعية فانها متدرجة بالناس ولم تبعدهم عن الطرب الذى ألفوه، فان الناس لا يقبلون أن تقوم زيجاتهم بدون ذلك ويعتبرون الزواج الذى يتم بدون طرب أشبه بالمأتم، لان ذلك- وان كان يخالف الشرع - فقد أصبح عادة وتقليدا اجتماعيا يصعب خلخلته بدون بديل يقاربه فى تشنيف

الآذان وتسرية القلب وتسلية النفس ،ويخالفه فى المحرمة والنكارة.

(٢) أن هناك مباحات من الغناء والرقص تصلح هنا كبدائل من ذلك رقص الحبشة ولعبهم بالحراب والدروع والسيوف.. فى مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم وتشجيع النبى صلى الله عليه وسلم لهم بقوله دونكم بنى أرفده..(٣٨٩)

وكان يسمح لمن تريد من النساء أن تنظر، بل ولو كانت من نسائه كما ذكرت ذلك السيدة عائشة حين قالت(لقد رأيت النبى صلى الله عليه وسلم يسترنى بردائه وأنا أنظر إلى الحبشة يلعبون فى المسجد حتى أكون أنا التى أسأمه)(٣٩٠)

وقد كان النبي صلى الله عليه وسلم يقر الغناء الذي ليس فيه تهييج إلى العواطف بل يحث عليه فى مثل هذه المناسبات كما قال للسيدة عائشة عندما زفت أمرأة من الأنصار(هلا كان معكم لهوٌ إن الأنصار قوم يحبون اللهو) (٣٩١)

وفى رواية عن ابن عباس:زوجت عائشة ذات قرابة لها من الأنصار فجاء رسول الله صلي الله عليه وسلم، فقال(أهديتم الفتاة؟ قالوا: نعم، قال: أرسلتم معها من يغنى؟ قالت: لا فقال رسول الله صلي الله عليه وسلم:إن الانصار قوم فيهم غزل، فلو بعثتم معها من يقول: أتيناكم أتيناكم، فحيانا وحياكم...)(٣٩٢).

(٣٨٩) فتح البارى بشرح صحيح البخارى-كتاب النكاح-باب رقم ١١، ومسلم فى العدين برقم ١٧

(٣٩٠) صحيح مسلم - كتاب العيدين - حديث رقم ١٨

(٣٩١) سن ابن ماجه - كتاب النكاح - باب رقم ٢١ فى الغناء والدف م١ حـ٢ صـ٦١٢ واحمد فى المسند م٣صـ٣٩١

(٣٩٢) المصدرين السابقين - نفس الكتب والأبواب - والصفحات

(إن سماع الصوت الطيب من حيث إنه طيب، فلا ينبغى أن يحرم، بل هو حلال بالنص والقياس..)[٣٩٣].

كما كان صلى الله عليه وسلم ينهى عن ما كان مخالفا للشرع من اللهو والطرب فقد نهى الجوارى عندما قلن:

وأهدى لها كبشا ينحنح فى مربد وفينا نبى يعلم ما في غد فقال لهن: (لا يعلم ما فى غد إلا الله، دعى هذه وقولى بالذى كنت تقولين..

وزاد ابن ماجه: أما هذه فلا تقولوها، ما يعلم فى غد إلا الله..)[٣٩٤]

(٣) وثم بديل آخر لمثل هذا النوع من الاحتفالات، وهو أقامة الحفل عن طريق إشراك بعض المتحدثين فيه ليقوموا بتوعية الناس حول الزواج وما يتعلق به من أحكام تخص الزوجين وتعم المجتمع كله، حاثين على ما يفيد الناس وينفعهم فى مثل هذه الأمور محذرينهم عن كل ما يَضرُّهم من العادات الضارة بالمجتمع مما يتعلق بالزواج والتطرق لحقوق الزوجين وكيفية بناء الأسرة السعيدة ثم بناء وتربية الأجيال بما يجعلهم يفيدون مجتمعهم وينهضون به.

فان الناس محتاجون لمثل هذه الأحاديث فى مثل هذه الشئون خاصة وأن هذه مناسبتها وبهذا تسلم أحتفالات الأعراس من المنكرات التى تهدم المجتمع وتضر بالمسلم فى دينه، ولقد جرب بعض الإخوان الذين نعرفهم هذا

---

(٣٩٣) للمزيد يرجع إحياء علوم الدين - للإمام الغزالى - كتاب السماع حـ٢ صـ٢٧٠ دار احياء التراث العربى ببيروت، والحلال والحرام د. يوسف القرضاوى - صـ٢٧٤ طبعة المكتب الاسلامى -بيروت -ط(١٤) سنه ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م

(٣٩٤) صحيح البخارى - كتاب النكاح -باب رقم ٤٨ - ضرب الدف فى النكاح ،ومسند أحمد م٢ صـ٥٢ وابن ماجه - كتاب النكاح - باب رقم (٢١) الغناء والدف م١ صـ٦١١

النوع من الاحتفالات فكان ناجحا ومفيدا فليت الدعاة يعممونه فى أسرهم حتى يقتدى بهم غيرهم، وبهذا يكونون قدوة لغيرهم فى الدعوة.

ذلك نوع من أنواع تقديم الدعوة في مثل هذه الأماكن.

(٤) كما أنه يمكن للداعية أن يتحدث حتى ولو كان الحفل على غير ما ذكرناه، ويمكن أن يطلب من أصحاب الحفل أن يتحدث فى بعض فقرات الحفل فى موضوع الساعة وهو موضوع الاحتفال، وعندئذ يمكنه أن يوصل ما يريد توصيله للناس ويكون قد قام بالدعوة عن طريق نفس الوسيلة التى استعملها المحتفون، فيسمع الناس صوت الحق وهم على هذه الحالة، ولكن يحذر أن يمسهم بصورة مباشرة بل عليه أن يستعمل الحكمة ويعمم القول ويكنى ويضرب الأمثلة ويورد الكلام فى ثوب ناصع البياض لطيف العبارة رقيق الأسلوب خفيف على السامعين الذين هم عينة خاصة من الناس وفى مناسبة خاصة.

وانكاره للمنكر الذى فى مثل هذه الأماكن يكون متدرجا من الأشد نكارة ثم ما يليه وأن يستعمل العبارات والألفاظ المرنة التى لا يكون جرحها مؤلم مباشرة، بل يخدر فى حينه ولكنه يعمل عمله بعد حين وعلى تدرج، أو كما يقولون: بطئ ولكنه أكيد. فمثلا لوكان الحفل مختلطا يقول لهم: تمنيت لو جلس الرجال من هناك وجلس النساء من هنا، فان ذلك يكون أقرب للعفة وأبعد للريبة وأطهر للعرض وأنقى للمجتمع، ثم يعرج على مخاطر الاختلاط ويعدد مساوئه وتدنى أخلاقى، وما تفشى فيهم من أمراض استعصى علاجها، ثم يعدد ما تنفقه الدولة فى علاج تلك الأمراض وطلب الدواء.. علاوة على ما يصيب المجتمع من جراء كثرة المرضى وقلة

الإنتاج.. ويورد من خلال حديثه الآيات و الأحاديث المؤيده له ولكن بطريقة لا شعورية وفى عفوية حتى تعمل عملها فى العقل الباطن وتحرك الإيمان الذى غطته المعاصى وغشيه زبد الباطل.. ويختم حديثه بدعائه وأمنياته الطيبة للزوجين بأن يعيشا تحت ظل الإسلام الذى يكسبهما السعادة ويؤدم بينهما ويجعلهما يعيشان فى هدوء وسكينة وينجبان ذرية صالحة فيها البركة والخير والنفع لهما فى الدنيا والآخرة لأن زواجهما كان مباركا.

وهذه الاحتفالات الاجتماعية أنواعها كثيرة، منها ما ذكرنا وهى رئيسية، ومنها الاحتفال الذى يقام عند بعض الناس عند قدوم مولود، ففيه كثير من المنكرات التى توارثها الناس وأصبحت عادة عندهم، وهى موطن لتقديم الدعوة ولها الكلام الذى يناسبها والموضوعات التى تقدم للمحتفين بها حسب ما يرد فى المناسبة(٣٩٥)

كما أنه توجد مناسبات أخرى من هذا النوع مثل الاحتفالات التى تقام عند الترقية والتدرج فى السلم الوظيفى. وكذا عند قدوم المسافر الذى تطول غيبته، أو عند نجاح تلميذ.. أو ختان الإبن.. كلها احتفالات ذات طابع أجتماعى تعد من قبيل النعم التى يمكن للداعية أن يتحدث عنها من هذه الناحية.

والخلاصة أن تقديم الدعوة فى مثل هذه الأماكن يحتاج إلى الشخصية الدعوية القوية ذات المميزات الاجتماعية والثقافية الواسعة فالداعية المنطوي على نفسه الذى يخجل من مواجهة الناس لا يستطيع أن يقدم دعوة للناس ويحكم ذلك كله المران والمراس والدر بة.

---

(٣٩٥) يراجع : فن نشر الدعوه مكانا وزمانا - د.محمد زين الهادى صـ ١٣٤

ويمكن أن يستفاد من أجهزة الفيديو فيقدم عليها بعض الاحتفالات المعدة سلفا بالطريقة الإسلامية يقدمها كنموذج حى لكى يعرفها الناس عن قرب وتكون مثالا حيا شاخصا بذاته، فليس راءٍ كمن سمع.

ثانيا: الاحتفالات بذكرى الشعائر الإسلامية:

وأما الاحتفالات باقامة ذكرى الشعائر الإسلامية فى مناسبتها فهذه أنواع، كذلك، فمنها ما اتفق المسلمون على شرعية الإحتفال به ومنها ما اختلفوا عليه، هل الإحتفال بها جائز ومشروع أم هو دون ذلك؟ فنجد من تلك الاحتفالات:

الاحتفال بالعيدين الأضحى والفطر، وهما مناسبتان تمران فى العام مرة ولهما وقع كبير في نفوس المسلمين، وهما فرصة طيبة لتقديم الدعوة عن طريق الخطابة العامة والتركيز على المناسبة واستعراض أحوال المسلمين وهم يحتفلون بمناسبة إسلامية، ويكون التركيز على مدى تمسك المسلمين بعرى الإسلام الصحيح ومدى انتهاج نهجه على الوجه الذى جاء به رسول الإسلام، ولفت انتباه الناس ليقارنوا ما هم عليه، بما جاء به القرآن والسنة وهل فعلا الإسلام الذى هم عليه الأن هو ما كان عليه أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم؟

ويلفت نظرهم إلى أن الاسلام جاء ليقوم به المسلمون فى كل شئون حياتهم يتحاكمون إليه، يحلون ما أحل ويحرمون ما حرم، ولا يتعاملون بغيره، ويسعون للتعرف عليه وعلى أحكامه كما يسعون للحصول على اكتساب معيشتهم، فهل أنتم كذا أيها المسلمون؟ فلماذا لم تكونوا كذلك فأين وضعكم من الإسلام؟ ولماذا تحتفون وتحتفلون بإقامة بعض شعائره، غير ذات الشوكة، وتذرون ما بقى؟ والله لا يقبل منكم أنصاف الإيمان ولا

يفرحه أن تجزئوا دينه حسب هوى النفوس وأمعنوا النظر فى قوله تعالى محذرا من ذلك(أفتؤمنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض فما جزاء من يفعل ذلك منكم إلا خزى فى الحياة الدنيا ويوم القيامة يردون إلى أشد العذاب وما الله بغافل عما تعملون) [٣٩٦]

كما أن الله لا يرضى قولكم: نحن مسلمون بألسنتكم وعملكم يخالف ذلك، فاستمعوا معى بآذان صاغية وقلوب واعية لقول الله تعالى (يا أيها الذين آمنوا لم تقولون ما لا تفعلون كبر مقتا عند الله أن تقولوا ما لا تفعلون)[٣٩٧]

ويركز لهم الحديث قائلا: إن قولكم بألسنتكم وإبداء عواطفكم نحو الإسلام بالاحتفال فقط لا يرضى الله عنكم، إذ أن الله لم ينزل هذا الكتاب على محمد صلى الله عليه وسلم لتحتفلوا به أو بشعائره فحسب، بل أنزله لتنقبوا عما جاء به من عمل، ثم تجعلونه بينكم نافذا[٣٩٨] أما الاحتفالات بالأعياد فمن معانيها الترويح والترفية عليكم بما فيها من فرح وسرور تدخله فى نفوسكم ما دام ترويحا لا يخالف الشرع.

ولهذا عندما وجدهم الرسول صلى الله عليه وسلم يحتفلون بيومين يلعبون فيها، نهاهم عنهما لعدم جوازهما وابدلهم عنهما ما يحل، كما فى حديث أنس فى قوله:(قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة ولهم يومان يلعبون فيهما فى الجاهلية، فقال: إن الله أبدلكم بهما خيرا منهما

---

(٣٩٦) سورة البقره : آيه رقم ٨٥

(٣٩٧) سورة الصف :آيه رقم ٢،٣

(٣٩٨) يراجع :أصول الدعوه-د.عبد الكريم زيدان صـ٤٦٨،المصفى من صفات الدعاه -الأستاذ : عبد الحميد البلالى - صـ٢٤ ط(٥) سنه ١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م

يوم الفطر ويوم النحر)(٣٩٩)

واعلموا أن مجرد العواطف ستنأى بكم عن كثير من حقائق الإسلام وأحكامه التى تضمنها كتاب الله أو أرشدتنا إليها سنة رسوله صلى الله عليه وسلم أو اقتبسها منهما أو من أحدهما الصالح من أئمة المسلمين اجتهادا فتلاقت كلمتهم عليه.

إذ العواطف ما لم تلجم بلجام العلم المصحوب بالعمل ستتحول إلى سلاح يبيد النفس وغوائلها، سواء أعلم صاحب هذه العواطف أم لم يعلم؟(٤٠٠)

ذلك بعض ما يذكره الدعاة فى مثل هذه الاحتفالات الدينية فى منهج تقديم الدعوة من ناحية عامة، تاركين مناسبات التفصيل الى ظروف الداعية وما يحيط بذلك وما يراه مناسبا فى أنه من أساليب ووسائل يقدم بها الدعوة.

أما ما أختلف فيه المسلمون من الاحتفالات الدينية فعلى الداعية أن لا يركب الشطط فى ذلك ولا يمتطى صهوة جواد (الأنا) زاعما أنه الأول الآخر فى هذا الأمر فيأخذ يكيل للناس السباب والتكفير بمده الكبير، بل عليه أن يتلطف ويذكر وجهة نظره مدعومة بالدليل والشرح والتحليل.. ثم يدع الناس يتفكرون ويقارنون ويعرض لهم ما يعتقد أن فيه المصلحة الإسلامية العائد نفعها على الأمة الإسلامية دون الجنوح والغلو.

وليعلم أن من أهم الأسباب المؤدية للخلاف ما يلى:

١- ورود النص على هيئة ظنية تحتمل أكثر من تفسير واجتهاد.

(٣٩٩) سنن النسائى - كتاب العيدين - باب رقم (١) ،ومسند الإمام احمد م٣ صـ١٠٣

(٤٠٠) يراجع : هكذا فلندع إلى الإسلام - د. البوطى صـ٧٤ بتصرف .

٢- ثبوت النص عند البعض وعدم ثبوته عند الآخر.

٣- الاختلاف حول فهم النص واستخلاص المراد منه.

٤- عمومية النص وخصوصيته.

٥- إطلاق النص وتقييده.

٦- ظنية نسخ النص وعدم نسخه بالجمع بين النصوص.

٧- دلالة النص وماذا تعنى، هل تعنى الوجوب أم الندب؟ هل تعنى التحريم أم الإباحة.

٨- تعارض النصوص مع أولوية الأخذ باحداها أو تكافؤ ذلك.

٩- ثم ما مدى تعارض النص مع عموميات الشريعة ومقاصدها.

١٠- وأخيرا هل هذا النص ما زال عليه العمل من لدن صاحب الرسالة وفى أعصار المسلمين كلها..؟ أم أنه كان للتدرج المرحلى

تلك القواعد لا بد للدعاة من مراعاتها عند تقديم الدعوة للناس حتى لا يقعوا فى المحظور، ولكيلا ينفروا الناس من الدين بأمور يتطرق إليها الاحتمال والأخذ والرد والحكمة الدعوية هنا تكمن فى ذلك، فهو جماع الأمر ولبابه، وعموما فان الاحتفالات التى اختلف فيها المسلمون عديدة، منها على سبيل المثال الاحتفال بليلة الإسراء والمعراج والاحتفال بغزوة بدر الكبرى فاتحة الخير والنصر للمسلمين إلى يومنا هذا، بل إلى يوم ينفخ في الصور،ومنها الاحتفال بليلة النصف من شعبان ، والاحتفال بمولد مضئ الكائنات قائد الهداة سيد ولد آدم صاحب المحجة البيضاء، خاتم الرسل ودرتهم محمد المحمود صلى الله عليه وسلم.(٤٠١)

---

(٤٠١) للمزيد فى هذا يراجع : حسن المقصد فى عمل المولد - الإمام جلال الدين السيوطى - تحقيق الأستاذ: مصطفى عبد القادر صـ٤١- دار الكتب العلميه- بيروت - ط(١) سنه ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥م

وقد ذكرنا بأختصار ما يلزم عمله من قبل الدعاة حيال هذا النوع أو ذاك من الاحتفالات، مما يغنى عن التطويل.

ثانيا: القسم الثانى
منهج تقديم الدعوة لغير المسلمين

١- تقديم الدعوة بحسب المكان والوضع الاجتماعى:

كان البحث فيما سبق ينصب على كيفية تقديم الدعوة للمسلمين بكل فرقهم وطوائفهم عاصيهم ومستقيمهم كل بحسب ما يناسبه من حال وما يأتى من منكرات وما يترك من واجبات أو مندوبات، ذلك لأن المسلمين منهم المقتصد ومنهم الظالم لنفسه، ومنهم السابق بالخيرات، ولكل هفوات وعثرات ونواقص ما دام أنه بشر، ولذلك خلقوا وهم من تمام حكمة الله فى خلقه، ولتقوم الحياة وليكون الحساب والجزاء فى الآخرة وليتحقق الغرض والمقصد من خلافة الإنسان فى الأرض واستعماره فيها.....

(ولم لم تذنوا وتستغفروا لأتى الله بقوم يذنبون ونستغفرون)[٤٠٢] وذلك معنى تقديمنا الدعوة للمسلين، أما غير المسلمين فنختصر القول فى تقديم الدعوة لهم فى النقاط الاتية فى جملة مباحث نفسمها الى أقسام ليسهل النظر فيها ولتتم الفائدة المرجوة.

تقديم الدعوة بحسب المكان والوضع الاجتماعى:

المكان أو الوضع الاجتماعى الذى هم عليه يشمل شعبتين:

الأولى: أن يكونوا فى بلد إسلامى وهم أقلية فيه سواء أكانوا من السكان الاصلين أم أنهم وافدون. وعلى هذا فهم من أصحاب الحقوق لهم وعليهم فى البلد وتتفاوت تلك الحقوق بحسب وضعهم[٤٠٣] والذى يهمنا

---

(٤٠٢) صحيح الترمذى : كتاب الجنه باب رقم ٢، صحيح مسلم - كتاب التوبه - باب رقم (١١) ،ومسند الإمام أحمد م ١ صـ٢٨٩

(٤٠٣)الكافر المحارب حقه وحكمه معروف ،لأنه عدو دائم ظاهر العداو ،والكافر المعاهد زميل فى الوطن مادام حافظا لعهده وذمته ومؤديا لواجبه حافظا لحدوده . يراجع كيف تدعو الناس - الأستاذ : عبد البديع صقر صـ١٢٧

هو كيفيه تقديم الدعوة لهم، وهذه تكون بعدة طرق، تختلف باختلاف وضع البلد الذى هم فيه:

فلا يخلو غير المسلم من أن يكون على واحد من الأوضاع التالية:

١- أن يكون جارا فى السكن، وهنا على الداعية أن يد رك أن له حق الجوار، وبالتالى يلزمه بذل كل مافى وسعه لإبراز محاسن الإسلام لهذا الجار وتعريفه أن الإسلام يكفل له كل حقوق الجوار وهو باعتباره مسلما سوف يرعى له كل تلك الحقوق ويقوم بها حق قيام، وأن يترجم له ذلك عملا محسوسا، فيزوره إذا مرض ويتفقد أحواله المعيشية ويهاديه (٤٠٤) ويعزيه فى ميته، ويجلس معه كلما سنحت الفرصة ويقوم بالشعائر الاسلامية أمامه كأن يستاك ويتوضأ ثم يقول له: اعطنى شيئا طاهرا أصلى عليه ويسمعه قراءة القرآن وأن يقصد إلى قراءة الآيات التى تحض على المحبة والإخلاص لله، وتوحيده وإفراده وبكل آيات التنزيه.

واذا أنس منه أستماله لا بأس أن يحدثه عن الإسلام ومحاسنه وأنه خاتم الرسالات، فاذا ركن إليه يمكن أن يتباسط معه أكثر ويدعوه للإطلاع علي الإسلام حتى يقف على حقيقته بنفسه ويقتنع بأنه الدين الذى أحق ان يتبع، وهو الذى لم تمتد إليه يد بشر بتحريف أو تبديل..

٢- وقد يتزامل غير المسلم مع الداعية فى العمل والمهنة سواء أكان العمل مع بعضهم، فيلزم الداعية أن يكون قدوة فى ذلك العمل من حيث إتقانه والإخلاص فيه وتجويده والحرص على المصلحة العملية قبل المصلحة الشخصية ثم المعاملة الحسنة مع زملاء المهنة وطيب العشرة وكرم الخلق، مع

(٤٠٤) يراجع : جريده المسلمون - العدله رقم (٣٤٣) بتاريخ ٢ صفر ١٤١٢هـ - ١٩٨٢/٨/٣م (باب الفتاوى)

عدم التهاون أو التفريط فى زداء الشعائر الإسلامية، واظهار قيم الإسلام السمحة بارزه، مع التباسط والتودد للجميع والإحسان اليهم.. كل ذلك من خلال الإسلام وأن يحاول أن يطهر أن ذلك كله مما يدعو إليه الإسلام ويكرر ذلك دائما بصورة تجذب انتباه غير المسلمين إليه وتدعوهم إلى الإعجاب، وليفعل معهم ما ذكرناه فى الحديث عن الجار.

وليُسمح لى هنا بسرد قصة واقعية ذكرها أحد العلماء،(٤٠٥) حدثت لبعض معارفه فيقول:- لقد حدثنى قائلا: عندما التحقت بالشركة البريطانية أعمل بها مترجما كمن إذا حان وقت الصلاة أقوم فأصلى ثم أعود إلى عملى وكنت أتقن عملى وأجوده بكل دقة وكفاءة ولا أضيع أى دقائق منه خلال التى أصلى فيها ومعى اثنان من زملائى من المسلمين فى نفس المهنة ولكنهما لا يصليان فلاحظ مدير الشركة أنى أغيب عن العمل تضع دقائق فى أوقات معينة فسألنى فأخبرته أنى أصلى، فحاول منعى من الصلاة محتجا بأن تلك الدقائق ملك الشركة، محتجا على بأن فلانا وفلانا لا يصليان مع أنهما من المسلمين مثلى، ذاكرا ومستدلا من فعلهما أن الصلاة ليست بمتعينة فى ذلك الوقت ويمكن أداؤها عند الذهاب للبيت.

فعرفته بالصلاة جيدا وموقعها فى الإسلام وحكم من لم يؤدها ، وقلت له أن الدقائق التى أقوم فيها بالصلاة ليست لى ولا للشركة ولكنها ملك لوقت الصلاة وأنا عندما جئتك كانت تلك الدقائق خارج عقد العمل لأنها ملك لله، وعرفته بأنى اذا لم أكن أمينا فى أداء حق ربى فلن أكون أمينا

(٤٠٥) هو الدكتور محمد زين الهادى العرمابى : أستاذ الدعوه الإسلاميه بمعهد السلطان قابوس للدراسات الإسلاميه - يراجع : منهج تقديم الدعوه صـ١٢٣،١٢٤ . طبعه مركز الكتاب للنشر والتوزيع - ط(١) سنه ١٤٠٣هـ - ١٩٩٣م

فى أداء عملك ولكن هذه الدقائق سوف تعوض لك باخلاصى وتفانى فى العمل وإتقانه.

وقال له: إنى قد تعاقدت مع الله على أداء هذه الشعائر فى دينى قبل التعاقد مع شركتك.. ويجب أن أفى بالعقود الأول فالأول لأن الله يقول لنا:(يا أيها الذين آمنوا أوفوا بالعقود..)(٤٠٦)

ويقول لنا نبينا محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إن الله يحب إذا عمل أحدكم عملا أن يتقنه"(٤٠٧)

والحمد لله ما أن فرغت من حديثى معه حتى تهلل وجهه، وقال لى: مادمت تحافظ على دينك وعهد الرب فسوف تحافظ على عمل الشركة وأصبحت ثقته فى لا يداخلها الشك، بل غدا ينبهنى إذا حان وقت الصلاة وكانت النتيجة أن أبقانى أنا فقط فى الشركة عندما أراد تخفيض المترجمين.. وما زال محدثى حتى كتابة هذه الأسطر يزاول عمله بالشركة المعنية وثقتهم فيه تزاد باضطراد، وذلك بفضل الله ثم بفضل تمسكه بشعائر دينه وعدم تفريطه فى ذلك، وبما عكسه لهم من سماحه الإسلام ودقته.

الثانية: أن يكون غير المسلم يقطن وطنه الأصلى، والمسلم الداعية هو الوافد عليه أو أن المسلمين هم الأقلية، وهذا حادث فى كثير من البلاد غير الإسلامية فى عصرنا الحاضر، حيث تكثر البعوث للدول غير الإسلامية بحثا عن العمل خاصة فى الدول الغربية.

فأكثر ما تتركز الدعوة هنا على القدوة وبثها عن طريق المحاكاة وإبراز ما يؤدى إلى الإعجاب بالمسلم فى معاملته وسلوكه وهندامه وسمعته

(٤٠٦) سورة المائدة : آيه رقم ١

(٤٠٧) كنز العمال فى سنن الأقوال والأفعال حـ٣ صـ٩٠٧ . والبيهقى فى شعب الإيمان.

العامه، وتميزه عن المجتمع الكافر الذى يعيش فيه، فهو ان جلس معهم على الطعام، قال: بسم الله وأكل بيمينه، ثم قبل ذلك غسل يديه، ويدعو الذى بجواره إلى طعامه لأن غير المسلمين خاصة الغربيين، يأكل كل إنسان بمفرده ويأكلون-غالبا- بشمالهم ولا يذكرون اسم الله على الطعام، وإذا شبع قال: الحمد لله. كل هذه الشعائر تؤدى الى لفت الانتباه، لأن فعلها يخالف ما هم عليه وما ألفوه، وكل شئ غير مألوف يؤدى إلى لفت النظر، فان كان جيدا أدى إلى الإعجاب ثم التقليد والمحاكاة ثم الإعتناق.

حدثنى أحد الأصدقاء أنه كان يعمل فى غير بلده وكان يستخدم أحد النصارى فى عمل معه وطبيعة العمل تستلزم من النصرانى للأكل ويحترمه ويحسن معاملته، ثم يقوم بأداء شعائر الإسلام أمامه...

وبعد مدة وجده يقلده فى تلك الشعائر والحركات التى يؤديها المسلم، حتى إنه كان إذا توضأ المسلم توضأ النصرانى وإذا حمد الله بعد شئ وجده يصنع مثله.. حتى وجده يوما يصلى إلى جواره وعندما سأله: لماذا تفعل ذلك؟ قال النصرانى: لأنى وجدتك تعمل أشياء طيبة لم آلفها فى ملتى فانك تقوم فجرا فتستاك وتغسل فمك وأطرافك بل حتى أنفك، وإنك تذكر اسم الله فى كثير من حركاتك.. فأعجبنى ذلك، وأنا أريد أن أعرف الإسلام.. فأسلم الرجل بالقدوة وليس بالدعوة النظرية المجردة.

هكذا ينبغى أن يفعل الطالب فى قاعة الدرس وفى مكان السكن والموظف والعامل يظهرون وجه الإسلام المشرق الذى لا تغشاه الظلمة أبدا إلا بسبب ضعف إيمان المسلمين، فاذا خالط المسلم الكافر فى شرب الخمر وأماكن اللهو المحرم وأكل الخنزير وخرجت المسلمة نصف عارية، وقطع المسلم

اللحم بالسكين، وهو يمسكها بيمينه والشوكة فى شماله ثم أدخل الشوكة فى قطعة اللحم بيساره ثم التهمها... إذا فعل المسلم ذلك فماذا يلفت نظر الكافر منه؟ إنه مثله فى كل شئ.

إن الاسلام لم ينشر فى أدغال أفريقيا، وأقاصى آسيا بالكلام النظرى ولا بالغزو المسلح- كما فعل الاستعمار الغربى- ولكنه دخل على أيدى التجار المسلمين الذين يظهرون إسلامهم بالفعل والحركة لأن الإسلام دين حركى وليس دين تنظير ولا يتبعه عمل.

إن أعداد المسلمين اليوم فى أوربا وأمريكا وغيرها بالملايين وليس الآلاف، ولكن حالهم لا تدل على أنهم مسلمين فلو لبس المسلمون هناك لباس الإسلام إعمالا لقول الله -عزو جل- (ولباس التقوى ذلك خير)(٤٠٨) لتغير وجه العالم، بل ولتغير وجه المسلمين، ولكنك تجد المسلم وسط الجميع ولا تستطيع أن تتبين أهو مسلم أم لا، لا شئ يميزه عن غيره حتى فى الأماكن التى يتمايز فيها الناس.

والخلاصة أن تقديم الدعوة في البلاد غير الإسلامية يتركز أكثر على القدوة وإبراز شعائر الإسلام، ولا بأس إن كانت توجد منابر للحديث والدعوة النظرية أو بالكتابة للتعريف بالإسلام وإبرازه للناس على وجهه الصحيح، ولكن صوت الباطل هناك أقوى وأجهزتهم ووسائلهم أكثر فعالية وتأثيرا، والفيصل الذى يظهر الحق من الباطل هو العمل والمظهر وهو الذى يكون أدعى الى التصديق حيث يكثر الكلام الذى يسمعه الناس.

---

(٤٠٨) سوره الأعراف : آيه رقم ٢٦

تقسيمهم بحسب المعتقدات:

غير المسلمين ملل شتى، ولكن مع ذلك فيمكن حصرهم في فئتين رئيسيتين:

أ- ملحدون. لا يدينون بأى دين بل ينكرون فكرة التدين أصلا.

ب- متدينون. بمعنى أنهم ينتسبون إلى دين ولا يعارضون فكرة التدين وهؤلاء ينقسمون إلى طائفتين:

١- فى الأساس لهم كتاب سماوى.

٢- غير أهل كتاب سماوى وهؤلاء طوائف شتى.

أما الفئة الأولى وهم الذين ينكرون وجود الله جملة وتفصيلا، فهؤلاء لابد أن يقوم النقاش معهم وتقديم الدعوة إليهم على الأسس الرئيسية التى تعرفهم الإسلام، أعنى تعرفهم بوجود إله خالق لهذا الكون لإثارة الفطرة الكامنة فيهم أن التدين فطرة فى الإنسان كامنه فيه وراكدة مثل البذرة الجافة تكمن فيه للحياة، فاذا دفنت فى التراب وجاءها الماء ونبتت ودبت فيها الحياة فما على الداعية إلا أن يتبش هذا الإيمان الكامن الدفين.

إن البيئة هى التى تشكل الإنسان وتجعله يشب على معتقداته (فطرة الله التى فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم ولكن أكثر الناس لا يعلمون) (٤٠٩)

(ما من مولود يولد إلا على الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه)(٤١٠)

وهذا يشمل النقاط التالية أجمالا:

(٤٠٩) سوره الروم : آيه رقم ٣٠

(٤١٠) الحديث رواه البيخارى ، ومسلم ، وأبوداود ، وأحمد ، وقد سبق تخريجه

١- يجب أن يدور النقاش حول النقطة الأساسية وهى أحقية الكون لإله يدبر أمره والتعريف بهذا المدبر الخالق من منطلق التعريف بالإسلام(وعرض البراهين والأدلة على ذلك) (٤١١)

٢- تساق له-ضمنا- الآيات التى تدل على خلق الكون والإنسان وأن هذا الكون لا بد له من خالق مبدع، ولا يمكن أن يقوم بنفسه لأن العقل والتجربة يدلان على حقيقة قائمة، وهى أن الأشياء يستحيل قيامها بنفسها دون صانع وخالق ودون من يدبر أمرها ويدبر شئونها.

إن القرآن استعمل فى أدلته على قدرة الخالق وتدبيره، الأدلة الكونية وتحدث كثيرا عن خلق الجنين وحفظه فى الأرحام، ورعايته وتهده بعد الخروج وتحدث عن السموات وما فيهن من أفلاك وأجرام وعن الشهب والنيازك.. وعن المطر والسحب والرياح وتلقيحها للسحب ولفت النظر إلى ما فى نفس الإنسان وحثه أن يتدبرها ويتأملها، فهى مدعاة لأن تجعله يعرف ربه مبدع الكون ومسيرة أمرة، والآيات الدالة (أفلا ينظرون إلى الإبل كيف خلقت وإلى السماء كيف رفعت وإلى الجبال كيف نصبت وإلى الأرض كيف سطحت)(٤١٢)

(وفى الأرض آيات للموقنين وفى أنفسكم أفلا تبصرون)(٤١٣)

وانظر معى فى الآيات الآتية وهى سورة واحدة كيف تسوق الأدلة الكونية الظاهرة الباهرة المعجزة عن هذا الكون وتخاطب به البشر لعلهم بربهم يوقنون:

---

(٤١١) يراجع : هكذا فلندع إلى الإسلام - د. البوطى صـ٥٨

(٤١٢) سورة الغاشين : الايات من ١٧-٢٠

(٤١٣) سورة الذاريات : آيه رقم ٢١،٢٠

(ولقد جعلنا فى السماء بروجا وزيناها للناظرين. وحفظناها من كل شيطان رجيم. إلا من استرق السمع فاتبعه شهاب مبين. والأرض مددناها وألقينا فيها رواسى وأنبتنا فيها من كل شئ موزون. وجعلنا لكم فيها معايش ومن لستم له برازقين. وإن من شئ إلا عندنا خزائنه وما ننزله إلا بقدر معلوم. وأرسلنا الرياح لواقح فأنزلنا من السماء ماء فأسقيناكموه وما أنتم له بخازنين)(٤١٤)

٣- تساق الأدلة البرهانية ذات الحجج المسوقة فى قالب أسلوب الإستفهام بأنواعه سواء أكان تقريريا أم أنكاريا أم توبيخا أم تعجبا ذلك لأن أسلوب الإستفهام ادعى إلى لفت الانتباه وشد السامع إلى الأدلة، ذلك لأن صيغة السؤال تجعل المخاطب يستجمع ذهنه وقواه العقلية لما يلفت إليه ويمنع المخاطب من الشرود الذهنى الذى يجعل الشخص لا يستفيد من المتكلم.وهذه بعض الآيات التى تشير إلى هذا النوع من الأدلة نذكر بعضا منها ونترك البعض خشية التطويل، وهى وإن كانت تتناول أسلوب الإستفهام، إلا أنها تعرض به حقائق الكون لافتة الأنظار إلى ما فيه من دلالات وآيات عظام تنم على قدرة مبدعها أنها تأخذ قارئها ومتأملها يمنه ويسرة صاعدة ونازلة.. طائفة به أرجاء الكون فى عظمته ودقته، معدده ومذكرة بنعم الله التى أغدقها على بنى البشر، عساه يرى هذه الآلاء ويرعاها حق رعايتها،

والآن تعال معى إلى تلك الآيات لنتجول معها فى هذه السباحة الكونية الرائعة الممتعة:

---

(٤١٤) سوره الحجر : الآيات من ١٦-٢٢

يقول الله تبارك وتعالى مبتدئا بحمده مثنيا على عبادة:

(قل الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى آلله خير أم ما يشركون أم من خلق السموات والأرض وأنزل لكم من السماء ماء فأنبتنا به حدائق ذات بهجة ما كان لكم أن تنبتوا شجرها أإله مع الله بل هم قوم يعدلون أم من جعل الأرض قرارا وجعل خلالها أنهارا وجعل لها رواسى وجعل بين البحرين حاجزا أإله مع الله بل أكثرهم لا يعلمون. أم من يجيب المضطر إذا دعاه ويكشف السؤ ويجعلكم خلفاء الارض أإله مع الله قليلا ما تذكرون أم من يهديكم فى ظلمات البر والبحر ومن يرسل الرياح بشرا بين يدي رحمته أإله مع الله تعالى الله عما يشركون. أم من يبدأ الخلق ثم يعيده ومن يرزقكم من السماء والأرض أإله مع الله قل هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين)(٤١٥)

ولقد ذكرنا فى البداية أن من لا يؤمن بوجود الله يستعمل معه هذا النوع من الأدلة الكونية المبثوثة فى الطبيعة، ولا يستخدم معه النص بصورة مباشرة بمعنى أننا لا نقول له: يقول الله كذا وكذا بل نذكر له دلالات القرآن ونورد استدلاله من غير ذكر الآيات نفسها، أى دون أن نعلمه بأن ما نستدل به قرآن. حتى إذا أطمأن وأمن أو أفحم، يمكن بعد ذلك أن يعلم أن ذلك هو كتاب الله وذلك هو قوله.

ويكون الحديث والنقاش والاستدلال كله منصبا على هذا الأساس وهو إثبات قدرة الله فى تدبير هذا الكون والبرهان على أن هذا الكون لا يمكن أن يقوم نظامه ونسقه بغير صانع ومدبر، لأن كل صنعه متناسقه متماسكه

(٤١٥) سوره النمل : الآيات من ٥٩-٦٤

تسير فى نظام لا يتغير، لا بد أن يكون وراءها قوة عاقلة حكيمة قوية تدبر أمرها وتقود زمامها وتوجهها وجهتها الحقة (صنع الله الذى أتقن كل شئ إنه خبير بما يفعلون)(٤١٦)

ثم يساق له الحديث عن النفس البشرية وكيفية خلقها وهى فى أطوار تشابه العدم وعن بداية الخلق، خلق الدنيا كلها... ثم خلق الإنسان من ترابها.. إلى رعاية العناية الإلهية له فى بطن أمه.كل ذلك لا بد أن يكون وراءه قدرة قاهرة حكيمة ذات صفات لا تشابه هذه المخلوقات التى لا يمكن عقلا أن توجد من لا شئ أو أن تخلق نفسها بنفسها (أم خلقوا من غير شئ أم هم الخالقون.أم خلقوا السموات والأرض بل لا يوقنون)(٤١٧)

إن العقول الواعية المدركة السليمة تقر وتسلم بأن العدم لا يخلق شيئا لأنه هو نفسه فناء وفاقد الشئ لا يعطيه، كما أن الاشياء الطبيعة أو الإنسان لا تخلق نفسها لأنها لا تحمل السبب الكافى لذلك.. كما أن من لا وجود له لا يتصور فيه أن يحدث شيئا كما ذكرت(٤١٨) وأن الصدفة لا تأتى بشئ منظم ومنسق ودقيق، فلو قيل لإنسان أنثر الأحرف العربية فى جيبك ثم أخرج لنا منها عبارة(العدم لا يخلق شيئا) لما استطاع ذلك، بل لعد القائل من غير أصحاب العقول أو أنه مختل، ومع ذلك بزعم زاعمون ملحدون أن الكون وجد صدفة.

---

(٤١٦) سوره النمل : آيه رقم ٨٨

(٤١٧) سوره الطور : آيه رقم ٣٦،٣٥

(٤١٨) يراجع للمزيد : العقيدة فى الله -د. عمر سليمان الأشقر صـ٧٢ نشرمكتبة الفلاح بالكويت ط(٥) سنه ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م والاسلام يتجدى - وحيد الدين خان صـ١٦ ،والعلم يدعو إلى الإيمان - كريسى موريسون - ترجمه د. جمال الدين الفندى - صـ٥١ بدون تاريخ ورقم .

ولو قيل لأحدهم: إن مدينة ما قد خرجت إلى الوجود بنفسها وعليها كل أهلها وبها كل أرزاقها وجاءت كل أمورها مرتبة هكذا.. لعد ذلك ضربا من الهذيان ولكن إذا قيل له: الله مبدع هذا الكون ومسيره وصانعه.. ثنى عطفه إنكارا وسخرية.. ولكنا نقول لأصحاب العقول النيرة: إن الكون الدقيق المنضبط الذى أمكن العلماء أن يجروا عليه تجاربهم باطمئنان هو من صنع الله.

(لا الشمس ينبغى لها أن تدرك القمر ولا الليل سابق النهار وكل فى فلك يسبحون)[٤١٨]

(قل سيروا فى الأرض فانظروا كيف بدأ الخلق ثم الله ينشئ النشأة الآخرة)[٤١٩]

ويقول تعالى (ولقد خلقنا الإنسان من سلالة من طين.ثم جعلناه نطفة فى قرار مكين.ثم خلقنا النطفة علقة فخلقنا العلقة مضغة فخلقنا المضغة عظاما فكسونا العظام لحما ثم أنشأناه خلقا آخر فتبارك الله أحسن الخالقين. ثم إنكم بعد ذلك لميتون. ثم إنكم يوم القيامة تبعثون)[٤٢٠]

فإنه ما من أحد مهما بلغ إلحاده وإنكاره يستطيع أن ينكر الموت وبالتالى يلزمه عقلا أن يقر بما قبل الموت و هو بداية الخلق وإحداثه من العدم ثم يلزمه ايضا أن يقر بصيرورة هذا الخلق إلى العدم مرة أخرى، كما أن الذى ذكر الموت الذى يعترف به كل إنسان هو الذى ذكر بدء الخلق وتكوين الأجنة وحفظها والعقل السليم لا يقبل هذه التجزئة.

(٤١٨) سورة يس : آيه رقم ٤٠

(٤١٩) سورة العنكبوت : آيه رقم ٢٠

(٤٢٠) سورة المؤمنون : الأيات من ١٢-١٦

٣- يوجه هذا المنكر إلى التدبر والتأمل فى الصفة التى خلق عليها الكون..فى تعاقب الليل والنهار والفصول.. واتزان الأرض وتمهيدها وتزليلها وحضها على الإنبات.

(هو الذى جعل لكم الأرض ذلولا فامشوا فى مناكبها وكلوا من رزقه وإليه النشور).[٤٢١]

فهذه الأرض ذلول طائعة، فلم تشمس بأهلها ولم تجمح بهم.. ولم ترتج ولم تتزلزل من تحت أقدامهم.. وهى ذلول حلوب فى إخراجها النبات لهم ولم يضن عليهم ضرعها بالخيرات التى تقوم بها حياتهم وحياة ما تقوم به حياتهم من الحيوان والنبات.

(والناس لطول إلفتهم لحياتهم على هذه الأرض وسهولة استقرارهم عليها وسيرهم فيها واستغلالهم لتربتها ومائها وهوائها وكنوزها وقواها وأرزاقها جميعا.. ينسون نعمة الله في تذليلها لهم وتسخيرها والقرآن يذكرهم بهذه النعم الهائلة ويبصرهم بها)[٤٢٢].

ويدعو إلى التأمل فى خلق السموات وإحكام بنائها ودقة صنعها:
(أفلم ينظروا إلى السماء فوقكم كيف بنيناها وزيناها وما لها من فروج)[٤٢٣]

(أنتم أشد خلقا أم السماء بناها رفع سمكها فسواها وأغطش ليلها وأخرج ضحاها والأرض بعد ذلك دحاها أخرج منها ماءها ومرعاها والجبال أرساها متاعا لكم ولأنعامكم).[٤٢٤]

(٤٢١) سورة الملك : آيه رقم ١٥

(٤٢٢) فى ظلال القرآن : سيد قطب م٦ ص٣٦٣٧

(٤٢٣) سورة ق . آيه رقم ٦

(٤٢٤) سوره النازعات الآيات من ٢٧ ٣٣

إن التأمل فى الكون أقوى أنواع الحجج لمن كان له قلب وعقل يعى وهو أقرب ما يسوق المرء إلى الإيمان بالله خالق هذا العالم.

ولأسوق الآن قصة واقعية للدلالة على مدى تأثير التأمل فى الكون على قلب الإنسان قصة شخص اهتدى إلى نور الإيمان عن طريق التأمل فى الكون فهداه الله.

قصة (ميشيل درواد) الفرنسى الذى هداه الله إلى الإسلام وأسمى نفسه (عليا) يقول عن قصة هدايته:

(.. حقائق الإيمان بالله الواحد بالتوحيد عرفها قلبى منذ زمن بعيد قبل بدء المسيرة مع الإسلام، مع التأمل والتفكر فى خلق السموات والأرض وتعاقب الليل والنهار ومولد الإنسان ومماته، كل ذلك أطلق بداخلى رغبة دفينة فى إكمال الصورة ووضع النقاط فوق الحروف..)(٤٢٥)

فنراه بدأ بسلسلة أولها التأمل والتفكر فى الكون الذى هداه إلى الإيمان بقدرة الله تعالى. ثم قاده هذا الإيمان إلى البحث عن الإله الحق وصفاته اللائقة به التى لم يجدها فى التثليث النصرانى ولا فى الوثنيات.. بل وجدها فى الإسلام دين التوحيد الخالص..فاستقرت نفسه وهدأت ثائرته.(٤٢٦)

والخلاصة أن هذه الفئة التى لا تؤمن بوجود إله أصلا نقدم لهم الدعوة عن طريق البراهين الكونية الدالة على قدرة الله والأدلة العقلية التى تثبت أن هذا الكون لا يمكن أن يسير على هذا النظام والنسق من دون قوة خارجة

(٤٢٥) جريدة المسلمون : العدد ٣٢٤، الصادر فى ٤ سؤال سنة ١٤١١هـ -١٩ إبريل سنة ١٩٩١م

(٤٢٦) يراجع : أسطورة تأليه الأشخاص فى الديانات القديمة وموقف الإسلام منها - د. عبد الناصر حسيب - نشر مكتبة الأزهر الحديثة بطنطا ط (١) سنه ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م

عنه.

أما الفئة الأخرى وهم الذين يؤمنون بوجود إله ما، ويؤمنون ويعترفون بالأديان ولكن تصوراتهم لا تتناسب مع حقائق الإيمان الحق والمعتقد السليم سواء أكانوا أهل كتاب ثم حرف مثل اليهود والنصارى أم كانوا يعبدون آلهه أخرى.. فالأمر المشترك بين الجميع هو التدين بدين ما، وقبول مبدأ أن للكون إلها خالقا.

وخلاصة منهج تقديم الدعوة إلى هؤلاء يقوم على إبراز الصفات التى تجب لهذا الإله الحق، وهل يصلح أن يكون متعددا؟ أو أن تكون فيه صفه من صفات البشر؟ مثل أنه يلد أو يولد أو أن يكون جمادا كالنور والظلمة والنار..

فكلما استطاع الداعية أن يبرز صفات الكمال لله الخالق وأنه أحد فرد صمد لم يلد ولم يولد.. وأن هذه الصفات أو الأعراض البشرية هى نقائص في حق الله وأنه لا يمكن أن يكون الإ له خالقا ومخلوقا فى نفس الوقت وأن العقل السليم لا يقبل هذه القسمة لأن التعدد يؤدى الى التنازع والتنازع يؤدى فساد الكون . ونحن لم نر فسادا فى الكون وبالتالى يستلزم هذا أن يكون الإله الخالق لهذا الكون المنظم المنتظم هو واحد لا أحد يشاركه فى الصنع والتقدير والتدبير والتسيير.

ويفضل أن نذكر الآيات التى تنزه الله تعالى ضمنا وليس تصريحا حتى لا ينفر منها المدعو.. ذلك مثل قوله تعالى:

(لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا)(٤٢٧)

---

(٤٢٧) سورة الأنبياء : آيه رقم ٢٢ .

وقوله تعالى (ما اتخذ الله من ولد وما كان معه من إله اذا لذهب كل اله بما خلق ولعلا بعضهم على بعض سبحان الله عما يصفون)(٤٢٨)

وكقولتعالى:

(وجعلوا لله شركاء الجن وخلقهم وخرقوا له بنين وبنات بغير علم سبحانه وتعالى عما يصفون.. بديع السموات والأرض أنى يكون له ولد ولم تكن له صاحبة وخلق كل شئ وهو على كل شئ وكيل. لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار وهو اللطيف الخبير)(٤٢٩)

إن عرض الصفات الالهية كما جاء بها الإسلام وجاءت الر سالات السابقة عليه قبل تحريفها، هى القادرة على تصفية الشوائب التى علقت بأذهان معتنقى الملل الضالة. سواء التى أصولها صحيحة مثل اليهودية والنصرانية أو الأخرى التى لا أصل لها. فكلهم سواء فى نهاية المطاف حيث انحرفت تصوراتهم للصفات الواجبة للذات العلية، ولهذا نرى معتنقيها فى ريب وتردد وقلق واضطراب مستمر.. حتى اذا فتح الله على أحدهم بالإسلام دين التوحيد الخالص إطمأنت نفسه وآب إلى رشده..

ذلك لأن تعدد الإله لا يقبله العقل الذى خلقه الله، ومن قبل ذلك فهو مشوش عليه وتغطت عليه الحقيقة بضباب الباطل الكثيف.. فهو متردد مرتاب دوما.. ذلك لأن التعددية فى حق الإله نقص.. إن أفضل حالات الكثرة والتعدد تتصور فى التعاون والتآزر والمساندة.. وهذه المحمدة للكثرة تعتبر منقصة فى حق الإله لأنه متى احتاج إلى من يعينه ويشد من أزره

---

(٤٢٨) سورة المؤمنون : آيه رقم ٩١

(٤٢٩) سورة الأنعام : الآيات من ١٠٠-١٠٣

فهو ناقص.. وهذا ليس من صفات الله تعالي.. فالواحدانية هى أخص خصائصه تعالى لأنها من صفات الكمال الالهي.

وهى غير محمودة للبشر حيث من صفاتهم الحميدة التجمع والتعاون وشد الأزر فيما بينهم ليكمل بعضهم بعضا، ويعين بعضهم بعضا. قال تعالى:(وتعانوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الإثم والعدوان)(٤٣٠)

وقال صلى الله عليه وسلم:

"المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا"(٤٣١)

والله يعين ولا يحتاج إلى عون(وهو القاهر فوق عباده)(٤٣٢).

---

(٤٣٠) سورة المائده : آيه رقم ٢

(٤٣١) الحديث أخرجه البخارى فى كتاب الأدب-باب رقم ٢٧ ،ومسلم فى كتاب البر-حيث رقم ٦٦

(٤٣٢) سورة الأنعام : آيه رقم ١٨

الخاتمة

وبعد فأسأل الله -العلى القدير- رب العرش الكريم أن أكون قد وفيت فيما رمت إليه وقصدت، وأن أرى فى شباب الدعوة ثمرة هذا الغرس حتى لا يكون غرسا عقيما فإنه لا ثمر بلا شجر، وأسأل الله أن يوفقنى وإياكم وكل من ساهم فى هذا العمل، وعمل على استظهاره -دائما- لما فيه خير الإسلام والمسلمين، والعمل فى محراب الدعوة إلى يوم نلقاه فهو ولينا فى الدنيا ويوم الدين، والله من وراء القصد، هو حسبنا لا إله إلا هو عليه توكلنا وهو رب العرش العظيم، نعم المولى ونعم النصير.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

فهرس المراجع

م	اسم المرجع	اسم المؤلف- المطبعة-رقم الطبعة-سنة الطبع
١	القرآن الكريم	
٢	أحكام عصاة المؤمنين	الإمام ابن تيميه - دار الكلمة الطيبة - ط(١)-١٤٠٥ هـ-١٩٨٥م
٣	إحياء علوم الدين	الإمام الغزالى - دار إحياء التراث العربى - بيروت .
٤	إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم	الإمام أبى السعود العمادى -دار إحياء التراث العربى -بيروت ط(٢) سنة ١٤١١هـ - ١٩٨٩ م.
٥	الإسلام ومشكلات الحضارة	سيد قطب - دار الشروق - ط (١٠) ١٤٠٩ هـ - ١٩٨٩ م.
٦	الإسلام والنصرانية مع العلم والمدنية	الإمام محمد عبده - صبيح بالقاهرة - ١٩٥٤ .
٧	الإسلام يتحدى	وحيد الدين خان - ترجمة ظفر الدين خان - دار الإعتصام بالقاهرة
٨	أسطورة تالية الأشخاص في الديانات القديمة وموقف الاسلام منها	د. عبد الناصر حسيب - مكتبة الأزهر الحديثة بطنطا ط (١)سنة ١٤١٥ هـ - ١٩٩٥م .
٩	أصول الدعوة	د.عبدالكريم زيدان-مطابع المختار الإسلامي ط(١)١٩٨٢
١٠	أعلام الموقعين	الامام ابن القيم .
١١	الإنسان بين المادية والإسلام	محمد قطب - دار الشروق -ط(١٠) ١٤٠٩هـ-١٩٨٩م
١٢	الأهداف الرئيسية للدعاة إلى الله	احمد القطان-جاسم مهلل-دار الدعوة بالكويت - ط(١)١٤٠٩هـ -١٩٨٩م
١٣	البدائل الإسلامية	الاستاذ - أنور الجندى - دار الإعتصام .
١٤	التربية الإسلامية ومدرسة حسن البنا	د.يوسف القرضاوى - الفنية بمصر - ط (٣)- ١٤١٢هـ-١٩٩٢م
١٥	التخطيط للدعوة الإسلامية وأهميته	عبدرب النبى أبو السعود - دار التوفيق النموذجية - ط (١) ١٤١٢هـ -١٩٩٢م
١٦	تفسير القرآن الكريم	الإمام ابن كثير - الحلبى بمصر .
١٧	تاريخ الدعوة	د. جمعه الخولي - دار الطباعة المحمدية -ط(١)١٤٠٤هـ-١٩٨٤م
١٨	تذكرة الدعاء	البهى الخولى - دار الطباعة والنشر الإسلامية بالقاهرة
١٩	ثقافة الداعية	د. القرضاوى - الوفاء للطباعة والنشر بالمنصورة - ط (٩)١٤١١هـ-١٩٩١م.
٢٠	الجامع لأحكام القرآن الكريم	الإمام القرطبى - دار الغد العربى - ط(١)١٤٠٩هـ-١٩٨٩م
٢١	الحلال والحرام	د. القرضاوى - المكتب الإسلامى -بيروت- ط(١٤)١٤٠٥هـ-١٩٨٥م
٢٢	حسن المقصدى فى عمل المولد	الإمام السيوطى - تحقيق مصطفى عبدالقادر - دار الكتب العلمية -بيروت-ط(١) ١٤٠٥هـ-١٩٨٥م.

تابع فهرس المراجع

م	اسم المرجع	اسم المؤلف- المطبعة-رقم الطبعة-سنة الطبع
٢٣	الخطابة أصولها وتاريخها	الإمام - محمد أبوزهرة - دار الفكر العربى -ط(١)١٩٣٤م
٢٤	الدعاة الي الله فى القرآن الكريم ومناهجهم	د. محمد طلعت أبوصير - العربية الحديثة - ط(١)١٤٠٦هـ-١٩٨٦م
٢٥	الدعوة إلى الإسلام ووسائلها	د. سليمان الدبشه.
٢٦	الدعوة والدعاة إلى الله فى منهج القرآن الكريم	د. محمد أبوطالب شاهين - بحث مقدم للمؤتمر العالمى للدعوة الجامعة الاسلامية (بالمدينة المنورة) ١٣٩٧هـ-١٩٧٧م
٢٧	الدعوة الى الله فقها ومنهجا	محمد زكى الدين محمد قاسم - دار الصفوه - ط (١) ١٤١١هـ-١٩٩٠م.
٢٨	الدعوة الى الله اصولها ووسائلها	د. أحمد غلوش.
٢٩	الدعوة إلى الله	محاضرة القيت بالاتحاد الإسلامى العالمى للمنظمات الطلابية - دار القرآن بالرياض -ط(١)١٤٠٤هـ-١٩٨٤م.
٣٠	الدعوة قواعد وأصول	جمعه امين عبدالعزيز - دار الدعوة بالاسكندرية - ط (٢) ١٤٠٩هـ-١٩٨٩م.
٣١	الدعوة إلى الله على بصيرة	د.عبد النعيم محمد حسنين - دار الكتب الإسلامية -ط(١)١٤٠٥هـ- ١٩٨٤م.
٣٢	الدعوة الإسلامية فى عهدها المكى	د. رؤف شلبى -مجمع البحوث الاسلامية - ١٩٧٤م
٣٣	الدعوة إلى الإسلام	أبوبكر ذكرى - دار العروبه للطباعة والنشر .
٣٤	الدعوة والانسان	د. عبدالله الشاذلى - القومية الحديثة بطنطا ط(١)١٤٠٥هـ-١٩٨٥م .
٣٥	روح المعانى	الإمام الألوسى -دار الفكر العربى -بيروت ١٤٠٣هـ-١٩٨٣م.
٣٦	رياض الصالحين	الإمام النووى -مكتبة أسامة الإسلامية بمصر
٣٧	زاد المعاد من هدى خير العباد	الإمام ابن القيم - المطبعة العربية الحديثة بالقاهرة
٣٨	السبيل الى دعوة الحق	د.محمد البهى -مطبعة الأزهر بالقاهرة.
٣٩	السلوك الإسلامى	د.انتصار يونس-دار المعارف بمصر ط(١)سنة ١٩٨٤
٤٠	السيرة النبوية	الإمام عبد الملك بن هشام - تحقيق د.محمد السرجانى - دار التوفيقية للطباعة بمصر .
٤١	سنن ابن ماجه	الامام محمد بن يزيد القزوينى - دار إحياء الكتب العربية .
٤٢	سنن النسائى	الامام احمد بن شعيب النسائى -دار الريان للتراث.
٤٣	سنن الترمذى	الامام محمد بن عيسى بن سوره - تحقيق أحمد محمد شاكر- دار إحياء التراث العربى - بيروت - لبنان

تابع فهرس المراجع

م	اسم المرجع	اسم المؤلف - المطبعة - رقم الطبعة -سنة الطبع
٤٤	الصحوة الاسلامية بين الجحود والتطرف	د. يوسف القرضاوى -دار الوفاء بالمنصورة -ط (٣) ١٤١٥هـ-١٩٩٤م.
٤٥	صحيح البخارى	الامام أبى عبدالله البخارى -دار إحياء الكتب العربية
٤٦	صحيح سنن المصطفى	الامام أبى داود سليمان بن الأشعث-دار الكتاب العربي بيروت
٤٧	صحيح مسلم بشرح النووى	الامام مسلم بن الحجاج القشيرى -المطبعة المصرية ومكتبتها.
٤٨	العقيدة فى الله	د.عمر سليمان الأشقر -مكتبة الفلاح بالكويت ط(٥) سنة ١٤٠٤هـ-١٩٨٤م.
٤٩	العلم يدعو الى الايمان	كريستى موريسون - ترجمة د. جمال الدين الفندى.
٥٠	الفلسفة الحدية فى الميزان	د. محمد بن فتح الله بدران.
٥١	فتح البارى فى شرح صحيح البخارى	الامام بن حجر العسقلانى - دار الريان للطباعة والنشر .
٥٢	فتح القدير	الإمام محمد بن على الشوكانى -دار الفكر العربى -بيروت .
٥٣	فن نشر الدعوة مكانا وزمانا	د. محمد زين الهادى العامرى - دار العاصمة . الرياض -ط (١) سنة ١٤٠٩هـ-١٩٨٩م.
٥٤	فى ظلال القرآن	سيد قطب -دار الشروق -ط (١٢)١٤٠٦هـ-١٩٨٦م .
٥٥	القاموس المحيط	للفيروز أبادى .
٥٦	كنز العمال فى سنن الاموال والافعال	علاء الدين الهندى -مؤسسة الرسالة -بيروت ١٤٠٩هـ.
٥٧	كيف ندعو الناس	عبد البديع صقر -المكتب الاسلامى -بيروت ط(٥)
٥٨	لسان العرب	الإمام جمال الدين بن منظور -دار الفكر العربى
٥٩	المسند	الإمام أحمد بن حنبل
٦٠	المسلمون(صحيفة سعودية)	الاعداد ٣٢٤ ،٣٣٠-لسنة ١٤١١هـ-١٩٩١م.،٣٤٢،٣٤٣ لسنة ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م.
٦١	المعجم المفهرس لالفاظ القرآن الكريم	محمد فؤاد عبد الباقى - دار جمال - لبنان
٦٢	المعجم الوسيط	مجمع اللغة العربية - دار المعار ف بمصر .
٦٣	المفردات فى غريب القرآن	الامام الحسين بن محمد الراغب الاصفهانى - تحقيق محمد الكيلانى - دار المعرفة - بيروت.
٦٤	المنهج العلمى للدعوة الاسلامية	د. محمد زين الهادى - مركز الكتاب للطباعة والنشر - عمان ط (١) ١٤١١ هـ - ١٩٩١ م
٦٥	الموطأ	الامام مالك بن أنس - تحقيق محمد فؤاد عبد الباقى -
٦٦	ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين	ابو الحسن الندوى - دار عمر بن الخطاب بالاسكندرية - ط (٧) - ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م .
٦٧	مجموع الفتاوى	الإمام احمد بن تيميه
٦٨	مجمع الزوائد منبع الفوائد	الامام الهيثمى

تابع فهرس المراجع

م	اسم المرجع	اسم المؤلف- المطبعة-رقم الطبعة-سنة الطبع
٦٩	مختار الصحاح	ابو بكر الرازى
٧٠	مدخل إلى الإستدلال القرآنى	د. عبدالله الشاذلى
٧١	مذكرات الدعوة والداعية	الامام حسن البنا
٧٢	مستقبل الاسلام خارج ارضه	الشيخ محمد الغزالى - دار الصحوة
٧٣	مشكلات الدعوة والداعية	فتحى يكن - مؤسسة الرسالة - بيروت
٧٤	مع الله دراسات فى الدعوة والدعاة	الشيخ محمد الغزالى السقا - دار الكتب الاسلامية ١٩٨٥م
٧٥	معالم التنزيل	الامام البغوى - تحقيق خالد عبدالرحمن ، مروان سوار دار المعرفة بيروت - ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م
٧٦	معجم الفاظ القرآن الكريم	مجمع اللغة العربية القاهرة
٧٧	من التبعية إلى الأصالة	انور الجندى - دار النصر للطباعة والنشر بالقاهرة
٧٨	منهاج التغيير الاسلامى	العلامة أبى الأعلى المودودى
٧٩	منهاج الحياة (الاسلامي)	د.محمد زين الهادى - دار العاصمة بالرياض
٨٠	منهج التربية الاسلامية	محمد قطب -دار الشروق ط (٩)١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م.
٨١	منهج تقديم الدعوة	د. محمد زين الهادى - مركز الكتاب للنشر - عمان ط(١) سنة ١٩٩٣م.
٨٢	نحو أسلوب أمثل للدعوة الى الله	د. محمود عمارة - دار التراث العربى ط (٢) ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م
٨٣	نشأة العلمانية ودخولها المجتمع الاسلامى	د. محمد زين الهادى - دار العاصمة - الرياض
٨٤	هداية المرشدين الى طرق الوعظ والخطابة	الشيخ علي محفوظ
٨٥	هكذا ندعو الى الاسلام	د. محمد سعيد البوطى - مكتب الفرابى - دمشق
٨٦	هموم داعيه	الشيخ محمد الغزالى السقا - دار الاعتصام ١٤٠٣هـ
٨٧	واقعنا ومستقبلنا فى ضوء الاسلام	وحيد الدين خان - ترجمه د. سمير عبدالحليم- دار الصحوة -١٩٨٤م.

رقم الإيداع
٩٣٦٧ / ٩٦
الترقيم الدولى
I.S.B.N.
977 - 19 - 1527 - 4
مكتب الأشول للطباعة